

العددان
٢٨٤ ـ ٢٨٥

١ ـ العائلة الحزينة

ملهاة في ثلاثة فصول

٢ ـ في عرض البحر

دراما في أربعة فصول

تأليف : برانيسلاف نوشيتش
ترجمة وتقديم : د. جمال الدين سيد محمد

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

ديسمبر ١٩٩٦

العددان
٢٨٤ ـ ٢٨٥
(يناير/ فبراير ١٩٩٥)



١ ـ العائلة الحزينة

ملهاة في ثلاثة فصول

٢ ـ في عرض البحر

دراما في أربعة فصول

تأليف : برانيسلاف نوشيتش

ترجمة وتقديم : د. جمال الدين سيد محمد

سلسلة شهرية تصدر عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص . ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة . الكويت 13100

العائلة الحزينة

تـأليــــف : برانيسـلاف نوشيتش

ترجمـة وتقديم : د. جمال الدين سيد محمد

العنوان الأصلي للمسرحية

ОЖАЛОШЋЕНА ПОРОДИЦА

Комедија у три чина

مقـــدمـــة

لم يعد اسـم الأديب اليـوغسلافي بـرانيسلاف نـوشيتش غـريبا على الأذن العربيـة بل أصبح اسما مألـوفا بالنسبة للقـراء والمشاهدين في أنحـاء كثيرة من الـوطـن العـربي. وقـد كـان لي شرف أن أكـون أول عـربي يكتشـف هـذا الكـاتب، وأول مـن يعرف القـارىء العربي بـأعماله حينما تـرجمت له في عـام ١٩٦٩ مسرحيـة «اللعبة الخطـرة»، وأتبعتهـا في عام ١٩٧٠ بترجمة لمسرحيتـه المشهورة «حرم جنـاب الوزير» التي عـرضها المسرح الكوميدي في القـاهرة، وقام بإخراجها المخرج كمال يس*، ثم ترجمت في ١٩٨٠ مسرحية «الواسطة» التي أخرجها عبد المنعم مدبولي تحت عنوان «مع خالص تحياتي».

وتوالت الترجمات والعروض المسرحية والتليفزيونية، وخاصة تلك التي تعتمد على النقل والاقتباس والتعريب.

ومنذ ظهـور الأديب اليـوغسلافي نـوشيتش ومسرحيـاته متـواجدة على خشبة المسرح اليوغسلافي، وخلال خمسين عاما قضاها بين جنباته ظل اسمه عـاليا خفـاقـا في هذا المجـال بسبب مـؤلفـاته المسرحيـة الـرائعة، وبسبب شخصياته الساخرة التي استحـوذت على إعجاب الجماهير في كل مكان نظرا لبساطة دعاباتها وواقعية انتقاداتها.

---

* قدمت هذه المسرحية في أكثر من بلد عربي خلال الثمانينات. إذ قدمها «المسرح الكوميدي» في الكويت، ثم «المسرح القـومي» في سـوريا، وأخيرا «الفـرقة القوميـة للتمثيل» وقـد عاد «المسرح القـومي» في سوريا وقدمها في مطلع ١٩٩٠ برؤية إخراجية جديدة تحمل إيحاءات سورية ـ م. موفاكو.

ورغم وفـاته ورحيلـه الجسدي إلا أن نـوشيتش حـي بمسرحياتـه حتى يومنـا هذا، فلا تـزال المسارح داخل يـوغسلافيـا وخارجها تعـرض أعماله المسرحيـة ومـازال اسمـه يتلألأ على لافتـات المسـارح مشيرا إلى فضلـه على المسرح وإلى رحلة كفاحه من أجل تطهير المجتمـع والنهوض به، ومن أجل أن يتمتع المواطن بحياة كريمة.

حياة نوشيتش

ولد برانيسلاف نوشيتش ـ وكـان اسمه الأول الكبياد ـ في بلغراد في عام ١٨٦٤ . وبينما كـان برانيسـلاف ينهي دراستـه الابتـدائية في مـدينة «سميـد ريفو» التي انتقل إليها والده بتجـارته، التقى لأول مرة بالممثلين وبالمسرح. وكان لهذا اللقـاء أهمية بـالغة كما اعترف نـوشيتش نفسـه فيما بعد. وأحـب المسرح حبا شديدا، ولكنه حب من ذلك النوع الذي لا يخمد طول الحياة.

وبالصدفة المحضة كان والده ـــ عن غير قصد ـ يشجعه على هذا الحب، ذلك أن الممثلين بهذه الفـرقة المسرحية المتجولـة لم يكونوا يملكون شيئـا من المعدات والأدوات اللازمـة لعروضهم المسرحية وإنما كـانوا يستعيرونها على نحو أو آخر، وكان والده هو أكثر من عاون الممثلين في هذا الشأن، فقد كان يعيرهم مـا يلزمهم من سجـاجيد ومقاعـد وما إلى ذلك من معـدات. ولذا اكتسب ابنه الحق المجـاني في مشاهدة جميع العروض المسرحية التـي كان يتم تقديمها في حدائق المقاهي.

وكان ميهايلو ديميتش مدير هذا المسرح شخصية جذابة ويتمتع بثقة الجماهير، وكان يقوم بالتمثيل والإخراج وتنظيم العروض المسرحية التي يطوف بها معظم أنحاء منطقة صربيا والجوع ينهش أحشاءه في أغلب الأحيان، وكانت هذه الفرقة تقدم مسرحيات وطنية تشعل بها حماس المشاهدين وتمحو بها الجمود والبلادة من نفوسهم، وكان الناس آنذاك قد سئموا الصراعات الملكية والقتال مع الأتراك العثمانيين.

وكانت المسرحية الدرامية آنذاك تستمد موضوعاتها في الغالب من تاريخ القرون الوسطى، وعلاوة على المسرحيات التي ترتبط موضوعاتها بالبطولة والشجاعة فقد كانت هذه الفرقة تقدم أيضا مسرحيات كوميدية. وانطبعت كل هذه الألوان المسرحية في ذهن برانيسلاف، ولم ينقطع أبدا طوال حياته وحتى نهاية عمره عن التفكير في الماضي والاستمتاع باسترجاع مصائر أبطال تلك المسرحيات القديمة.

ورغم أن برانيسلاف كان أذكى إخوته إلا أنه رسب في دراسته ورأى والده أن يؤهل ولده المولع بالكتب والفن لكي يمارس التجارة فأرسله إلى مدينة بانتشيفوا إلا أن الحنين شد برانيسلاف إلى بلدته وإلى عروضها المسرحية.

وفي سنوات الدراسة الثانوية انشغل برانيسلاف بثلاثة أمور: المسرح والنشاط الاجتماعي والأدب. وتشابكت على الدوام هذه الاهتمامات

الثلاثة، إذ طغى الاهتمام بالمسرح على النشاط الاجتماعي، وترك الإحساس بالتحركات والمشكلات الاجتماعية بصماته على الأدب والمسرح.

وكان للمبادىء الاشتراكية التي انتشرت وقتذاك صدى طيب في نفس برانيسلاف، وامتلأت نفسه حماسا لكون جماهير الشعب تطالب الشباب المثقف بمشاركته كفاحه من أجل الحرية والديمقراطية والحياة البرلمانية الحقيقية. ومن هذه المبادىء والأفكار ظهرت أول مسرحية كوميدية له بعنوان «نائب الشعب» وذلك إذا أغفلنا مسرحية «اللحية الحمراء» وهي مسرحية من فصل واحد كتبها وهو غلام.

وكان المجتمع الجديد آنذاك يتخذ شكله الأول ويسعى إلى التطور. فقد كانت تسوده العقلية الرجعية وتسيطر عليه التقاليد البالية، وكان الناس يعيشون في عزلة كاملة عما يجري من الأحداث خارج منازلهم. ومن واجبنا التنويه إلى أن نوشيتش لم يتخذ فحسب موقفا سلبيا من الأوضاع الاجتماعية المتردية في بلده بل شارك بقلمه واشترك بأدبه في إزالة القديم المتخلف والكفاح من أجل الجديد المتقدم.

وهناك عوامل ثلاثة رئيسية كان لها تأثيرها البالغ على أديبنا الشاب، وتتمثل هذه العوامل في تلك الأحداث السياسية والاجتماعية التي وقعت في الفترة من عام ١٨٧٠ وحتى عام ١٨٩٠، وذلك بالإضافة إلى ظهور الراديكالية في صربيا، وتتمثل كذلك في نقد البيروقراطية الذي ظهر في عدة

مسرحيات ومنها مسرحية «المفتش العام» للكاتب المسرحي «جوجول»، وتتمثل أيضا في جماعة الأدباء التي كانت تجتمع في منزل صديقه الشاعر «يوفان إليتش».

وفي منزل هذا الشاعر الكريم كان يجتمع أدباء تختلف أذواقهم ونظراتهم وكأنهم يجتمعون في صالون أدبي غير رسمي، وهنا وفي أحد أيام خريف عام ١٨٨٣ قرأ عليهم نوشيتش الذي كان قد بلغ التاسعة عشرة من عمره مسرحية «نائب الشعب»، واستمع له ثلاثة شعراء وناقد أدبي، وشجعه الجميع وتحمسوا له. إلا أن نوشيتش لم يجرؤ على تقديم مسرحيته إلى مدير المسرح القومي، فقد خشي أن تقع كلماته الجريئة في يد شخص بيروقراطي والمسرحية تهاجم البيروقراطية وأنصارها وتنتقدهم انتقادا لاذعا.

وقدم نوشيتش المسرحية عن طريق أحد أصدقائه الممثلين إلى مدير المسرح القومي الذي كان من الموالين للنظام الملكي المستبد المسيطر على البلاد آنذاك. ومن المؤكد أنه كان سيحفظ هذه المسرحية دون تقييمها أو ردها إلى مؤلفها. ففي ذلك الحين كان الملك ميلان يخمد بالعنف أعمال التمرد التي كانت تقوم ضده، ولذا فإن أية ضحكة ساخرة من مرشح الحكومة في انتخابات مجلس الشعب يمكنها أن تجلب عواقب وخيمة، وقد أجبرته الظروف على استيضاح الأمر بالنسبة لمسرحية الكاتب الشاب وذلك لأن الصحافة وجهت إليه اللوم لعدم تقديمه لمسرحيات درامية بأقلام كتاب من أهل البلاد.

ولكي يوزع مدير المسرح المسئولية طلب إبداء الرأي من اثنين من مشاهير الأدباء حينذاك، وكان رأيهما إيجابيا بشأن المسرحية وأبديا بعض الملاحظات التي يمكن تلافيها على الفور. ولم يستطع مدير المسرح أن يسد أذنيه عن الآراء المرضية التي سجلها زملاؤه، إلا أنه حاول أن يقنع نوشيتش بتخفيف حدة السخرية التي تضمنتها المسرحية وسرعان ما قدم له نوشيتش المحب للمسرح نصا معدلا من المسرحية ولكن المدير كان يبدي له على الدوام ملاحظات جديدة.

وخوفا من أن يشك القصر أو الحكومة في ولائه فقد أرسل مدير المسرح المسرحية سرا إلى وزير الداخلية طالبا منه إبداء الرأي في عرض هذه المسرحية على مسرح الدولة مع التنويه إلى أن هذه المسرحية تحوي بعض العناصر التي يمكن استخدامها كتحريض أو على الأقل كدافع لقيام مظاهرات مضادة للحكومة. ومن الجلي أن هذه الأسئلة الإيحائية كادت كافية بالنسبة لرجال الشرطة البيروقراطية لرفض عرضها. فلماذا يفسدون نومهم ويقلقون راحتهم بسبب مسرحية كوميدية لكاتب مغمور؟!

ولم يستسلم نوشيتش لهذا الواقع المر. فقد راح يعبر عن سخطه واستيائه من الأوضاع السائدة على صفحات الجرائد، وراح أيضا يمثل زملاءه من طلاب المدارس العليا بعد أن أقنعهم بضرورة تأسيس مسرح جاد للهواة من الطلبة.

وسرعان ما اصطدم الشاب المتحمس بقوانين البلاد بسبب كتابته في الصحف فقد نشر قصيدة تتضمن نقدا جارحا للذات الملكية ولكبار رجال الدولة . إذ أن نوشيتش قد شاهد خلال يومين متتاليين جنازتين : إحداهما ضخمة وعظيمة وتخص والدة ياور القصر ، وقد حضرها الملك شخصيا وبالتالي حضرها جميع موظفي الدولة وجميع الضباط والتجار وأصحاب الحرف ، ولاشك أنهم لم يحضروا لتقديم العزاء وإنما للإعراب عن ولائهم للملك . وفي اليوم التالي تم تشييع جنازة بطل من أبطال الحرب ، ولم يبد سكان العاصمة نحوه أية مظاهر للاحترام والتقدير .

وبسبب هذه القصيدة اتهم نوشيتش بإهانته للذات الملكية ، وحكمت عليه المحكمة الابتدائية بالسجن لمدة شهرين ، وبعد الاستئناف رفعت المحكمة العقوبة إلى سنتين مع الأشغال الشاقة ، ولكنه لم يقض في السجن إلا سنة واحدة كتب خلالها مسرحية وبعض التأملات في الحياة بعنوان «وريقات» .

وبعد خروج نوشيتش من السجن وجد أباه متعثرا في تجارته ، ومن ثم لم يكن بإمكانه أن يعول على مساعدته ، وراح يبحث عن عمل يرتزق منه ، إلا أن البيروقراطيين كانوا يستقبلونه في حذر أو بهز الأكتاف حتى لا يغضبوا الملك رغم أنهم يعلمون أن نوشيتش يمكن أن يفيدهم كموظف ، ونصحه الأصدقاء بمقابلة الملك وطلب العفو منه ، وعفا عنه الملك وتم تعيينه كاتبا في إحدى القنصليات في صربيا .

وهكذا دفعت الحياة، بمنطقها الجامد الصلب، الشاب الراد يكالي إلى تقديم أول تنازل كبير. فالوظيفة التي كانت تعني وجود علاقة طيبة بالحكومة لم تكن تتناسق مع السخرية والنقد، وخسر نوشيتش معركته من أجل تحرر الفكر ومن أجل النقد الاجتماعي لأنه كان وحيدا في ميدان القتال ولا يجد من يسانده.

وظهرت مسرحية «الواسطة» في ١٨٨٩ على خشبة المسرح القومي بعد سنة واحدة من كتابتها وذلك لأنها ليست حافلة بالنقد الاجتماعي، أما مسرحية «نائب الشعب» فقد انتظرت ثلاثة عشر عاما حتى يتم عرضها على خشبة المسرح.

ثم جاء الزواج في عام ١٩٨٣ وأنجب ثلاثة أطفال، وراح نوشيتش الأب والزوج يكتب المسرحيات الوطنية والتراجيدية والنفسية والهزلية بهدف تسلية القراء والمشاهدين.

وزادت شعبية نوشيتش بمسامراته التي كان ينشرها بصحيفة «بوليتيكا» باسم «ابن عقيبة» وكان فيها يطرح بعض الأفكار ويلفت الأنظار في دعابة إلى بعض الأخطاء، وعلاوة على ذلك يكتب في عديدمن الصحف الأخرى. ثم أصدر مع بعض زملائه صحيفة يومية جديدة، كما كان يصدر بنفسه ويدير تحرير مجلة «المسرح» خلال الفترة التي قضاها قائما بأعمال مدير المسرح. هذا بالإضافة إلى اشتراكه في كثير من أوجه النشاط العامة.

وتقلب في عديد من الوظائف وأهمها تعيينه مديرا للمسرح القومي في مدن سكوبلي ونوفى ساد ثم سراييفو وبقي بهذا المنصب حتى أحيل إلى المعاش وبعد ذلك عاد إلى بلغراد.

وتبدأ من عام ١٩٢٨ فترة من أخصب فترات حياة نوشيتش بدأها بمسرحية «حرم جناب الوزير». وقد كان في شبابه يسخر من عيوب عصره، وبعد فترة هدنة عاد إلى النقد الاجتماعي في شيخوخته، وقد عاد إليه في وقت كان المجتمع فيه في حاجة ماسة إلى كلمة نقد توجه إلى الكبار الذين فقدوا الأمل في الإصلاح خلال سنوات الفساد السياسي، وإلى الشباب الذين كانوا ينتظرون هذه الكلمة منه بالذات لما يعلمونه من شعبيته وتأييده لحقوق الجماهير.

وإنها لمعجزة لا مثيل لها في تاريخ الأدب الصربي قبل نوشيتش. فقد كان يقترب من السبعين ولا يزال يكتب المسرحية تلو المسرحية إلى أن أصبح السيد المطلق على خشبة المسرح، واكتسب شعبية لا حدود لها ككاتب مسرحي لا فحسب في بلغراد بل وفي جميع المسارح اليوغسلافية. وفي نفس الوقت كانت مسارح براغ وصوفيا وفيينا تعرض مسرحياته.

وجلبت الشيخوخة معها المرض أيضا، إلا أن إصرار نوشيتش وتصميمه كان يتغلب على السنين، وبينما كان يصارع المرض راح يسوي حساباته مرة أخرى مع السلطة فكتب مسرحية «المرحوم» التي

صور فيها العديد من الجوانب السيئة في المجتمع، وكان يستكمل في ذهنه فكرة مسرحيته الأخيرة «السلطة». ولكنها ظلت غير كاملة، وهكذا لم نتعرف على كلمته الأخيرة في هذا الموضوع الذي شغل فكره، واستولى على اهتمامه، وساد كتاباته طوال حياته.

وانتهى صراعه مع المرض بوفاته في يناير ١٩٣٨، ومضى بجسده ولكنه لم يمض بفنه وحبه الذي تربع على قلوب الملايين من قراء مسرحياته ومشاهديها. ولم يصدق جمهوره خبر وفاته، فقد كانت الفكاهات تقول إنه لن يستسلم بسهولة للموت كما لم يستسلم من قبل لكثير من الشدائد.

نوشيتش وأدبه

تعددت الأنشطة الأدبية لبرانيسلاف نوشيتش، فقد كتب الروايات والقصص والمذكرات والمقالات الأدبية والمسرحيات. إلا أن الكتابة للمسرح غلبت على كل أعماله فقد كتب خمس عشرة مسرحية كوميدية، ومسرحيتين تراجيديتين، ومسرحية تاريخية، وعددا كبيرا من المسرحيات ذات الفصل الواحد.

ومن الواضح أن المسرحية الكوميدية قد حظيت بالنصيب الأكبر من مؤلفاته. وقد لجأ إليها لأنه أولا وقبل كل شيء يتمتع بموهبة الفكاهة، وثانيا لأنه أدرك أن المسرحية الكوميدية بمقدورها أن تقول مالا يمكن قوله بصراحة. وظل نوشيتش مرتبطا بها حينا من الزمان رغم علمه بما تجلبه

عليه مـن المتاعـب في بعض الأحيـان، ثم هجـرها فترة طـويلة بعـد أن ذاق مرارة الحبس واستبدل بها الفكاهة والـدعابة، وعاد أخيرا إلى احتضانها بعد أن أصبح في سن الشيخوخة.

والفكاهة شيء فطري في نفس نوشيتش. إنه يضحك ويسخر من أخطاء الغير وعيـوبهم وهو متيقـن في قـرارة نفسـه أن الشر لا يدوم، وقـد رأى أن الضحك في حـد ذاته سلاح جاد لابـد من رفعه في وجه النقـائص والعيوب والأخطاء. والحق أن نوشيتش قـد أشار بقلمه اللماح وكوميدياتـه الساخرة إلى أماكن العلة في جسد المجتمع آنذاك.

ومن الطريف أنه لم يعمد إلى النقد الصريح وإلى السخرية الواضحة، بل كان يسلـك من أجـل ذلك طريقـا يوصل مـا قصد ومـا أراد إلى القراء وإلى المشاهـدين بطريـق غير مباشر وبأسلوب غير صريـح. ولم يكن يوجـه نقده وسخريتـه إلى عيب واحد بل كـان كالصائد الماهر يطلقها لكـي يصيب بها عدة عيوب في آن واحد.

وقـد تيقـن في أيـامـه الأخيرة أنه لا ينبغـي الاكتفـاء بنقـد التـأخـر وتشخيصه بـل ينبغي القيام إلى جانـب ذلك باستئصال عنـاصره. وكان يرى أن كاتب الكـوميديا والناقد الأدبي كلاهما كـالطبيب الذي يشخص المرض، وعندما يكتشف الناقد المكان العليل فعلى الجراحين الاجتماعيين أن يقوموا بواجب استئصاله.

وأشار معظم النقاد اليوغسلاف إلى أن قلم نوشيتش يتميز بالواقعية، والدليل على ذلك موجود في غالبية مؤلفاته. وأغلب هذه الأعمال المسرحية نابع من تأملاته للحياة الحقيقية الواقعية، ومن الممكن أن نصفها بأنها مرآة تنعكس فيها الطبيعة والحياة. ولاشك أن قوة مؤلفاته وروعتها تكمن في واقعيتها، وذلك لأنه من الملاحظ أن مسرحياته التي تتسم بالضعف إنما هي تلك التي تفتقد إلى الأساس المادي في الواقع.

ويضيف النقاد أنه على الرغم من واقعية نوشيتش إلا أنه ليس موضوعيا في واقعيته، فشخصيته بارزة على الدوام في أعماله الأدبية، فهو لا ينسخ من الحياة بل يتأملها ثم يشرع وفقاً لتأملاته وملاحظاته وخصوبة خياله في كتابة المسرحية. وقد اكتشف نوشيتش نفسه عند كتابته لأول مسرحية كوميدية، وبذلك دخل ميدان الأدب اليوغسلافي بوجه واضح وقلم بارع وابتدأ نوشيتش كتاباته بأحب موضوع إلى نفسه وإلى قلمه أيضا ألا وهو موضوع السلطة، وعالجه في عديد من مسرحياته بمختلف الأساليب والأشكال، ولا ريب أن هذا الموضوع يعد هو الموضوع الغالب على معظم مسرحياته، وإلى جانب ذلك عالج موضوعات أخرى لا تقل أهمية عنه كما سنرى في المسرحيتين اللتين يضمهما هذا الكتاب.

ففي مسرحية «كلام الناس» أظهر نوشتيش استياءه من بسطاء الناس ومن سذاجتهم وإحساسهم بعدم المسئولية وتدخلهم في شئون الغير. وأبرزت هذه المسرحية أن من حق المرء أن يعيش كما يشاء وكيفما يحب وذلك من خلال قصة عائلة بسيطة استمعت إلى كلام الناس وانساقت وراءه

في غير إعمال للفكر ودون روية فلاقت من المتاعب الكثير وجابهت العديد من المشاكل المثيرة للضحك، وللمرارة أيضا.

وفي مسرحية «حرم جناب الوزير» أخذ نوشيتش بيد إحدى النساء البسيطات ونقلها إلى أعلى نقلة مفاجئة، دون أية مقدمات أو استعدادات، من حياتها المتواضعة الهادئة إلى منصب حرم جناب الوزير، وكانت هذه النقلة الهائلة من حياتها السابقة إلى حياة جديدة كفيلة بأن تثبت للجميع وتوضح لهم عدم استطاعة ولياقة مثل هؤلاء الأفراد السذج البسطاء في الاحتفاظ بتوازنهم والوقوف في ثبات على أرض صلبة.

وعلى غير المعتاد يلعب خيال نوشيتش دورا كبيرا في مسرحيته «حول العالم» التي تحكي مغامرات وانطباعات تاجر يوغسلافي قام بجولة حول العالم. والمسرحية تحوي عدة رقصات من مختلف البلدان ومجموعة من أغاني الشرق والغرب، وتحوي في الوقت ذاته عددا من الفكاهات والنوادر الهادفة، ولاشك أن هذه المسرحية تحمل الطابع الكوميدي الترفيهي.

ومن أشهر مسرحياته مسرحية «المرحوم» التي تنتقد الظلم الاجتماعي الذي يواجهه الإنسان دون سبب واضح، وتناول فيها بأسلوب نقدي لاذع فساد الشريحة العليا من الطبقة الوسطى. وحيث إن هذه هي آخر مسرحياته فإن النقاد يعتبرون أن ما جاء بها هو آخر ما أبدع نوشيتش من آراء حول ظلم السلطة والأفراد واستبدادهم لغيرهم، وإن لم يكن هذا هو ختام آرائه في هذا الموضوع.

ويهدف نوشيتش من وراء مسرحياته ـ بوجه عام ـ إلى توضيح أن الناس يعانون أكثر مـا يعانون من طغيان القادرين المتسلطين ومـن طغيان الحكومة البيروقراطية التي تسيطـر عليهم وتدفعهم دفعا إلى تنفيذ أوامـرها في طاعة عمياء. وهو هدف إنساني صادر عن روح ديمقراطية، ولكنه حين وجد أن رجال الفكر وأصحاب القلم قد أصبحوا طاقة معطلة، ولم يعد باستطاعتهم أن يعبروا عما يجيش بصدورهم لما كـانوا يلاقونه من ضغـط ومعاناة وحبس أيضا، وحين أحس بـالألم يحز في نفسه بسبب ذلك استغل موهبتـه الفطرية للفكاهة وراح ينتقد ويسخر من نقائص المجتمـع وعيوبه آنذاك، فخرجت مسرحياته التي أوقفـت النقاد والقراء والمشاهدين على فنـه الراقي ووضعت اسمه في عداد الكبار من كتاب المسرحية في العالم.

والمتأمل لمسرحيات نـوشيتش الكوميدية يجد أنه صـور فيها أفراد الطبقة المتوسطة، ويقصد بهم الأشخاص الذيـن لا يرتفعون فوق بيئتهم وليسوا في الطبقة الدنيا منها. ورسم لنا ـ شكل لم يسبـق له مثيل ـ صورة للوجه الآخر من الحياة العـامة والخاصة في منطقة صربيـا بما فيها من مؤامـرات سياسية، وطموحـات، وأساليب لصغـار رجال البـوليس، وصراع حول المنـاصب الحكومية، ومن سباق لاغتصاب الوظائف، وسعي إلى الحصول على الثروة بأية طريقة، وجري وراء الموضة من جانب النساء.

وأجاد نوشيتش بشكل خاص تصويـر الأجهزة السياسية في مملكة صربيا التي أصبح السذج قوامين على شئونها ومن ورائهم زوجاتهم يؤثرون عليهم وعلى قراراتهم. وكان يوجه النقد العنيف إلى طغيان وحمق البيروقراطية وإلى

افتقاد كبار الساسة في الأقاليم وإلى هبوط المستوى الأخلاقي، وإلى ارتشاء القائمين بالسلطة. وفي عهد مملكة يوغسلافيا صور الصراع من أجل الاستحواذ على المناصب السياسية واستغلالها في الأغراض الشخصية، وصور التسابق من أجل الثراء السريع والتهافت على الألقاب والمحاولات المستميتة لبلوغ المناصب والوظائف ذات السمعة والنفوذ.

وقد لاحظ نوشيتش في هذا المضمار كيف أن الفرد العادي من أفراد الطبقة المتوسطة قد تحول إلى رجل مال من الطراز، ولذا فإنه يخدع وينهب ويغتصب بلا حدود وبدون التقيد بأية اعتبارات. وقد غطى نوشيتش كل هذه الجوانب بأسلوب كوميدي ساخر سعيا منه إلى أن يثير بمسرحياته أكبر قدر من الضحك والتجاوب مع جمهوره.

و ربما يبدو ـ لأول وهلة ـ أن نوشيتش قد أراد بمسرحياته الكوميدية أن يسلي ـ في المقام الأول ـ جمهور المدن وأفراد الطبقة المتوسطة بعرضه على خشبة المسرح نماذج مماثلة لتلك النماذج الحية من الشخصيات الفريدة التي تعيش وتتحرك في بيئته. إلا أننا سرعان ما نكتشف تحت قناع كاتب الكوميديا نظرة الإنسان الذي يراقب ويلاحظ ويعاني ويسجل.

ومن المؤكد أن مؤلفات نوشيتش تعطينا صورة كاملة للأحوال السائدة في مملكة صربيا منذ ١٨٨٠ وما تلاها من أعوام إلى أن وافته منيته. وقد تابع بثاقب بصره عملية التحول الضخمة التي أصبحت صربيا بمقتضاها، وهي البلد الزراعية الصغيرة، دولة حسب النموذج

الغربي ببنوكها وأثريائهـا ورجال الأعمال وقناصي المناصب بها. وفي هذه العملية السريعة ضـاعت الضمائر وتاهت العقول وانهارت حيـاة العديد من الأشخاص وتحطمت مقـاومة حتى أولئك الذين كانـوا أشد مقاومة ونبـلاً وأرفع خلقـا حتـى سيطـرت في النهايـة طبقـة مـن محدثي النعمـة وعديمي الضمير. ولـذا فقد كانت نظرتـه إلى هذه الأحوال تزيـد قتامة وتزداد ابتسامته مـرارة. ومن هنا كانت مؤلفات نـوشيتش أكمل صورة لأخـلاق المجتمع في صربيـا وفي مملكـة يوغسـلافيـا، بعد أن أصبحـت صربيا في إطـارها منذ ١٩١٨، وهي في نفـس الحين مفتاح لفهم كـل ما حدث قبيل انهيار يوغسلافيا في عام ١٩٤١.

وظل نوشيتش سائرا على دربـه الخاص دون أن يمل أو يحيد. وعلى هذا الدرب كـان يتكيف مع التغيرات الجديـدة في الثقافة والمجتمـع ويعتمد على جمهـوره أكثـر مـن اعتماده على النقـاد، فما كـان يخيفـه أو يقلقـه نقـد النقـاد وانتقاداتهم. فقـد كان له جيشـه الخاص وهو جمهـوره الذي كان نـوشيتش يتلقى منه التأييد والعون لأنه يحبه بـإيجابياته وسلبياته ولا يطالبه بالتغيير كما يطالبه النقاد.

لقد استحوذ نوشيتش على الجماهير بفكاهتـه وسخريته اللاذعة، وظلت الشعبية تـلازمه حتـى نهاية حياتـه، ومن العجيب أن نـوشيتش الـذي كان يسخر دوما مـن السلطة والمتسلطين كان متسلطا على خشبـة المسرح، وكان بإمكانه أن يملي ويفرض ما يريد من الشروط لإخراج مسرحياته.

«العائلة الحزينة» : عرض وتحليل ونقد

ظهـرت مسرحيـة «العـائلة الحزينـة» في عـام ١٩٣٤ على خشبـة المسرح القـومي في بلغـراد، وتـم تنفيذ المسرحيـة بنماذج محليـة أجيدت دراستهـا و أحسن تصـويرها ، واتسـم إخراجها بتصـور غايـة في التأني وانتقاء غـاية في الصدق لنماذج الوسط الذي تتم فيه أحداثها .

ولاقت المسرحية منذ العرض الأول نجاحا جماهيريا منقطع النظير .

ومن المرجـح أن هذه المسرحية مـن أفضل المسرحيـات الكوميديـة التي كتبها نـوشيتش وتتضـح فيها بجـلاء السمات الأساسيـة لكتابـة المسرحيات الكوميدية . وهو في هذه المسرحية ينطلـق من الحياة الواقعية للمجتمع آنذاك ويصور بيئة الطبقة المتوسطة التي يعد فيها المال هو المعيار الأساسي للقيم .

وبعـد ذلك تـم عرض المسرحيـة بنجـاح كبير في عدد مـن المسارح داخـل يـوغسلافيـا وخارجهـا ، وتبارى المخـرجون في تنفيـذها على خشبـة المسرح ، ويعتبر النقاد اليـوغسلاف أن أفضـل عرض لهذه المسرحيـة هو العـرض الذي قدمـه المخرج مـاتا ميلـو شيفيتش في عـام ١٩٥٥ على خشبة المسرح الـدرامي اليوغسلافي ، وفي عـام ١٩٦١ حصلت هذه المسرحية على لقـب أفضل عرض مسرحـي بين العروض المسرحيـة اليوغسـلافية المختلفـة التي تـم تقديمهـا في مهرجان «ستريا» للمسرح الذي ينعقد كل عام في مدينة نوفي ساد بيوغسلافيا .

وهناك احتمال كبير بـأن نوشيتش قـد التقط الفكـرة الأولى لهذه المسرحية

من الصحف اليومية في بلغراد في فترة ما بين الحربين، وقد كانت تكتب عن كثير من الخلافات القضائية حول مسائل الميراث. ويستخلص من ذلك أن فكرة المسرحية محلية أصيلة. ولكن هناك رأى آخر يقول بأن شخصيات هذه المسرحية باهتة وليست محلية بالدرجة الكافية، هذا علاوة على أن نوشيتش ذكر في البداية أن أحداثها تقع في كل زمان ومكان. وقد يستنتج من ذلك أن المسرحية ليست بالضرورة مرتبطة بالبيئة البلغرادية آنذاك. ومن المؤكد أن هذه الخاصية لا تقلل على الإطلاق من الأصالة التي صور وعرض بها نوشيتش للبيئة اليوغسلافية والظروف المحلية، ولا تنقص من عناصر السخرية التي تفيض بها هذه المسرحية.

السمات الدرامية

لاحظ النقاد ـ وهم على حق في ملاحظاتهم تلك ـ أن نقطة الانطلاق الغالبة في مسرحيات نوشيتش الكوميدية هو الموقف المسرحي المؤثر. وفي هذه المسرحية التي بين أيدينا تتكالب العائلة على نهب وسرقة أملاك الفقيد وتتمثل العقدة الأساسية للمسرحية في تسليط الأضواء على هذا التكالب وإبرازه من مختلف زواياه.

وسجل النقاد كذلك مهارة وبراعة نوشيتش في تصوير الشخصيات السلبية الفاسدة. وسجلوا عدم صدقه بدرجة كافية، بل وعجزه، عند تصويره للشخصيات الطيبة السوية. وتقدم لنا هذه المسرحية أمثلة لكلا

الصنفين من الشخصيات. فهي من ناحية تقدم عرضا قويا لمجموعة من أقارب المرحوم، المتكالبين على الحصول بأي شكل على نصيب من تركته. ومن ناحية أخرى نجد شخصيات بلا طعم أو مذاق، باهتة إلى حد ما، مثل الوريثة الحقيقية دانيتسا (وهي ابنة غير شرعية للمرحوم)، ومثل المحامي الدكتور بتروفيتش.

والمنظر الذي يظهر فيه أجاتون وسيمكا وساركا (المنظر الثالث من الفصل الثاني) خير مثال لسمة أخرى من سمات نوشيتش وهي أن المبدأ الإيجابي لاينتصر في مسرحياته الكوميدية، وإنما هناك على الدوام توازن بين العناصر السلبية. وفي هذا المنظر تستحوذ ساركا على منبه من ممتلكات المرحوم ويستحوذ أجاتون على صينية فضية. ويضبط كل منهما الآخر متلبسا وهما يتمشيان في مسكن المرحوم، ويجري بينهما هنا صراع شفهي.

ويتعلل أجاتون بأنه مصاب بالروماتيزم الذي أدى إلى تصلب جسده بينما تلمح ساركا أنه أخفى الصينية الفضية فتعلق في مزاح قائلة: «أرى أنه روماتيزم، ولكنني أعتقد أنه روماتيزم فضي». ونظرا إلى أنه منذ قليل فحسب فضح رنين الجرس سرقة ساركا للمنبه فإن أجاتون يحل ببساطة وهدوء هذه المعضلة الأخلاقية حلا سلميا بقوله: «قد يكون الروماتيزم فضيا حقا ولكنه على الأقل لا يصدر رنينا». ويحمل كل لص غنيمته دون أي عقاب أو إحساس بالذنب. ويبدي يوسيب كولو نجيتش الذي كان أول من أخرج هذه المسرحيةفي بلغراد ملاحظة تفيد بأن نوشيتش كان يكتفي

فحسب بإبراز هذه الرذائل أمام المتفرج الذي قد لا يعنيه الأمر على الإطلاق، تاركا فضحها أخلاقيا للشخصيات التي تمثلها على المسرح، وبعبارة أخرى فإن الدور الأخلاقي لمسرحيات نوشيتش الكوميدية «إنها مرآة للمتفرج الذي قد يكون هو الآخر متورطا بدرجة أو بأخرى في مثل هذه الرذائل».

وقد أجمع النقاد على أن مسرحية «العائلة الحزينة» من أفضل مسرحيات نوشيتش من ناحية الصياغة والبناء الدرامي. والدليل على ذلك هو المنظر الأول من المسرحية الذي يمثل عرضا صامتا ناجحا: فها هي مجموعة كبيرة من الرجال والنساء في ملابس الحداد تدخل الصالة الفسيحة في منزل المرحوم ماتا تودو روفيتش، وتعلق على جدار هذه الصالة صورة كبيرة للمرحوم في إطار ذهبي. إنها العائلة الحزينة للفقيد «ماتا» عائدة من المقبرة بعد أداء قداس اليوم السابع. ويسود الصالة صمت طويل تتخلله الآهات والتنهدات، ويقطع الصمت أجاتون الذي نصب نفسه كبيرا للعائلة وينطق بالكلمات الأولى. ولكن سرعان ما يكشف أفراد العائلة عن وجوههم الحقيقية وعن طبيعتهم في كلامهم التالي. وابتداء من تعليق ساركا على بكاء جينا تنطلق الغيبة والتطاحن بين أفراد العائلة الذين يكشفون عن حقيقتهم كمجموعة من الطامعين الذين أصابتهم الحياة بالإحباط والفشل.

و لو حاولنا أن نتبين العناصر الأساسية للصراع الدرامي لوجدنا أنه صراع معقد. ويمكن من النظرة الأولى أن يخدعنا الانطباع بأن هذا في المقام

الأول صراع بين أفراد العائلة الحزينة وبين الوريثة الحقيقية وخالتها، ويحافظ على مصالحهما المحامي الدكتور بتروفيتش.

إلا أن الصراع الحقيقي المكثف الذي يتجه باستمرار صوب النمو والتطور يحدث فيما بين أفراد العائلة، ويزداد تعقد هذا الصراع مع تباين عواطفهم تجاه المرحوم، وينبع من هذا الصراع صراع غير صريح بين أفراد العائلة وبين المرحوم ماتا تودو روفيتش، والصراع هنا غير معقول لأن طرفه الآخر غير موجود.

وإذا نظرنا إلى هذه المسرحية من وجهة النظر التقليدية فسنجد أنها تفتقد إلى الأحداث المتطورة تطورا واضحا. والموضوع الكوميدي الرئيسي هو الصراع على الميراث، وحبكة الموضوع جعلت جميع الأحداث تجري في الظاهر بشكل منطقي. وذلك مع أنه بالنسبة لقارىء أو متفرج اليوم الذي تعرّف على مسرحيات بيكست ويونسكو ومن سار على دربهما، فإن ما جرى في مسرحية «العائلة الحزينة» يمكن أن يبدو وكأنه عبثي ولا معقول.

ولاشك أن الصراع في هذه المسرحية صراع لفظي في المقام الأول، ويجريه المؤلف بإحساس دقيق بالمواقف الكوميدية المثيرة للضحك وينوعها في مجال واسع يبدأ بالسخرية وينتهي «بالفودفيل». وفي معظم مشاهد المسرحية يتصرف أفراد العائلة في إطار المجموعة الأسرية، ولكن على الرغم من ذلك فمع تطور وتقدم أحداث المسرحية يزداد بروز شخصية أجاتون

أرسيتش، وهو مدير ناحية متقاعد، ويزداد اتضاح دوره كشخصية محورية فيما يحدث من عقد كوميدية.

وقد كان بعض النقاد على حق حين ذكروا بأن الأحداث في الفصلين الأول والثاني تتركز على وصية المرحوم، أي على الصراع على الميراث، بينما يركز الفصل الأخير على عرض وكشف طباع وشخصية وأخلاقيات أجاتون، الأمر الذي يبين لنا مقدار أهمية هذه الشخصية بالنسبة للمسرحية ولأحداثها، والذي يجعلنا بالتالي نتيقن من أنها الشخصية المحورية والرئيسية بلا منازع.

وأجاتون أرسيتش الذي يمت بصلة قربى من بعيد للمرحوم ماتا تودورفيتش، بلغ في حياته الوظيفية إلى منصب مدير ناحية، وهي وظيفة مرموقة يحسد عليها في ذلك الزمان، وهي أيضا وظيفة تجلب الخير في مجالات كثيرة، ولكي يحتفظ بهذه الوظيفة أطول مدة ممكنة فقد كان يخطب ود وينافق بكل وسيلة تخطر على البال، أصحاب النفوذ من أعضاء حزبه الذين كانوا يتولون مناصب في الحكومة حينذاك، وكان يدير الناحية وفقا لمصالحه ومصالح حزبه فكان يسجن الأبرياء ويثرى من وراء ذلك ثراء فاحشا بالترهيب والابتزاز. وهكذا كانت أخلاقه وطبيعته لأنها مرتبطة تمام الارتباط بوظيفته، ولم يكن من الممكن أن يبدو أن يبدو في شكل غير هذا لأنه كان سيبدو أحمقاً حتى في نظر أولئك الضحايا الذين كان يقوم بإيذائهم وتكديرهم وإرهابهم. ولم يكن بإمكان أجاتون وهو الرجل الفطن

الـداهية أن يسمـح لنفسه بـذلك لأن ضحـايـاه كانـوا سيعتبرونه أحمق مـن الآخرين، ولـذلك كان منتفخ الأوداج ويتظـاهر بأنه رجـل دون نفوذ وقوة وذلك على الرغـم من أنه أحيل إلى التقـاعد منذ فترة طويلـة بسبب افتضاح بعض حالات السرقة والابتزاز.

إن أجاتون بشخصيتـه السلبية هذه يعكس الأحـوال الاجتماعية السائدة حينـذاك وقد تعلـم أجاتـون طوال مـدة خدمتـه في الناحيـة أنه يحصـل على النصيب الأكبر دوما ذلك الشخص الذي يحسن التدافع والهجوم والوصول إلى مكان النهـب. وبالنسبـة لمثل هـذا الشخص لا تـوجد قـداسة أو حـرمة للملكيتين الخاصة أو العامة، ويجتهد أجاتون وأمثاله في أن يقتطعوا أكبر قدر ممكن لأنفسهـم من الآخـرين ومـن المجتمع، على أن يكـون ذلك طبعـا في حدود القانون الذي يتسـم بمرونة كافية بحيث إن كل إنسان يتمتـع بالذكاء يعرف كيف يتصرف مع مثل هذا القانون.

وأجـاتـون وأمثـالـه يعيشـون في بيئـات تعـد تصرفـاتهم منسجمـة مـع شرائعها، وذلـك لأن باقـي أفراد هـذه البيئة يفعلـون نفس الشيء. وحينما يشرع أفراد العائلة في نهب ميراث قـريبهم المتوفى فإن أجاتون يفعـل نفس ما يفعلونه ويجتهد في أن يحصل لنفسه على أكبر ما يمكنه الحصول عليه.

وقـد وجـه النقـاد إلى نـوشيتـش انتقـادات جـادة لأنـه يعطـف على شخصياتـه السلبية ويتعاطـف معها إلى درجـة كبيرة. وكانت مثـل هذه

الانتقادات تثير ضيق نـوشيتش وكان يؤمن بعدم دقتهـا ولم يكن على بينة مما كـان النقاد يعتبرونها نقطة ضعف لـديه. إنه يحب تلـك الشخصيات التي يسخر منها، أم أنهم يعتقدون أنه بحبه لشخصياته السلبية لا يملك القوة الكافية للسخرية من عيوبهم.

ويرى نوشيتش أن النقاد لم يظلموه بلومهم في هذا المضمار لأنه بالفعل يحب أبطال مسرحياتـه، فكلهم في الأساس أشخاص طيبـون خطيئتهم ليست رذيلـة والخطأ من وجهـة نظرهم لـه مبرراته. ويسمي نـوشيتش هؤلاء الأشخاص بـأفراد الطبقة المتوسطـة، ويغفر لهم خطاياهـم لأنه، أولا وقبل كل شيء فرد من أفراد هذه الطبقـة التي وسمته بطابعها، وقد سخر منهم نـوشتيش في ود وشفقة لاقتناعه بعدم مسئـوليتهم عما فعلوه وبأن المسئولية تقع أولا وأخيرا على بيئتهم.

وقد يكون رأي نوشيتش هذا صحيحا فيما يتعلق بالبيئة اليوغسلافية التي استلهم فيهـا مثل هـذه الشخصيات السلبيـة. إلا أن تعميمه على غيره مـن البيئات أمر مشكوك في صحته وصوابه.

أما زوجـة أجاتون سيمكا فسرعـان ما اكتشفت الطبيعة الحقيقيـة للسيد مدير الناحية صـاحب النفوذ والسلطـان، ومنذ السنوات الأولى لـزواجها أخذت زمـام القيادة في يدهـا واستغلت بمهارة كفاءاتـه للاستفادة مـن كل فرصـة تتاح لها. ولم تكـن تسمح له بـالتصرف أو التحرك إلا إذا كـان هناك

أمل في مصلحة مشتركة لهما، وكانت تحسن أداء دور زوجة السيد مدير الناحية في خيلاء وتباه، ومن هنا كان حزنها شديدا لفقد زوجها لوظيفته المرموقة ولذا لا تفتأ تشير في مناسبة وغير مناسبة إلى مركززوجها السابق وإلى براعته وخبرته. وهي تبرز شخصيته على شخصيتها أمام الناس وتقنع أمامهم بأن تكون في ظله كما يليق بأية زوجة صالحة. أما كيف يبدو الحال بينهما وهما على انفراد بين الجدران الأربعة فهذا سر لا يعرفه أحد، وإنما تدفعنا الأحداث من حين لآخر إلى التخمين بذلك.

ومن مبادىء نوشتيش في الصياغة والتأليف أن يكون هناك فاصل بين ذروة المسرحية ونهايتها أقصر بكثير من ذلك الفاصل الموجود بين بداية المسرحية وبين ذروتها. وقد تم تطبيق هذا المبدأ تطبيقا كاملا في هذه المسرحية. فطوال الصراع على الميراث أطلق جاتون عدداً من الأكاذيب وبعد ذلك أطلق أكذوبته الكبرى فادعى أن المحامي بتروفيتش هو ابنه غير الشرعي وذلك لكي يبرر أمام العائلة علاقته الطيبة بالمحامي. وهكذا يصاب الجميع بالدهشة والذهول، ولا يبقى بعد ذلك سوى فترة قصيرة تنتهي بعدها المسرحية. وفي هذه الفترة الوجيزة يشعر أجاتون بالفزع من جراء الأثر الذي أحدثته كذبته ويظل ينقل نظراته البلهاء بين سيمكا وبين أفراد العائلة ثم ينطق بعبارته الأخيرة: «حسن، لقد أفسدت الأمر الآن».

ويتميز تركيب المسرحية في أغلبية مسرحيات نوشتيش، وفي هذه المسرحية أيضا، بانقسامه إلى ثلاثة أجزاء: ففي العرض التمهيدي تسير

الحياة العادية في مجراها الطبيعي، فالعـائلة تحزن من أجل وفاة المرحوم، وفي المرحلة الثـانية يحدث اضطـراب في مسار الحيـاة العاديـة إذ يبدأ الصراع على الميراث، وفي الجزء الثالث يصل سوء الفهم إلى ذروته ولا معقوليته ثم يعود كل شيء فجـأة إلى مسار الحيـاة العادية، فبعـد أكذوبة أجـاتون يعـود أفراد العائلة الحزينة إلى حياتهم الطبيعية التي كانوا يعيشونها قبل الاضطراب.

وهناك قاسم مشترك بين شخصيات هذه المسرحية: فعلى الرغم من أنهم ليسوا من أقرب أقرباء للمرحـوم ولم تكن هناك أية صلة وثيقة بين أي منهم وبين المرحوم طيلة حياته فإنهم جميعا طامعـون في تركته ويدعي كل منهم أن له حقـا فيها. وبالإضافـة إلى مجموعة مـن المشاهد ذات الطابـع «الفودفيلي» التي تفيض بها هذه المسرحية فإننا نستطيع أن نستشف وراء ضحك نوشتيش الذي يتابع به تطور السباق من أجل الحصول على التركة بعض السمات غير الكوميدية لشخصيـات المسرحية مثل شهوة حب التملك عنـد أفراد العائلة والقسوة البـالغة التـي يتصف بها المحامـي بتروفيتش الـذي يعتبره كثير من النقاد شخصية إيجابية. ونظرا إلى أن هذا المحامي له دور خاص في المسرحية فإنه يستحق المزيد من التحليل وتسليط المزيد من الأضواء عليه.

و نـص المسرحية لا يقـدم دافعـا للشك في أن هـذا المحـامي الحاذق قـد اكتشف بسرعة زيف حزن أقربـاء المرحـوم وفطن إلى أطماعهـم، وسرعـان ما اتضح له أمرهم وأدرك على الفور نوعية الأشخاص الذين يتعامل معهم. ويرى بعـض النقاد أن الأسلـوب الذي أدار بـه المحامـي بتروفيتش مـزاحه

ودعاباته مع أقرباء المرحوم واستهزاءه بهم يفرض علينا أن نعيد النظر في طيبته ويثير فيها الشكوك. فمن الجلي أن الدكتور بتروفيتش دخل هذه اللعبة وهو يمسك مقدما بكل الخيوط في يديه. فهو وحده الذي يعرف مضمون الوصية، فهو الذي كتبها باعتباره محاميه، وهو يتفوق على أقرباء المرحوم في المركز الاجتماعي والثراء، وعلاوة على هذا فهو بصفته رجل قانون يعلم - ويعلم ذلك أيضا أفراد العائلة الحزينة - أنه من الممكن أن يطرد من منزل المرحوم أقاربه الذين انتقلوا إليه دون سند قانوني، وعلى الرغم من أنه يعلم أن الوصية تمثل صدمة شديدة بالنسبة لجميع أفراد العائلة الحزينة إلا أنه يتلاعب بهم في سخرية واستهزاء. فحينما يذكر له أجاتون، باعتباره الممثل البارز للعائلة وأكثرهم ادعاء بحقه في التركة، إنهم جميعا يتوقعون أن يكون لكل منهم نصيب في التركة، يقترح عليه المحامي الخبيث بأن يقسموا التركة فيما بينهم بالتراضي قبل فتح الوصية («مادام كل شخص منكم يعتقد أنه الوريث، يعني أن جميعكم متساوون في الحقوق، وبناء على ذلك يمكنكم باعتباركم أفراد العائلة أن تعقدوا بطريقة حسنة اتفاقا وديا وأن تقسموا الأملاك بالاتفاق» المنظر الثاني عشر من الفصل الثاني).

ولكن هذا المحامي مثله كمثل كل محب لذاته يظهر حساسية مفرطة حينما تتعرض مصلحته الشخصية لخطر مباشر، فحين يحاول أجاتون تجربة أحد مخططاته ويقترح على المحامي أن يتزوج من دانيتسا ابنة المرحوم غير الشرعية ووريثته الفعلية يستشيط المحامي غضبا ويعترض في عصبية شديدة لأنه

يفضل أن يسوي هذا الموضوع بينه وبين الفتاة الجميلة الثرية دون وساطة (المنظر السادس من الفصل الثالث).

ولم تقدم لنا المسرحية دليلا واضحا على حدوث لقاءات بين المحامي وبين دانيتسا من قبل في منزل المرحوم ولكن هناك تخمين وتلميحات إلى أن المحامي ينصب شباكه في حذر وحرص شديد حول الفتاة الوارثة من أجل اقتناصها، ودون الزعم بأن المحامي طامع في التركة، وإن كان من المؤكد أن دانيتسا قد حازت على إعجابه، فإنه من العسير إلغاء الافتراض الطبيعي بأنه يدرك أنه ليس أمرا سيئا أن يتزوج بالفتاة وأن يفوز بتركتها أيضا.

وكما هي العادة في مسرحيات نوشتيش، فالقلم يخونه عند صياغته للمشاهد العاطفية أو الغرامية، وبالتالي فليس هناك ما يبرر الحديث عنها بالتفصيل وتحليل ما لا يعدو أن يكون مجرد لمحة لمشهد عاطفي. ومن الأجدى ــ بدلا من ذلك ــ أن تستكمل انطباعاتنا عن شخصية الدكتور بتروفيتش على أساس أن دوره من الأدوار الرئيسية في المسرحية.

وفي هذا المضمار لابد من التنويه إلى أهمية وجود المحامي بالنسبة للمؤلف من أجل أن يدفع عقدة المسرحية إلى النمو والتطور. فاقتراحه بتقسيم الأملاك سمح للمؤلف بتقديم مشاهد ثرية مؤثرة حافلة بالمواقف الكوميدية. ونظرا إلى أن المحامي لا مصلحة له في موضوع تقسيم التركة وإلى أنه رجل قانون فإن هذا يضفي على اقتراحه ثقلا ويجعله مقنعا، إلا أن المشكلة

الأساسية تتمثل في الظروف الواقعية التي يقدم فيها اقتراحه الماكر، وهنا تبدو شخصيته سلبية، فهو يبدو كرجل قادر على أن يمزح مع الآخرين بطريقة متعالية قاسية، وهؤلاء الآخرين أدنى منه في المركز الاجتماعي، ومثل هذا الرجل لا يمكن أن يكون طيبا، بل ومن الخطأ أن يقال عنه إنه رجل شريف وأمين، عاقل وسوي كما ذكر النقاد في كتاباتهم.

اللغة

كوميديا المواقف متواجدة ـ بوجه عام ـ في مسرحيات نوشيتش الكوميدية، إلا أن الأغلب الأعم هي الكوميديا اللفظية. ويمكن القول بأن جميع شخصيات نوشتيش لها الحق في إلقاء الدعابات الساخرة المضحكة ولم يحرم نوشتيش أيا من شخصياته من هذا الحق.

ورغم أن لغة نوشتيش لم تختلف اختلافا جوهريا عنها في غيرها من المسرحيات إلا أنه في هذه المسرحية قام بمحاولة ناجحة وذلك بأن جعل الألفاظ والعبارات تتناسب مع طبيعة وتكوين كل شخصية. وعلى سبيل المثال فقد جعل تريفون الذي اشتهر بأنه مقامر يستخدم على الدوام الكلمات المرتبطة بأوراق اللعب، وكذلك جعل أجاتون يتحدث بأسلوب وبألفاظ مدير الناحية والأمثلة كثيرة على ذلك.

وبهذه الوسائل اللغوية اللفظية يتيح نوشتيش الفرصة للممثلين لأن يتقمصوا الشخصيات الكوميدية التي تمثل عقلية مواطنيه بميولهم التقليدية

إلى السخرية من كل انحراف في الحياة العامة اليومية، وإلى الضحك من الناس في وجوههم. ونوشتيش أستاذ لا نظير له من أساتذة المرح التي اشتهرت بها منطقة البحر الأبيض المتوسط، وقد أوتي المقدرة والبراعة على أن يسخر من الناس في مواجهتهم وليس هذا فحسب، بل وأن يضحك من نفسه كذلك مستعينا بالحوار المباشر وبالتلاعب بالألفاظ وذلك لأنه يعلم علم اليقين أن قليلا من الناس هم الذين يرضون عن أنفسهم ويقنعون بمصيرهم.

ومما لاشك فيه أن لغة نوشيتش هذه بأمثالها وأقوالها المأثورة وعباراتها المحلية المتداولة التي تعكس العصر والبيئة التي وقعت فيها أحداث المسرحية تمثل تحديا هائلا أمام المترجم وتفرض عليه مشكلات لابد أن يحلها وفقا لقدرته وبراعته وإمكانياته. وبالطبع يتزايد حجم هذه المشكلات عند الترجمة إلى بيئة تختلف كثيرا عن بيئة الأصل المترجم عنه، وقد حرصت أشد الحرص على أن أجمع بين الترجمة الدقيقة إلى أبعد الحدود وبين إيصال المعنى الحقيقي الذي أراده المؤلف. وأتمنى أن أكون قد وفقت في ذلك.

شخصيات المسرحية

أجاتون أرسيتش	: مدير ناحية بالمعاش
تناسيه ديميتريفيتش	: تاجر
بروكا بوريتش	: موظف بالبلدية
تريفون سباسيتش	: مواطن عاطل عن العمل
ميتشا ستانيميروفيتش	
دكتور بتروفيتش	: محام
سيمكا	: زوجة أجاتون
فيدا	: زوجة تناسيه
جينا	: زوجة بروكا
ساركا	: أرملة
الخالة	: دانيتسا

الفصل الأول

صالة واسعة بها درج يوصل إلى الطابـق العلوي، وتوجد بها قطع أثاث جلـدي مـن الحجـم الثقيـل، وتلفــت الأنظـار بحجمهـا الكبير. صـورة للمرحـوم «ماتا تودوروفيتـش»، التي تم تعليقها على الحائط في إطـار ذهبي ويوجد إلى اليمين واليسار كثير من الأبواب، وهنـاك بالخلف باب زجاجي ضخم.

المنظر الأول

أفراد العائلـــة

(المسرح خال تماما قبـل فتح الستار، وبعد فترة من الوقـت ينفتح الباب الخلفي وتدخل مجموعة كبيرة من النساء والـرجال. وهؤلاء هم أفراد عائلة المرحوم «ماتا تـودورفيتش» الذين عادوا من المقبرة حيـث أقاموا أول قداس على روح المرحوم بعد وفاته بسبعة أيام. وكـل أفراد العائلة يرتدون الملابس السوداء ويحنون ظهورهم. والجميع يحتلـون أماكنهم في صمت. وبعد فترة أخـذ الرجـال يشعلون السجـائر، والنساء يتـأملن في حـب استطلاع قطـع الأثاث وكل شيء حـولهن، ويتحدثن بهمس فيما بينهن أو يتبـادلن النظرات فحسب).

أجاتون : (وهو نموذج لمدير ناحيـة في فترة ما قبل الحرب، قذف به العهـد الجديد إلى بحـر النسيان، أخـذ ـ على مهـل ـ يلف سيجارة على ركبته، ووضعهـا في المبسم وأشعلها وعندمـا لفظ الدخـان مر ببصره على الجميع) هـذه هي حـال الإنسان، يـا إلهي! وكأنـه لم يكـن موجـودا على الإطلاق.

بروكا : هذه هـي حال الدنيـا يا صاحبـي أجاتون! اليـوم نحن أحياء وغدا أموات.

فيــدا : ماذا بإمــكانك أن تفعــل؟ هــذا هـو الـقانون الإلهي

يا صاحبي، الذي لا يمكن أن يتغير!

بروكا : نعم بربي، لا يمكن أن يحدث غير هذا!

أجاتون : أجل، إنه القانون. أعلم أنه القانون، ولكن لو أنه ـ على الأقل ــ يوجد نظام في هذا القانون. أكان الدور عليه هو بالذات؟

تناسيه : حقا، لماذا هذا الرجل بالذات؟

أجاتون : مثل هؤلاء الرجال لا يولدون مرتين.

تناسيه : أمين وشريف..

أجاتون : إنه ليس أمينا وشريفا فحسب بل إنه إنسان ذو قلب كبير، وكريم، باختصار كان محسنا.

سيمكا : كم عدد الأشخاص الذين قدم لهم المساعدة؟

بروكا : لم يكن هناك فقير لم يمنحه مساعدة.

جينا : كان والله يقدم المساعدات ذات اليمين وذات الشمال!

تناسيه : خسارة حقا مثل هذا الرجل!

أجاتون : كم كان رجلاً أمينا!

تناسيه : هذا الرجل لم يسلب أو يغتصب شيئا من أحد!

بروكا : كيف يسلب ويغتصب؟ لقد كان يمنح.

فيدا : أي وربي كان يمنح بسخاء مفرط.

ميتشا : يمكنكم أن تتصوروا مدى فداحة هذه الخسارة بالنسبة لعائلتنا.

أجاتون : يا لها من خسارة!

ساركا : (مخاطبة جينا التي تنفرط في البكاء) كفي عن البكاء بربك أيتها القريبة جينا، حسن أنك كنت تبكين هناك في القداس. فقد كان هناك عدد كبير من الناس، وكان من الواجب أن يبكي أحد الأشخاص بالنيابة عن أفراد العائلة، ولكن لماذا تبكين هنا وكلنا أقاربك!

جينا : (وهي تخفي منذ دخولها عينيها بمنديل وتبكي) لا استطيع أن اتمالك نفسي. فكما يقولون كان موجودا هنا بالمنزل منذ سبعة أيام.. واليوم..؟

سيمكا : واليوم ها نحن قد أقمنا عليه قداس السبوع.

فيدا : حقيقة، ما دمتم قد ذكرتم القداس فأقول لكم بصراحة إنه لم يكن لائقا أن نكتفي اليوم بقسيس واحد يقوم بالقداس، فهناك من المال ما يكفي لدفع أجرة أكثر من واحد، والمرحوم يستحق الكثير.

تناسيه : كان يجب أن نستقدم على الأقل ثلاثة قساوسة.

فيدا : ثلاثة على الأقل.

ميتشا : سمعة المرحوم تتطلب هذا بالفعل.

ساركا : يا للعار أمام الناس. أول قداس بعد أسبوع وقسيس واحد!

جينا : هل أنت أيها القريب أجاتون الذي أمرت بذلك؟

أجاتون : ولماذا أنا؟ من الذي يسألني؟ المحامي موجود هنا، وهو الوصي. ومن المحتمل أنه هو الذي أمر بذلك.

فيدا : هذه هي الحال بالفعل حينما يدبر الأغراب الأمور ويصدرون الأوامر، بينما عدد أفراد عائلتنا كبير.

أجاتون : ماذا بإمكاننا أن نفعل؟ تلك هي رغبة المرحوم وأوامره.

تناسيه : لابد أن نعترف بأنه كان رجلا طيبا وأمينا ولكنه كان يتجنب العائلة على نحو ما. لو أنه على الأقل استدعى أحدنا أثناء مرضه لكي يتحدث معه.

أجاتون : كنت في زيارة له قبيل الوفاة مباشرة، وجلست على الكرسي هكذا وتملكته بهجة شديدة حينما رآني وقال: «أين أنت بالله عليك يا أجاتون؟ ليس لي في الدنيا من هو أقرب منك!»

تريفون : (يتنحنح) الـ.. . لست بالطبع يا أجاتون قريبا له بهذه الدرجة.

ميتشا : أجل، هذا هو ما أردت أنا أيضا أن أقوله.

أجاتون : لا أقول إننا أخوان شقيقان ولكننا أقرباء. وانظر كان بإمكانه عندئذ أن يقول لي: «يا أخي أجاتون، أقربائي كثيرون في عائلتنا، ولكنهم كلهم.. على نحو ما.. وأنت الوحيد يا أخي أجاتون... هكذا.. كنت مدير ناحية لسنوات عديدة، وحكمت الشعب وستعرف كيف تدير أملاكي».

تريفون : (كتعبير عن الامتعاض العام الذي ظهر في إيماءاتهم وتبادلهم للنظرات) كان يستطيع أن يقول لك هذا، ولم لا يستطيع؟ ولكنك تعلم يا أخي أجاتون أن المرحوم كان رجلا متعلما وكان يقرأ الصحف وكان بمقدروه أن يقول لنفسه: «أجاتون هذا كان بالفعل مدير ناحية ولكنه كان يترك أثرا كريما وراءه في كل مكان عمل به».

أجاتون : (ينفجر) هذا ليس صحيحا! هكذا كانت تكتب صحف المعارضة، وليس بوسعك أن تطلب من صحف المعارضة أن تكتب أنني تركت ورائي أثرا عطرا.

تناسيه : وحتى بدون ذلك يا أجاتون، أن تحكم الشعب شيء وأن تدير الأملاك شيء آخر.

أجاتون : ليس شيئا آخر يا تناسيه، ليس هذا شيئا آخر. بالنسبة لكليهما ينبغي أن تكون لدى المرء خبرة ويد من حديد. هيا، أرني شخصا من بيننا هنا يكون أهلا لهذا العمل؟ هيا قل، أهو تناسيه هذا؟ لو كان صالحا لصلح لنفسه أولا ولما أفلس.

تناسيه : (في احتجاج) فماذا في أنني قد أفلست؟ اليوم يفلس من هم أكبر وأقوى مني، فلماذا لا أفلس أنا؟

فيدا : وحتى لو أنه أفلس أيها الصديق أجاتون فهو لم يسلب منك شيئا.

أجاتون : لا اعترض على ذلك، ولكن لو أنك أفلست وبعد ذلك اشتريت سيارة لخلعت قبعتي تحية لك. ولكنك على نحو ما لا تعرف، ووقعت في حيص بيص. و هاهم اكتشفوا أخطاء في تسجيلك للحسابات.

تناسيه : إذا كانوا قد اكتشفوا فلم أكن أنا الشخص الذي يقوم بتسجيل الحسابات بل كان يقوم بها المحاسب.

أجاتون : طبعا يقوم بها المحاسب ولكن ليس هذا هو المهم. لقد قلت هذا بشكل عابر، ويمكننا أن نتخطاك، ونتساءل على سبيل المثال: هل بروكا هذا يمكنه أن يكون قادرا على إدارة العزبة؟

بروكا : (معترضا) ولم لا ؟

جينا : إذا كنت أنت أيها القريب أجاتون تقدر فإنه هو أيضاً يقدر على القيام بهذا.

أجاتون : طبعا يقدر، لا أقول إنه لا يقدر على القيام بهذا ولكن انظري إلى منظره، انظري إليه من فضلك. منذ ثلاثين سنة وهو يعمل في إدارة السجلات بالبلدية وفقد فيها زهرة شبابه حتى ليبدو كالحشرة الجائعة التي تطل من الملف القديم.

جينا : يا له من كلام!

أجاتون : لكي تدير أملاكا لابد أن تملك صوتا مدويا، لكي تصيح، وينبغي أن تملك قبضة يد لكي تضرب بها على المكتب في وجه المحامي والمستأجر والأسطى الذي يقوم بإصلاحات في «العزبة».

جينا : معذرة أيها القريب آجاتون، ولكنني أعتقد اننا لم نات إلى هنا لكي نتبادل الإهانات بل اجتمعنا إحياء لذكرى المرحوم ولكي نحزن عليه كما يليق بعائلة محترمة . . . (تنفجر في البكاء).

ساركا : بالله عليك يا جينا، أتبكين ثانية؟

بروكا : اتركي المرأة تبكي، المرحوم كان قريبها وهذا يبعث الحزن في نفسها.

ساركا : ألا يوجد من بيننا أقارب آخرون له؟

تريفون : ربما تحمل المرأة بين جنبيها قلبا رقيقا أيضا.

بروكا : طبعا تحمل!

ساركا : إذا كان الأمر هكذا يا تريفون فأنا بالذات أملك قلبا رقيقا، والناس كلهم يعرفون أنني أملك قلبا رقيقا، ومع ذلك فأنا لا أبكي.

أجاتون : أرجوك أيتها القريبة جينا ألا تعتبري ما قلته لك عن بروكا إهانة، اتخذته فقط كمثال ولكن إذا كان هذا يضايقك فليس من الضروري أن نتحدث عن بروكا، نستطيع أن نتخذ من تريفون مثالا.

تريفو ن : هيا، فلنسمع.

أجاتون : هيا تفضلوا بالسماح له بإدارة العزبة! هيا، اسمحوا له . .

تريفون : لا أعلم ما المانع في ذلك؟

أجاتون : لا تعتبر هذا إهانة لك، ولكن يمكننا أن نتكلم بصراحة ونحن هكذا بين أفراد العائلة. لا تستطيع يا أخي أن تدير الأملاك لأنك لا تترك ورق اللعب من يديك، فهي ليست حرة بحيث يمكنك أن تدير الأملاك.

تريفون : إنني لم أبدد أي مليم لك في القمار يا أجاتون.

أجاتون : لم تبدد، لم تبدد، هذه حقيقة. ولا أقصد أنك ستبدد أي مليم من أموال المرحوم. إنك لن تفعل ذلك ولكنك تعرف كيف تكون الحال: تتسلم الإيجار وتضعه في جيبك ثم تجلس مع أصدقائك ويوزعون عليك أوراق اللعب فيكون الآس من نصيبك. وهيا لنر الآن ما إذا كنت قادرا على ألا تبدد الإيجار.

تريفون : هذا لن يحدث مطلقا.

أجاتون : لا أقول إنك ستفعل هذا برغبتك ولكنك تعرف كيف تكون الحال، فمادام الآس بين يديك فإنها خسارة أن تترك الفرصة تفلت منك. ولنفترض أن ذلك لم يحدث وأنك لن تحصل على الآس وأنك لن تمسك بورق اللعب بيديك ومع ذلك يا أخي ستعترف بنفسك أن ما لا يمكن أن يحدث لا يمكن أن يحدث.

تريفون : لا أعرف السبب.

أجاتون : لأنك يا أخي لست صاحب عمل، فمنذ أن عرفتك وأنت تريفون سباسيتش المقيم في هذه المدينة ولا شيء أكثر من ذلك. ولم تكن صاحب أي عمل أبدا.

تريفون : إنني لا أعرف السبب لأن أكون صاحب عمل.

أجاتون : حقا إنك لا تحتاج له! فالعمل ليس إلا عبئا على المرء. ولكنك يا أخي مادمت بدون عمل فليس بمقدروك أن تكون وصيا. لا تستطيع طبعا! وبعد ما نستبعدك، هيا قل لي من يتبقى أمامنا؟

ميتشا : من.. أي سؤال هذا، وماذا بشأني؟ وكأنني لست موجودا!

أجاتون : إنك موجود، لا أقول أنك لست موجودا، ولكنك على نحو ما تحلق في الهواء.

ميتشا : كيف في الهواء؟ ماذا تعني بذلك؟

أجاتون : أتعرف، هكذا، لا أستطيع أن أفهمك أبدا..

ميتشا : لا أرى سببا لأن تفهمني!

أجاتون : دعك من هذا، ولكن الإرث لا يخصك على نحو ما. ها أنت قد ورثت عن أبيك مبلغا طيبا من المال إلا أنه تبدد كله، ضاع كله منك.

ميتشا : لقد صرفت على تعليمي من هذا الإرث.

أجاتون : أجل، اعترف لك بذلك، ولكن تعليمك هذا باهظ التكاليف، والأهم من ذلك، تعلم أنني لا أرى أية فائدة لك من تعليمك هذا. فليس لك وظيفة أو حرفة أو أية فائدة منه.

ميتشا : ليس لي، لا أنكر ذلك، ولكـن في النهاية لا يتعلم المرء لكي يعود عليـه هذا بأية فوائد وإنما لكي يكـون إنسانا متعلما.

أجاتون : أنت بـالذات ليـس بمقدورك أن تـدير الأمـلاك لأنك متعلم، فـالمدرسة شيء والأملاك شيء آخـر، يمكنك أن تتعلم في المدرسة الكيمياء ولكن لا تستطيع أن تتعلم كيف تحصل على الإيجار إذا ما هـرب ـ على سبيل المثال ـ المستأجر أثناء الليل وحمل حاجياته.

تريفون : حسنـا. . تقول هـذا لا يصلـح وذاك لا يصلح، هـذا الرجـل يشبه هـذا، وذلك الـرجل يشبـه ذاك، بعبارة أخرى إذا تم خلط أوراق اللعب بطريقة جيدة فنستنتج أن أجاتون هو الوحيد الذي يصلح لإدارة العزبة.

أجاتون : وهذا صحيـح يا تريفون. أتعـرف ماذا تعني نـاحية بها ٥٢,٣٧٤ نسمة؟ نعـم ٥٢,٣٧٤ نسمة، وأنـا أصيح بهم «انتبـاه»! ويصطف كـل هـذا العدد وينظـرون إلى عيني مباشرة وعيونهم تطرف فحسـب ـ طبعا تطرف ـ هذا هو معنى الإدارة أيها القريب تريفون.

تريفون : هذا صحيح لو وافق المستأجرون على الوقوف صفا.

أجاتون : سيقفون، سأجعلهم يقفون، لا تشغل بالك بذلك!

المنظر الثاني

دانيتسا وشخصيات المنظر السابق

دانيتسا : (يتملك الجميع الصمت عند ظهورها ويتبادلون النظرات والإشارات بألا يتكلم أحد أمامها. وتحمل دانيتسا صينية عليها عصيدة وتدور بينهم).

سيمكا : (عند ظهور دانيتسا) تدفع بكوعها فيدا التي تجلس بجانبها وتهمس لها) حمدا لله أنهم تذكروا أن يقدموا له شيئا.

أجاتون : (يرسم علامة الصليب ويتناول من العصيدة) ليغفر له الله!

تناسيه : (يرسم علامة الصليب ويتناول من العصيدة) طيب الله ثراه!

فيدا : (ترسم علامة الصليب وتتناول من العصيدة).

جينا : (عندما تأتي العصيدة أمامها تنفجر في البكاء).

ساركا : يا إلهي أيتها الصديقة جينا، وكأن أحدا قد استأجرك للبكاء.

جينا : إنني غاية في الحزن! (ترسم إشارة الصليب وتتناول من العصيدة) ليرحمه الله!

ميتشا : (حينما تقترب منه دانيتسا ينهض واقفا في اندهاش) من يصدق هذا؟ أن تجد مثل هذه النظرة المبتهجة السا حرة في منزل مفعم بالحزن والأسى (يتناول من العصيدة).

أجاتون : (مخاطبا دانيتسا التي تقدم العصيدة للآخرين) هل خالتك مريضة؟

دانيتسا : لا، ولكنها امرأة مسنة فرأيت أن أنوب عنها.

أجاتون : أجل، أنت شابة ومن الطبيعي...

سيمكا : (تجذبه في غيرة من طرف معطفه فتقطع حديثهما).

(دانيتسا تنصرف بعد أن قدمت العصيدة للجميع).

المنظر الثالث

شخصيات المنظر السابق بدون دانيتسا

ميتشا : (بعد انصراف دانيتسا يتابعها ببصره) حقا، إنها فتاة جميلة، لابد من الاعتراف بذلك.

سيمكا : (مخاطبة أجاتون) لماذا؟ بالله عليك أيها العجوز، تدخل معها في حديث.

أجاتون : لقد أردت أن أتحقق من شيء..

سيمكا : وماذا عندك لكي تتحقق منه؟ إنك لست هنا في إدارة الناحية بل في العزاء بعد أداء القداس. فماذا لديك هنا لكي تسألها؟

فيدا : انظري يا سيمكا، في الحقيقة لابد من ذلك، وينبغي أن نعرف لأنـه من العار حقا هـذا الذي نشهده، فبالـرغم مـن كثرة عـددنـا نحن الأقـربـاء وأفـراد العائلـة، كما يقولون. يستقبلنا غريب ويقدم لنا العصيدة.

أجاتون : ماذا بمقـدورك أن تفعلي أيتها القريبـة فيدا؟ هكـذا هي رغبـة المرحوم الأخيرة ولا يمكننـا أن نفعـل شيئا ضـد رغبته.

ساركا : ولمن قال رغبته الأخيرة المزعومة؟

تناسيا : هذا صحيح، فرغبته الأخيرة هي الوصية، ولم يتم بعد فتح الوصية.

أجاتون : ولـن يتـم فتحهـا إلا بعد مضي أربعين يـومـا على وفـاة المرحوم.

بروكا : من فضلـك يا أجاتون، لقـد قرأت القانون بـالأمس، واستفسرت أيضا من عمدتنا وهو رجل قانون وكذلك من بعض المحامين الذيـن يحضرون إلى البلدية، وكلهم يقـولـون لي إنه لم يـرد في القـانـون مطلقا أن يتـم فتـح الوصية بعد أربعين يوما من وفاة المورث.

أجاتون : وهل تعتقد أنني لم أستفسر أنا أيضا؟

تناسيه : حسنا، لقد استفسرنا كلنا.

أجاتون : كلنـا، طبعا! لأنـه مـن سيقـدر يا أخـي على الانتظـار أربعين يوما؟ إنني أحصي كل يـوم على أصابعي وأحلم في الليل ببعض الأرقام وأمامها خمسة أصفار.

تريفون : يا أجاتون ستتغاضى عن هذه الأصفار الخمسة، أما فيما يتعلق بفتح الوصية، فالحق أقول لك إنني مسرور لأننا سننتظر أربعين يوما.

أجاتون : أجل، فأنت تحب أن تتلذذ بالانتظار.

تريفون : حقا أحب أن أتلذذ.

بروكا : دعك بالله عليك من تريفون وليتلذذ، ولكن قل لنا يا أجاتون، تقول إنك استفسرت!

أجاتون : أجل!

بروكا : فهل عرفت شيئا؟

أجاتون : تملكني الفضول فذهبت حتى إلى قاضي التركات شخصيا وسألته: هل بإمكاننا نحن أفراد العائلة أن نطلب فتح الوصية؟

تناسيه : فماذا قال؟

أجاتون : قال: بإمكانكم ولكن من الأفضل أن تصبروا، فقد كانت رغبة المرحوم أن تكونوا صبورين.

ساركا : من السهل عليه هو المتوفى أن يكون صبورا.

بروكا : بلى، تقول الحق الصديقة ساركا، فيمكنه هو أن ينتظر في القبر أربعين سنة أيضا، ولكننا نحن يا أخي لا نستطيع الانتظار.

تناسيه : طبعا لا نستطيع! فها أنذا مثلا لا أستطيع الانتظار. ولو كانت لدي الرغبة فإني لا أستطيع.

أجاتون : والله ستنتظر لأن المرحوم لم يذكر رغبته بعدم فتح الوصية إلا بعد مضي أربعين يوما من وفاته هكذا شفويا بل سجلها كتابة في المحضر بالمحكمة.

ساركا : لو استطعت فحسب أن أعرف بماذا سيفيده ذلك؟

سيمكا : و أنا أيضا أسأل نفس السؤال.

أجاتون : بماذا سيفيده ذلك؟ إنه يعلم جيدا بماذا سيفيده. لقد كان المرحوم هكذا نبيلا وفاعلا للخير وشريفا ويتسم بكل ما تريد من الصفات ولكن لابد من الاعتراف بأنه كان أريبا كبيرا. كان يعرف جيدا ماذا يفعل. وكأنه يقول سأمهل أفراد عائلتي أربعين يوما، وبذلك أضمن لنفسي هذه الأربعين يوما من الحزن، لا أن يذموني ويغتابوني من أول يوم بعد وفاتي.

ساركا : عجبا، ومن يقدر على ذمه؟

أجاتون : يوجد أناس يقدرون على ذلك ولذا فإنه ــ كما ترى ـ رتب الأمر على هذا النحو. وكأنه يقول: انتظر حتى أرتب هذا على نحو ما على الأقل قبل أن يبرد جسدي. وليخرج أجاتون من الصندوق معطفه الأسود القديم، ولينفض من عليه النفتالين وليقم بكيه، وليقم تناسيه بارتداء حلته السوداء، تلك التي حاكها من أجل الزواج، والتي يرتديها في تشييع الجنازات وفي الأعياد

القومية، وليستعر بروكـا من أي عضو في مجلس المدينة رباط عنـق أسود ومعطفـا أسود مـن الحانوتي، وليقـم تريفون برسـم الحزن على وجهه كما يحدث عندما يخسر في ورق اللعـب، و ليقم هـذا الصـديـق الأنيق ميتشـا بارتداء ملابس الحزن وفقا لآخر مجلات الأزياء، ولتقم النسوة بـارتداء السـواد والاتشاح بـه، ولتقـم الأرملـة ساركـا بارتـداء ثوبها الأسود الـذي تشيع بـه جنازات أزواجها، ولتقم جينا بالبكاء أربعين يوما.

جينا : (تنفجر في البكاء).

ساركا : هيا أيتها القـريبة جينا، أجاتون يقـول هذا هكذا، على سبيل المثال.

أجاتون : طبعا على سبيل المثال.

بروكا : لقد رتب لنا المرحوم هذا الأمر ترتيبا ممتازا، رحمه الله.

أجاتون : طبعا. رتبه! وكأنه يقول: فليمـض أفراد عائلتي وهـم يرتـدون هذه الملابس السوداء أربعين يـوما باعتبـارهـم العـائلة الحزينـة، وليسيروا وراء النعش وقـد طأطـأوا رؤوسهـم، وليحضروا جميـع القـداسـات وليشعلـوا الشموع لي، وفيما بعد حينما يبرد جسـدي فليهدؤوا هم أيضا.

تناسيه : حسن، مـادام ليس هنـاك بد فليكـن. سننتظر مـع أنه ليست لدينا رغبة في الانتظار، ولكـن لماذا يدير غريب الأملاك خلال هذه الأربعين يوما؟

أجاتون : بسبب أن المرحوم قال في ذلك المحضر الآتي أيضا : وإلى أن يتم فتح الوصيـة فليتم تسليم كل أملاكي لـرعايتها والحفـاظ عليهـا إلى ذلـك المحامـي الـذي حـددتـه في الوصية وصيا ومنفذا لرغبتي الأخيرة.

الجميع : (يبدون استياءهم).

أجاتون : وحصر المحامـي كل شيء وختمه بالشمـع الأحمر، أما هذا المنـزل فقد سلمه إلى الخالـة ليكون تحت رعـايتها، لأن المرحوم كان يود عدم إغلاق منزله.

فيدا : ولكن قـل لي أيها القريـب أجاتـون من أي صنـف هذه الخالة؟

أجاتون : وهل أنـا أعلم؟ أعرف أنه يـوجد في الفناء ذلـك المنزل الصغير المكـون مـن حجـرتين ومطبـخ، الـذي بناه المرحوم «ماتا» منذ ثمانية أعوام. وأعرف أن هذه الخالة تقيم في هذا المنزل منذ البداية. وهذا هو كل ما أعرفه.

ساركا : وخالة من هي بالله عليك؟

أجاتون : إنها خالة هـذه الفتاة التي قدمت لنا العصيـدة، ولذلك فالجميـع يلقبونها بـذلك. والمرحوم «مـاتا» أيضـا كان يلقبها كذلك.

فيدا : وكيف يسلـم المحامي هذه الخالـة المنزل، لعلها خـالته أيضا؟

أجاتون : ليسـت، وإنها كـانـت مـوجودة هنـا بـالمنزل تـرعـى المرحـوم، وقـد لفـظ أنفـاسـه بين يـديها، وهكـذا، تواجدت هنا.

ساركا : حسن، هذا فيما يتعلق بالخالة، وماذا بشأن الفتاة؟ والحق أقول لكم إن هذه الفتاة تثير حيرتي أكثر.

ميتشا : وحيرتي أنا أيضا.

ساركا : أيها القريب ميتشا، إن ما يحيرك شيء وما يحيرني شيء آخر.

أجاتون : ماذا يثير حيرتك أيتها القريبة ساركا، فالفتاة كغيرها من الفتيات.

ميتشا : ولكن لابد من الاعتراف بأنها جميلة.

ساركا : دعك من هذا وقل لي أيها القريب أجاتون، هل تعلم ماهي صلة القرابة بينه وبين هذه الفتاة؟

أجاتون : ومن أين لي أن أعرف؟ أعلم أنها تربت عند الخالة وتواصل الآن تعليمها أيضا بالمدرسة، وربما تدرس الفلسفة أو شيئا من هذا القبيل.. هذا هو كل ما أعلمه!

ساركا : إذا كانت لا تزال تواصل تعليمها بالمدرسة فهذا حسن، ولكن هل أنهت أية مرحلة من مراحل الدراسة؟

بروكا : يبدو لي أيتها القريبة ساركا، أنك تلمحين إلى شيء سيىء!

ساركا : إذا كنا سنقول الحقيقة فقد كان المرحوم يحب هكذا.. كيف أعبر.. هيا ساعدوني.

تريفون : كان يحب المغازلة.

ساركا : أجل، هذا هو ما أردت أن أقوله. كان يحبها، غفر الله له.

تناسيه : هذا صحيح، لابد من الاعتراف له بذلك.

ميتشا : هذا لا يعني إلاّ أنه كان رجلا متحررا.

ساركا : سواء كان متحررا أم غير متحرر فقد كان يحبها. أعرف، هكذا حضرت عنده في إحدى المرات و. . ولكن لنترك ذلك. . ليغفر الله له!

تريفون : لماذا؟ قولي!

ساركا : لا يليق هذابه، فالرجل قد توفي.

سيمكا : ومع ذلك أيتها القريبة ساركا فلا يمكنني أن أصدق شيئا كهذا، إنها فتاة صغيرة جدا بالنسبة لعمر المرحوم.

ساركا : تعرفين كيف الحال أيتها القريبة سيمكا. . إن الشجيرة تطعّم بالشجرة المسنة.

سيمكا : فماذا تعرف إذن؟ ربما تكون لهذه الفتاة أخت أكبر سنا، وقد تكون للخالة أيضا أخت أصغر سنا.

ميتشا : أجل، يمكن أن نأخذ في اعتبارنا مثل هذه التوليفة.

ساركا : وإذا أردتم، أقول لكم الحقيقة، إذا تمعن المرء قليلا فإن هذه الفتاة في رأيي تشبه إلى حد ما المرحوم «ماتا».

تناسيه : ياه، لقد شطح بك الخيال أيتها القريبة ساركا!

فيدا : لا تكرروا الكلام مرتين ولكن. . لو تمعن المرء قليلا فيها عن قرب. . لقد لفت نظري أنفها، فهو نفس أنف المرحوم.

ساركا : ما أصبت أيتها القريبة فيدا، فإذا كانت تشبهه في أي شيء آخر فإنها لا تشبهه من ناحية الأنف. . لأن المرحوم لم يكن له ـ أولا وقبل كل شيء ـ أنف.

جينا : عجبا يا ساركا كيف لم يكن له أنف.

ساركا : كان له أنف، لا أقول إنه لم يكن له، ولكن. .

بروكا : (بانفعال سريع) لماذا تتشبثون هنا بأنف المرحوم وكأن هذا هو الموضوع الرئيسي. . من الأفضل أن تهتموا بمصالحنا ودعوكم من أنفه (مخاطبا أجاتون) ولكن قل لنا أيها الأخ أجاتون ألم تستطع على نحو ما أن تستفسر عن طبيعة هذه الخالة؟

أجاتون : لا أعلم، لست عاقلا بما فيه الكفاية! أفهم أنها تواجدت هنا بينما كان مريضا وقامت برعايته ـ حسن ـ وتوفي، وهذا حسن أيضا. تواجدت هنا، جميل، ادفع لها أجرها وقل لها شكرا وودعها! ولكن كيف تظهر الخالة الآن بصفتها أمينة سر للمحامي؟ لقد تسلم الأملاك باعتباره وصيا، أفهم هذا وهو يتفق مع القانون، أليس كذلك؟ ولكن كيف يسلمها الآن هذا المحامي إلى الخالة لكي تتولى أمرها؟

فيدا : وكل شيء هكذا مكشوف.

تناسيه : ولو كان كل شيء مسجلا ومختوما بالشمع الأحمر لما كان المرء اهتم كثيرا، ولكن انظري كل شيء مكشوف. .

أجاتون : ولو عرفتم أيضا نوعية الأشياء الموجودة هنا. وجميع الغرف مكتظة بأشياء ثمينة، وكلها من الفضة الخالصة.

بروكا : وكل هذه الأشياء تحرسها إحدى الخالات.

سيمكا : يا للعار! وكما يقولون إننا أفراد العائلة ولا نعرف بالأشياء الموجودة ولا . . .

تناسيه : يا صاحبي، لا يثير هنا أننا لا نعرف كل الأشياء الموجودة، بل إننا لا نعرف كيف يبدو شكل المنزل. أعرف هذه الغرفة، فقد تحدثت فيها مع المرحوم مرة أو مرتين ولكنني لم ألق نظرة على أي مكان آخر.

أجاتون : أقول لك الحق وأنا أيضا لم ألق. صحيح أنني كنت في الطابق العلوي حينما كان المرحوم مريضا، ولكنني لم ألق نظرة هكذا على المنزل أبدا.

بروكا : لم يلق أحد نظرة. . فلم يكن المرحوم يحب أن يزوره أحد.

جينا : إنه لم يكن يطيق أفراد عائلته.

ساركا : وكان يطيق الخالة.

تريفون : طبعا كان يطيقها لأنها لم تكن من أقربائه.

ساركا : وكما يقول القريب تناسيه، لو سألني أحد الأشخاص: هل أنت يا ساركا قريبة للمرحوم «ماتا» - أجل! - يا ساركا، وهل تعرفين منظر منزل المرحوم؟ - لا أعرف - كم عدد حجراته؟ - لا أعلم! - كيفية تأثيثه؟ - لا أعرف!

فيدا : اعتقد أنه لا يمنعنا أحد من أن نطوف ونتفرج.

تناسيه : وأنا اعتقد ذلك يا أجـاتون. لماذا لا نطوف ونتفرج على المنزل؟ أظن أن بإمكاننا أن نفعل هذا على الأقل؟

سيمكا : إننا أفراد العائلة!

أجاتون : بـإمكاننـا، لا أقـول إنه لـيـس بـإمكـاننا ولكـن بشرط واحد. أن نسير كلنا سويـا وألا ينفصل أحد ويتخلف في الحجرات وإنما أن نمضي معا..

بروكا : (وهو يشعر بالإهانة) إنك لا تعتقد ربما..؟

أجاتون : مـا اعتقـده هـو شأني الخاص، فقـط ألا ننفصـل عـن بعض.

تناسيه : حسنا يا أخي فليس من اللازم أن ننفصل عن بعض.

أجاتون : سأقودكم أنا لأنني أعرف أكثر منكم.

(الجميع يحتشدون حوله).

أجاتون : انظروا أولا إلى هذا هنا! (يشير إلى الحجـرة التي يقفون فيها) تعد ردهة ولكنها ليسـت بردهة. إنها تعد حجرة أكثر، ولكنهـا ليست للنوم لأنها بمثـابة ممر، فمـن هنا يتم الصعود إلى الطابق العلوي. (يشير إلى الحجرة التي تـوفي فيهـا المرحـوم (يتجـه صـوب السلـم والكـل يتبعونه).

ساركا : (مخاطبة جينـا التي انفجـرت ثانيـة في البكاء) مـاذا بك الآن؟ لماذا تبكين الآن؟

جينا : كيف لا أبكي يا ساركا؟ فإننا سنرى الآن الحجرة التي توفي فيها المرحوم.

الجميع (ينصرفون على درجات السلم).

المنظر الرابع

دانيتسا وميتشا

ميتشا : (كان آخر من توجه صوب السلم وصعد أول درجة منه، وعاد لما لمح دانيتسا التي أتت من الباب الأوسط).

دانيتسا : (تحمل صينية مليئة بأقداح القهوة وتتملكها الدهشة حينما ترى أن الضيوف قد ذهبوا عن طريق السلم).

ميتشا : (يقترب منها) قهوة؟ (يأخذ قدحاً). أنا عادة لا أشرب القهوة ولكن مادمت أنت التي تقدمينها . . .

دانيتسا : و إلى أين ذهب السيدات والسادة؟

ميتشا : يريدون أن يلقوا نظرة على المنزل.

دانيتسا : هكذا!

ميتشا : منزل كبير وأثاث كثير وتقومون برعاية كل هذا؟!

دانيتسا : أنا لا أقوم بذلك وإنما الخالة، ولكنها حقا امرأة مسنة ولابد أن أعاونها.

ميتشا : هذا شيء صعب بالنسبة لك.

دانيتسا : لن يستمر هـذا إلا لبضعة أيام إلى أن يتم تسليـم المنزل للورثة.

ميتشا : هل إلى هـذا الحين فقط؟ ألا تنـوين أن تمكثـي هنا بعـد ذلك؟

دانيتسا : بالتأكيد لا.

ميتشا : وحتى لو عرض عليك الوريث ذلك؟

دانيتسا : لا أعلم، لابد لخالتي أن تقرر ذلك.

ميتشا : ولماذا خالتك؟ يجب عليك أنـت أولا أن تقرري ذلك. إذا أصبحت أنـا الوريـث ـ ولـدي أمل كبير في ذلـك ـ فأتمنى أن تقرري أنت هذا.

دانيتسا : أقرر ماذا؟

ميتشا : أن تمكثي في المسكن، ولم لا ؟ بالنسبة لك سيكون ذلك مـريحا للغايـة لأنـك من المؤكـد قـد تعودت على هـذا المسكن، والحق أقـول لك إنني سـأبتهج كثيرا بـوجود كائن صغير السن جميل مثلك. أليس كذلك؟

دانيتسا : شكرا، هذا لطف منك، ولكنني اعتقـد أن خالتي تريد أن نرحل.

ميتشا : ولكـن لماذا بالله عليـك؟ لـن تكون هـذه إلا نفقـات عسيرة عليكما. لقـد كنتما تقيمان هنا بـالمجـان فيمكنكما الاستمرار في الإقامة على هذا النحو. أليس هذا أفضل بالنسبة لكما؟

دانيتسا : أفضل، ولكن. . .

ميتشا : والأمر الأساسي إنني لا أنوي الزواج على وجه السرعة، ويمكنكما حتى ذلك الحين البقاء في المسكن.

دانيتسا : (في دهشة) أهكذا؟ ولماذا حتى ذلك الحين فحسب؟

ميتشا : لأنني أخشى أن تكون زوجتي غيورا. أجل، وسيكون لهذا ما يبرره تماما؟

دانيتسا : له ما يبرره!

ميتشا : أجل بالله عليك، فأنت غاية في الجمال واللطف وأستطيع أن أقول إنك تثيرين إعجابي، تثيرين إعجابي الشديد (يحاول أن يربت عليها).

دانيتسا : (في إحساس بالمهانة) يا سيد!

ميتشا : حسن، حسن، ليس من اللازم أن تغضبي.

دانيتسا : (في انفعال) من أين لك بتلك الحرية؟

أفراد العائلة : (يهبطون على درجات السلم).

ميتشا : قلت لك، إنني معجب بك، وربما للمرء الحرية في أن يقول ذلك لفتاة صغيرة السن جميلة. وعلى العموم حينما تسنح لي الفرصة سأوضح لك الأمر. وسترين أن الأمر غاية في البساطة.

المنظر الخامس

أفراد العائلة و شخصيات المنظر السابق

أجاتون : (يتقدم الآخرين) آه، آه.. القهوة! تأخرت قليلا، ولكن يمكننا أن نحتسيها ونحن هكذا واقفون (يأخذ قدحا ويحتسيه في جرعتين ويواصل سيره).

تناسيه : (يسير في إثر أجاتون، يأخذ قدحا ويرتشف) سأرتشف قليلا فحسب (يذهب في إثر أجاتون).

سيمكا : (تسير خلف تناسيه) شكرا، أنا لا احتسي القهوة قبيل الظهيرة. (تذهب وراء تناسيه).

بروكا : (يسير في إثر سيمكا) شكرا، أنا لا أشرب القهوة. (تذهب خلف سيمكا).

فيدا : (ترتشف وتترك القدح على الفور) ياه، إنها باردة كالثلج، (تذهب في إثر بروكا).

تريفون : (يأخذ القدح) سآخذه و أشربه في الطريق (يمضي وهو يحمل القدح).

جينا : (وهي تتنهد) شكرا، لا أرغب في احتساء القهوة! (تسير في إثر تريفون).

ساركا : (تمضي خلف جينا) شكرا، لا استطيع شرب القهوة بسبب انفعالي (تذهب في إثر جينا).

ميتشا : (وهـو يشرع في السير في إثر ساركـا، مخاطبا دانيتسـا) سترين أن الأمر غاية في البساطة.

أفراد العائلة (يتجهون ناحية اليسار).

المنظر السادس

دانيتسا والمحامي

دانيتسا : (تقف في وسط الحجرة حاملـة الصينية المليئة وتنظر في إثرهم).

المحامي : (يـدخل) نهارك سعيـد! أوه، يـالـه من أمـر جميـل أن تستقبليني بيدين مليئتين.

دانيتسا : طبعا مادام المنزل حافلا بالضيوف. (تترك الصينية على أقرب منضدة).

المحامي : أي ضيوف هؤلاء؟

دانيتسا : إنهم أفراد عائلة المرحوم، مـروا كلهم على هنا كعادتهم بعـد عودتهم مـن القداس. وسيـادتـك أوصيتنا، أنـا وخالتي، أن نكون بشوشين معهم وأن نتلطف بهم.

المحامي : هذا اللطف لن يكلفك شيئا.

دانيتسا : أوه، إنه يكلفني كثيرا جدا.

المحامي : ؟؟؟

دانيتسا : يكلفني المهانة.

المحامي : هل يهينونك؟

دانيتسا : لا، إنني لا اهتم بغمزاتهم وهمساتهم ونظراتهم المزدرية.. كل هذا لا يعنيني في شيء، ولكن الإهانة التي تعرضت لها منذ قليل...

المحامي : ماذا حدث؟

دانيتسا : عرض علي بوقاحة أحد السادة أفراد العائلة - يقول إنه الوريث - أن أظل بالمسكن بالمجان إلى أن يتزوج.

المحامي : إنه سيد نبيل! وبماذا أجبته؟

دانيتسا : لو لم تكن هناك توجيهاتك بأن نتأدب معهم لعرفت بماذا سأجيبه.

المحامي : ومع ذلك فقد أحسنت صنعا بامتناعك عن الرد لأنه في النهاية، ما يدريك، ربما لم يكن هذا الرجل يريد أن يهينك.

دانيتسا : ولكن كيف؟

المحامي : ربما لديه بعض النوايا الجادة؟

دانيتسا : فماذا لو كانت لديه نوايا جادة؟

المحامي : لنفرض، لو أصبح الوريث بالفعل.

دانيتسا : (في إحساس بالمهانة) ألم يكن با ستطاعتك بالفعل أن تكوّن رأيا أفضل عني؟

المحامي : رباه، لا يجعلنك هذا تشعرين بالإهانة، ولكن تعلمين كيف تكون الحال، الثروة رغم ذلك تجعل المرء يتردد.

دانيتسا : هكـذا؟ يعنـي أنك أنـت أيضـا لا تشعـر بالقـوة أمـام الثروة!

المحامي : لم أقل هذا.

دانيتسا : كيف لم تقل؟

المحامي : وعلى العمـوم فـالمحـامـون والأطبـاء لا يطبقـون على أنفسهم الآراء والنصائح التي يقدمونها للآخرين.

دانيتسا : وهل تعتقد أنك لن تتردد عند الالتقاء بأية وريثة ثرية؟

المحامي : صدقيني لا، حتى ولو كنت أحب هذه الفتاة لأنني على يقين بأنها سترتاب على الدوام في طهارة دوافعي.

دانيتسا : (تضع في أثنـاء الحديث يدهـا مصادفة في جيبهـا حيث تتحسس وريقة تخرجها) هاهو نفـس الأمر ثانية. أنت دائما تجري الحديـث على نحو مـا بحيـث أنسـى ماهـو أهم. منـذ مدة طـويلة وفي جيبـي هذه الـوريقة التـي كتبت عليها خـالتي الحساب بأوجـه صرف ذلك المبلغ الذي أعطيته إياها.

المحامي : لدينا متسع من الوقت من أجل ذلك.

دانيتسا : و مع ذلـك فلنصف الحساب فقـد رجتني الخالـة رجاء خاصا.

(تسمع أصوات آتية من الحجرة).

المحامي : من المؤكد أنهم هم، لست راغبا في أن يلتقوا بي هنا.

دانيتسا : ولماذا؟

المحامي : لأنهم يثيرون ضجري. وبسببهم لا استطيع أن أشعر بالهدوء في المكتب أو في المنزل.

دانيتسا : هذا يعني أنك تعرفهم!

المحامي : أجل أعرفهم. إنني لم أرهم قط من قبل. إنهم عادة أناس مغمورون وغير معروفين، و لكن هكذا حينما تهبط عليهم أية وصية لمرحوم ثري يظهرون ويتنقلون من محام إلى آخر وينتظرون طوال اليوم أمام مكتب قاضي التركات.

دانيتسا : يبدو أنهم ذوو قرابة شديدة بالمرحوم؟

المحامي : أجل، بالتأكيد، ولكن بعد فتح الوصية ستكون هذه القرابة متناسبة مع المبلغ الذي تركه المرحوم. (يسمع صوت ضوضاء) ها هم! من الأفضل أن أبتعد. إلى اللقاء! (يتجه للخروج)

دانيتسا : وحساب الخالة؟

المحامي : قلت لك لدينا متسع من الوقت لذلك! (ينصرف)

دانيتسا تأخذ الصينية ثانية.

المنظر السابع

أفراد العائلة ودانيتسا

أجاتون : (يخرج أولهم من الحجرة ويتبعه الباقون كلهم. يمرون ويـذهبون إلى الحجـرة الخلفية التـي سيـواصلون منهـا تجوالهم بحيث إنهم في المنظر التالي سيظهرون مرة أخرى وتتم رؤيتهم مـن خلال الباب الزجـاجي وهـم يعبرون عبر الدهليز. وفي هذه المرة لا يلتفتون إلى دانيتسا و هو يجتازون المسرح).

تريفون : (في أثناء مروره بجانب دانيتســا يضع قدح القهوة الذي احتساه في الطريق).

ميتشا : (وهو يمــر بجا نــب دانيتسا) أمـازلت هنـا؟ هذا شيء لطيف للغاية. (يذهب وراء الآخرين).

المنظر الثامن

دانيتسا والخالة

الخالة : (تأتي مـن الباب الموجود في الوسـط) أين أنت يـا بنيتي بالله عليك، لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟

دانيتسا : ها أنذا، لم أقدم القهوة للضيوف بعد.

الخالة : وأين هؤلاء الضيوف؟

دانيتسا : إنهم هناك يتنزهون بالمنزل ويتفرجون.

الخالة : ولماذا لم يحتسوا القهوة على الأقل؟

دانيتسا : لقد قدمتها لهم.

الخالة : وهل أتى المحامي بالله عليك؟

دانيتسا : أجل!

الخالة : وهل أريته الحساب؟

دانيتسا : لقد أردت ذلك والله يا خالتي، ولكنه رجل عجيب. فهو دائما ما يتحدث عن أمور أخرى.

الخالة : تعلمين أنني لا أحب أن أحتفظ بمال غريب دون أن أقدم الحساب.

دانيتسا : أريد أن أسألك عن شيء يا خالتي؟

الخالة : اسألي!

دانيتسا : بعدما يتسلم الوريث هذا المنزل، هل سنبقى نحن هنا؟

الخالة : لا، لن نبقى!

دانيتسا : وإلى أين سنذهب؟

الخالة : سنرى!

دانيتسا : غاية ما أوده أن نعود إلى ذلك المسكن القديم. كان في الحقيقة منزلا صغيرا، بيد أنه كانت لدينا حديقة صغيرة، وبعد ذلك، لا أعلم ولكن كان المكان هناك يعجبني، وربما لأنني قضيت كل طفولتي في هذا المنزل الصغير.

الخالة : لقد تهدم هذا المنزل بمجرد انتقالنا منه. وقد مضى على ذلك ثمانية أعوام.

دانيتسا : وأين كنا نسكن قبل إقامتنا بهذا المنزل الصغير؟

الخالة : ألا تذكرين؟

دانيتسا : أتـذكـر، ولكن كما في الحلـم. . . فنـاء صغيرا مكسـواً بقطع البـلاط، وشجرة و. . . وكانت والـدتي لا تزال حية آنذاك، أليس كذلك؟

الخالة : أجل.

دانيتسا : ووالدي؟

الخالة : إنه توفي منذ أمد بعيد. لم يكن باستطاعتك أن تتذكريه. ولكن لماذا تسألينني اليوم عن هذه الأمور؟

دانيتسا : هكذا، جـالت بخاطري. منـذ برهة تحدث معـي أحد الورثة عن مسكننا فخطر ببالي ذلك المنزل الصغير.

الخالة : دعك يا بنيتـي من هذا الهم، فلدينـا هموم كثيرة أخرى تشغل رأسينا. ولكـن خذي أنت هذه الصينيـة وهيا. لقـد بـردت القهوة تمامـا، وتقـولين إنهم لم يشـاءوا أن يحتسوها.

دانيتسا : أجل! (تأخذ الصينية وتمضي مع خالتها). لا أعلم لماذا أنتظرهم؟

الخالة تذهب مع دانيتسا.

المنظر التاسع

أفراد العائلة

أجاتون	:	(يأتي من الباب الخلفي والجميع في إثره) هاهو، لقد رأيتم.
فيدا	:	إنها ثروة، ثروة حقيقية.
تناسيه	:	هذا الرجل كان يعرف لماذا يعيش.
ساركا	:	آه، ذلك المنبه الفضي!
سيمكا	:	أو الشمعدانات، ماذا تقول بالنسبة لتلك الشمعدانات الفضية؟
ساركا	:	إنني معجبة بالمنبه. لقد تعودت عليه، لم يكن لدي منبه أبدا بالمنزل، ولكني تعودت عليه.
تريفون	:	كيف تعودت عليه ولم يكن لديك منبه بالمنزل؟
ساركا	:	كان زوجي الأول — رحمه الله - ينام نوما عميقا، ولكن زوجي الثاني كان يوقظني عدة مرات خلال الليل، كأنه منبه حقيقي. وهكذا
ساركا	:	تعودت بجانبه على المنبه.
جينا	:	وما رأيك يا سيمكا في ذلك الطقم لأدوات المائدة. إنه من الفضة الخالصة لأربعة وعشرين شخصا.

ساركا : يبدو أنك يا جينا ستنفجرين في البكـاء عندما ترين هذا الطقم؟

فيدا : رباه، كـل شيء موجود هنا ويحرسـه كله غريـب عنا، تحرسه إحدى الخالات.

ميتشا : وبنت أختها.

فيدا : دعك أنت مـن بنت أختها. ولكني يا أجـاتون أريد أن أقول شيئا.

أجاتون : قولي!

فيدا : أريد أن أقـول إننا كأفـراد العائلـة ينبغي أن نرعـى هذا المنزل وهذه الأملاك لا أن يرعاها غريب.

تناسيه : هذا أمر طبيعي! لأنه، قل لي يا أجاتون، من يضمن لنا هذه الخالة؟

جينا : من يعلم كم من الأشياء حتى الآن تم نقلها من المنزل؟

فيدا : وكم من الأشياء يتم نقلها إلى أن تمر الأربعون يوما.

ساركا : وا أسفاه على منبهي!

تريفون : عجبا، متى أصبح المنبه ملكا لك؟

تناسيه : يا صاحبي توجد هنا أشياء أكثر قيمة من المنبه.

فيدا : مـن رأيي أيها القـريب أجـاتون أن ينتقـل أحد منـا إلى المنزل لكي يحرس هذه الأشياء.

ساركا : هذا صحيح، ها أنذا يمكنني أن أقوم بهذا.

فيدا : ولماذا أنت بالذات؟

ساركا : إنني أرملة وغير مشغولة، ويسهل علي الأمر عنكم.

سيمكا : (مخاطبة أجاتون على انفراد) أتسمع يا أجاتون هذا الحديث؟

أجاتون : أسمع.

سيمكا : لعلك ستسمح لأي أحد آخر بأن ينتقل؟ إذا كان لابد من الانتقال فأنت أحق منهم.

أجاتون : كنت أعتقد نفس الشيء.

سيمكا : لا يوجد شيء تعتقده. بل هيا نسرع إذا لم تكن تريد أن يسبقنا أحد.

أجاتون : انتهى الأمر!

سيمكا : لا تقل انتهى الأمر، بل هيا، لأنني أخشى أن تنتقل جينا.

أجاتون : ستفعل! هيا بنا ننسحب بطريقة ما. (بصوت عال) سنذهب أنا وسيمكا. ليس هناك داع لبقائنا. تمت استضافتنا واحتسينا القهوة وتفرجنا على المنزل، لم يعد هناك داع لبقائنا. هيا بنا يا سيمكا لكي نذهب. إلى اللقاء.

سيمكا : إلى اللقاء!

أجاتون وسيمكا(يذهبان).

المنظر العاشر

شخصيات المنظر السابق بدون أجاتون وسيمكا

ساركا : (بعـد ذهابهما) أرأيتـم، هذان ظـلا يتهـامسان وفجـأة ذهبا؟

جينا : وأنا أيضا لفت نظري هذا!

فيدا : (تقترب من تنـاسيه وتحدثـه في سرية) عليـك أن تقطع ذراعـي إذا لم أكـن أعلـم عم كـان أجـاتـو ن وسيمكـا يتهامسان.

تناسيه : وأنا أيضا أقول نفس الشيء.

فيدا : إنهما يريـدان الانتقال، سترى أنهما يريـدان الانتقال إلى هنا.

تناسيه : فماذا بإمكانك أن تفعلي له الآن؟ ومن الأفضل أن ينتقل أحد أقربائنا إلى هنا.

فيدا : إذا كـان ينبغـي أن ينتقل أحـد أقـربـائنا فلعلـك أنـت الأحق.

تناسيه : هذا صحيح، ولكن هاهو، أجاتون سيفعل..

فيدا : مادمت على هذه الحال سيستطيع أجاتون أن يلتهم رأسك. لن أنصت إلى كلامك بل سأذهب إلى المنزل لكي أحزم بعض الثياب وسأحضر على الفور بمجرد أن يدخل هؤلاء أيضا، وأنت تعال إذا شئت! (بصوت عال) أجاتون على صواب، لم يعد هناك داع لانتظارنا.

هيا يا تناسيه، هيا بنا. وربي انتظر بفارغ الصبر أن أذهب إلى المنزل لكي استريح. هيا، إلى اللقاء (تذهب).

تناسيه : أجل، لكي نستريح، وداعا! (يذهب في إثر فيدا).

المنظر الحادي عشر

بروكا وجينا وتريفون وميتشا وساركا

ساركا : ما هذا أيها الناس، لقد كثر الهمس؟

جينا : إنني بالضبط أرقبهم وأتعجب.

ساركا : تعلمين، لا أحب أن يبدأ الهمس هكذا بين أفراد العائلة.

جينا : لوترين، إنه شيء غير لطيف.

ساركا : لأن أفراد العائلة ماداموا يلومون ويتشاجرون ويغتابون بعضهم البعض بصوت عال فإنه يمكن القول حتى ذلك الحين أن هذه هي الصراحة والحب العائليان، ولكن حينما يبدأ الهمس. . . !

ميتشا : الحق أقول لك أيتها القريبة ساركا، وأنا أيضا لا أحب الهمس. هذا ليس من النبل.

ساركا : طبعا ليس من النبل. وهكذا كاد زوجي الأول أن يطلقني بسبب همسي. ولو كان قد طردني فهل سيعتبر هذا من النبل؟

تريفون : وزد على ذلك لو علمتم عم كانوا يتهامسون؟

جينا : ومن سيعلم ذلك؟

تريفون : أعلم أنا إذا كنت لا تعلمين.

ساركا : فقل لنا أيضا.

تريفون : ذهبوا لكي يستعدوا للانتقال إلى هنا.

جينا : ماذا تقول؟

تريفون : ما قلته لك.

بروكا : تريفون على صواب، هذا ولا شيء غيره، ها هي رأسي. إن أجاتون سينتقل إلى هنا.

تريفون : إذا كان أجاتون سينتقل فسأنتقل أنا الآخر وربي!

ساركا : ولماذا أنت أيضا؟

تريفون : سينتقل أجاتون، أليس كذلك، لكي يحرس هذه الأشياء حتى لا يتم نقلها وحتى لا تتم سرقتها. أما أنا فسأنتقل لكي أحرس نفس هذه الأشياء من أجاتون. إنني أعرفه معرفة جيدة.

بروكا : الرجل يقول الحق.

تريفون : ولن يسبقني والله، سأنتقل إلى هنا قبله! أنا ذاهب (ينصرف).

المنظر الثاني عشر

شخصيات المنظر السابق بدون تريفون

جينا : كل الناس سينتقلون إلى هنا؟

ساركا : عجبا، ألن تنتقل أنت أيضا أيها القريب ميتشا؟

ميتشا : من يقـول إنني لن أنتقـل؟ إذا كان من واجـب أحد أن يتواجد هنا باعتباره حارسا فهذا هو واجبي أنا في المقام الأول.

ساركا : وهل تنوي أن تحرس الأشياء أم بنت الأخت؟

ميتشا : على كل حال، اعترفي أيتها القريبة ساركا إنها جميلة.

ساركا : اعترف.

ميتشا : إني ذاهب لإحضار حقيبتي الصغيرة. سـأكون هنا قبل جميع الآخرين (ينصرف).

المنظر الثالث عشر

بروكا وجينا وساركا

جينا : يا للعجب، إن العائلة بأكملها ستنتقل إلى المنزل؟

ساركا : بأكملها. طبعا!

جينا : (مخاطبة بروكا) وماذا بشأننا؟ ألسنا أحق منهم؟

بروكا : أنا من رأيي يا جينا أن ننتقل نحن أيضا.

جينا : طبعا يا بروكا أن ننتقل. سيتملكني الحزن على نحو ما، وكما يقولون سـأتذكر المرحوم بـاستمرار. . (تنفجر في البكاء).

ساركا : لماذا أيتهـا القريبـة جينا تبكين الآن، ألأنـك ستنتقلين؟ بينما أنت تبكين سيحتل أجاتون جميع الغرف.

جينا : تقولين الحق. هيا يا بروكا! (تتحرك) وأنت يا ساركا؟

ساركا : أنـا لن أفـرض نفسي. سأحضــر أنـا أيضا ولكـن فيما بعـد، فإذا بقـي لي مكان فهـذا حسن، وإذا لم يكـن لي مكـان فسأعـود إلى منـزلي الصغير. فـلا داعي لقلقـي مادمتم هنا بعددكم الكبير.

جينا : صحيح، تقولين الحق، وداعا يا ساركا.

ساركا : صحبتك السلامة.

جينا : تنصرف مع بروكا.

المنظر الرابع عشر

ساركا ودانيتسا

ساركا : (بعد أن تصبح بمفردها تتجـه إلى الحجرة اليمنى وتطل ثم تذهب إلى الحجرة اليسرى. وفي الطريق تخلع القبعة والمعطف الخفيف).

دانيتسا : (تدخل وحينما ترى أنه لا يوجد أحد تتنهد في ارتياح).

ساركا : (تطل من الباب في عدم مبالاة وقد خلعت بعض ثيابها) من فضلك، هل يوجد بالمنزل أي شبشب؟

دانيتسا : (تندهش) حضرتك هنا؟

ساركا : أجل، لقد اخترت هذه الحجرة وأقيم فيها، ولكني لا استطيع السير في المنزل بدون شبشب.

دانيتسا : (تحرك يديها في قلق) يا إلهي!

«ستار»

الفصل الثاني

نفس الحجرة

المنظر الأول

ساركا وميتشا

ساركا : (ترتدي روبا منـزليا خاصا بالرجـال وتنتعل شبشبا ضخما خاصاً بالرجـال. تجلس على أريكة وتتفرج على مجلد لحفظ الصور وهي تدخن سيجارة).

ميتشا : (يأتي من الخارج ويحمل حقيبة صغيرة) هل وصلت إلى هنا أيتها القريبة ساركا؟

ساركا : إنني لم أصل إلى هنا بل إنني لم أرحل من هنا.

ميتشا : أبقيت هنا؟

ساركا : طبعا بقيـت! أكنت أسمـح بأن يـأخذ أحـد مني هـذه الحجـرة ذات الشرفـة. إنني في شـوق لأن أرى العـالم قليلا.

ميتشا : إنني كنـت مضطـرا للـذهــاب إلى المنـزل لكـي آخـذ الحاجيات الضرورية.

ساركا : و لكن أية حاجيات، إنني لن أمكث هنا طوال عمري. لقد تجولت قليلا بالمنزل فوجدت روب المرحوم وشبشبه وها أنذا، ماذا ينقصني؟

ميتشا : وهل أتى أحد آخر؟

ساركا : لقد أتى الجميع.

ميتشا : هل أتى الجميع؟

ساركا : بالطبع الجميع!

ميتشا : واحتلوا الغرف؟

ساركا : طبعا احتلوها! وهاهما في تلك الحجرة أجاتون وسيمكا. وهنا أنا.

ميتشا : وهنا؟

ساركا : هناك تناسيه مع فيدا.

ميتشا : وبروكا؟

ساركا : إنه هناك، في الحجرة التي تطل على الفناء، أما تريفون فهو في تلك الحجرة الموجودة بالطابق العلوي.

ميتشا : فأين سأقيم أنا؟

ساركا : لقد بقيت غير مشغولة «حجرة المرحوم فقط» تلك التي توفي فيها.

ميتشا : على أية حال، هذه الحجرة تخصني.

ساركا : يمكنك أن تقيم هناك، فقط في حالة إذا كنت لا تخاف.

ميتشا : ومم أخاف؟

ساركا : أقول، قد يظهر لك المرحوم ليلا في المنام.

ميتشا : فليظهر، إنني أتمنى أن يظهر لي. الحق أقول لك أيتها الصديقة ساركا إنني أتمنى أن أتحدث معه هكذا، وجها لوجه.

ساركا : أريد أن أرجوك شيئا أيها القريب ميتشا. إذا ظهر لك المرحوم فاسأله بالله عليك ماهي صلة القرابة بينه وبين أجاتون وسيمكا، فقد ضقت ذرعا بقرابتهم تلك.

ميتشا : لا تقلقي أيتها القريبة ساركا فسأسأل عن أجاتون وعن كثيرين آخرين (وهو يصعد على السلم)، لأن الجميع الآن على قرابة وثيقة، وكأنني غير موجود (ينصرف).

المنظر الثاني

ساركا وجينا

جينا : (تأتي من الخارج في حذر شديد وهي تلتفت يمنة ويسرة ودون أن ترى ساركا، تجتاز خشبة المسرح على أطراف أصابعها وهي تتأبط علبة سوداء ضخمة بداخلها الطقم الفضي لأدوات المائدة).

ساركا : (تلتفت وتلمحها) من أين جئت يا جينا؟

جينا : (تصرخ في ذعر وتضع على الفور العلبة وراء ظهرها وتستند إلى الجدار على العلبة لكي تتمكن من تحرير يديها) أوه، أوه . .

ساركا : ماذا بك يا صاحبتي .

جينا : (في اضطراب فظيع) أوه، لقد فزعت فزعا شديدا .

ساركا : ولماذا تفزعين، لست أنا روح المرحوم، ومن أين جئت بالله عليك؟

جينا : من هناك . . كنت . . . خرجت قليلا من الحجرة لكي أتمشى ومررت على حجرة الطعام لكي أزيل الغبار .

ساركا : عجبا أيتها القروية جينا، ولماذا تزيلين أنت الغبار، هناك في هذا المنزل من سيزيل الغبار؟

جينا : يوجد طبعا، ولذلك لا يوجد غبار ولكنني تعودت على ذلك .

ساركا : أجل، وأقول لك الحق إنني أيضاً مثلك! فأنا أحب أن أزيل الغبار في منازل الغرباء أكثر من أي شيء آخر .

جينا : إذن أنت تعلمين ذلك، ولذا مكثت هناك . شاهدت تلك الأشياء، وكل شيء يذكرني بالمرحوم . ورأيت ذلك الكرسي الذي كا ن يجلس عليه والطبق والسكين والشوكة، فأخذ الحزن يخنقني، ثم نظرت إلى المملحة فخطر ببالي يا إلهي، لقد كان المرحوم حتى الأمس يضبع من هذه المملحة . . . (تنفجر في البكاء) .

ساركا : هاهي الآن، ليس من اللازم أن تبكي لأن المرحوم كان يضبع من تلك المملحة .

جينا : لا يلزم، ولكني هكذا حينها أتذكر، وأنا اختنق حزنا.

ساركا : دعي هذا بالله عليك، ولكن ماذا بك أيتها المرأة، فقد التصقت بالجدار كما يلتصق طابع التمغة؟

جينا : (في ارتباك) كيف أقول لـك.... الـ.. إنني لم التصق بل هكـذا، استندت إلى الجدار، لقـد أصيبت قـدماي بشيء من الشلل فاستندت قليلا.

ساركا : اذهبي إذاً إلى الحجرة وارقدي.

جينا : لا استطيع، لا يمكنني أن أتحرك.

ساركا : أتريدين أن أوصلك؟

جينا : لا، اذهبي أنت إلى حجرتك وسأذهب أنا رويدا.

ساركا : (تقترب منها) كيف أذهب بالله عليك وأتركك هكذا بجانب الجدار؟ (تريد أن تطوقها بيدها) تعالي، استندي عليّ!

جينا : (في يأس) لا، لا، إكراما للرب.

ساركا : عجبا، يا جينا البائسة، ماهذا الذي وراء ظهرك؟

جينا : (في ذعر) ماذا؟

ساركا : (تجذب العلبة) هذه؟

جينا : هذه؟ تبدو وكأنها علبة.

ساركا : ليست علبة. بل الطقم الفضي يا جينا!

جينا : سيكـون الطقم، صـدقيني، مادمـت أنـت قد قلـت هكذا.

ساركا : (تفتح العلبة) طبعا الطقم الفضي.

جينا : يا للعجب، من كان يظن ذلك؟

ساركا : ماذا تقصدين بقولك «من كان يظن ذلك»؟

جينا : أقصد هذا ، كنت اعتقد أنها علبة.

ساركا : دعينا مما كنت تعتقديـن، ولكن باللـه عليك ألم تجدي شيئا أقل قيمة من الطقم الفضي؟

جينا : وربي يا ساركا، لقد أخـذته كذكرى فحسب. تعلمين مقدار حزني على المرحوم.

ساركا : أعلم، كيف لا أعلم.

جينا : قلت إنـه من العـدل أن آخذ شيئـا صغيرا للذكـرى من أجل حزني الكبير.

ساركا : حيث إنك أردت شيئا صغيرا فلماذا لم تـأخذي المملحة مادامـت قد أثـارت حزنك بـدلا من أن تـأخذي طقما فضيا كاملا؟

جينا : أقول لك الحق يـا ساركا لقد أخذته لكـي أخفيه. فإني أرى أجاتون يطوف مع سيمكا بالمنزل ويتجول في جميع الأنحاء. فقلـت إذا لمح أجاتون هـذا الطقم الفضي.. وتعـرفين أخلاقـه، وهو أيضـا يتـوق توقـا شديـدا إلى الأشياء الفضية.

ساركا : هذا صحيح (تتذكر) ياه! إنه يستطيع أن يخفي منبهي أيضا.

جينا : وفي أية حجرة هذا المنبه؟

ساركا : في حجرته بالذات.

جينا : إذن عليك أن تعلمي أن هذا المنبه في حقيبته بالفعل.

ساركا : ماذا تقولين؟

جينا : هذا الذي قلته.

ساركا : والله لن يأخذه مني ولو أدى ذلك إلى تصارعنا. هل قلت إن أجاتون وسيمكا موجودان هناك في أحد الأماكن؟

جينا : هناك طبعا!

ساركا : حسن يا جينا، احملي أنت هذا الشيء الصغير من أجل الذكرى وأخفيه في حقيبتك فربما يأتي أجاتون وأنا أعرف ماذا سأفعل.

جينا : (وهي تتجه للخروج) ولكن يا ساركا تعرفين كيف الحال، فلا ينبغي إذاعة مثل هذه الأمور.

ساركا : لا تقلقي، أعرف ماهو السر العائلي.

جينا : أجل، هذا الأمر لابد أن يظل سرا بيننا (تنصرف وهي تحمل العلبة).

المنظر الثالث

ساركا وأجاتون وسيمكا

ساركا : (تلتفت يمنة ويسرة وحينما ترى أنه لا يوجد أحد تذهب بحذر إلى حجرة أجاتون).

أجاتون : (يأتي من الباب الجانبي ووراءه سيمكا. وهو يسير متصلبا لأنه وضع تحت ظهر المعطف صينية فضية ضخمة يطل طرفها السفلي).

ساركا : (تخرج من حجرتهما وهي تحمل شيئا ملفوفا في منديل جيب. تشعر بمفاجأة غير بهيجة نتيجة لالتقائها بأجاتون وسيمكا ويتملكها الاضطراب وتدس اللفافة في روبها).

سيمكا : انظر، لماذا كنت في حجرتنا؟

ساركا : تعلمين، أردت أن أمسح الغبار.. لا، أي غبار، ماهذا الذي أقوله؟ وإنما لم أكن أعلم أين تركت الشبشب.

أجاتون : هاهو الشبشب في قدميك.

ساركا : (تنظر) انظر، هذا صحيح!

سيمكا : صحيح طبعاً، ولا أعلم فحسب لماذا تبحثين في حجرتي عن الشبشب؟

ساركا : يا إلهي يا سيمكا، إننا لسنا غرباء. بحيث لا يمكنني أن آتي عندك. ربما يمكنني، إلى هذا الحد، أن أدخل حجرتك وأن تدخلي حجرتي.

سيمكا : إننا أقرباء واحضري عندي عندما أكون موجودة في «الحجرة» ولا تتسللي إلى الحجرة وأنا غير موجودة.

ساركا : يا إلهي يا سيمكا، لعلك تظنين أنني دخلت الحجرة من أجل قصد مريب؟

أجاتون : لا، ولكن هذه اللفافة . .

ساركا : لقد أصابني الجوع فأخذت فطيرتين صغيرتين. هذا كل ما هنالك.

أجاتون : ولماذا دسست الفطيرتين تحت الروب حينما رأيتينا؟

ساركا : يبدو وكأنك ترتاب في شيء. اسمع يا أجاتون، لم أتوقع هذا منك. ربما لم. . . لا تخف، إنني لست من أولئك، كنت أسمح بقطع أصابعي قبل أن أمس أشياء غيري. (وفي تلك اللحظة يصدر المنبه الموجود تحت روب ساركا رنينا عاليا فظيعا. يشحب وجهها ويتملكها الذعر والاضطراب وتلتفت حولها وتصرخ) آه. . آه!

سيمكا : ماذا بك يا امرأة؟

أجاتون : يبدو وكأنك تصدرين رنينا يا ساركا؟

ساركا : (تضغط على المنبه وتحاول أن تسكته دون فائدة) من أين أصدر رنينا؟ ولماذا أصدر رنينا؟

أجاتون : تصدرين وربي رنينا شديدا!

ساركا : لا أصدر رنينا، صدقني، إنني لست بطارية كهربائية حتى أصدر رنينا.

أجاتون : هاهو اسمعي يا سيمكا.

سيمكا : (تزيد من اقترابها من ساركا لكي تسمع).

ساركا : (تغني لكي تغطي على صوت المنبه) ترا، لا، لا! ترا، لا، لا!

سيمكا : (في استغراب) كان الرب في عونك يا ساركا، أتغنّين في هذا المنزل؟

ساركا : (في اضطراب فظيع) أوه، يا إلهي! (تلتفت يمينا ويسارا! ثم تلقي باللفافة على «الفوتيه» في يأس وتجلس عليها وهي خائرة القوى منهكة لعلها تكتم صوته. وآنذاك ينقطع رنين المنبه فتهدأ وتنظر في يأس مرة إلى سيمكا وأخرى إلى أجاتون، ماذا حدث بالله عليكم أيها الناس؟

أجاتون : كنت تصدرين رنينا يا ساركا، هذا هو ما حدث.

سيمكا : وكنت تغنين.

ساركا : (ترسم إشارة الصليب) اللهم احفظنا، من المؤكد أن هذه أرواح.

أجاتون : ليست هذه أرواح يا ساركا بل إنه المنبه.

ساركا : عجبا، أي منبه؟

أجاتون : هذا الذي تجلسين عليه.

ساركا : لماذا أجلس على منبه، وأنا لم أجلس في حياتي أبدا على منبه، فلماذا أفعل الآن؟

أجاتون : إنني أحدثك عن ذلك المنبه الذي أخذتيه من حجرتنا.

ساركا : يا للعجب!

سيمكا : يا إلهي. إنك قادر على كل شيء! وأنا قلت لأجاتون صباح اليوم: املأ، بالله عليك، هذا المنبه لكي نسمعه وهو يصدر رنينا.

ساركا : وها أنت قد سمعته الآن!

سيمكا : سمعته طبعا!

أجاتون : إنه لعار عليك يا ساركا، لابد أن أقول لك إنه لعار! إننا لم نأت إلى هذا المنزل لكي ننهب بل لكي نحمي أملاك المرحوم وأنت... هيا بالله عليك يا سيمكا، اتركيها وشأنها! (يتحرك بغضب ناسيا أن الصينية وراء ظهره، ويدير ظهره لساركا).

ساركا : (تلمح الصينية) انتظـر، انتظر أيها الصديق أجـاتو ن. أريد أن أسـألك وأنـت على نحو مـا لا تعطيني فـرصة الكلام: ماذا بك يا رجـل يدفعك إلى التسمر كما تفعل العروس عند خطبتها؟

أجاتون : لا أعرف، ألم الروماتيزم يخشب ظهري.

ساركا : إنني أرى أنه روماتيزم بالفعل، ولكن يمكنني أن أقول إنه روماتيزم من الفضة.

أجاتون : ومع أنه من الفضة إلا أنه لا يصدر على الأقل رنينا.

ساركا : إنه لا يصـدر رنينا ولكنني لـو شددت الحبـل فيمكن أن يصدر رنينا يدوي في أنحاء البيت.

أجاتون : عليك أن تسكتي!

ساركا : سأسكت، أردت أن أقول لك مـا قلته أنت منذ قليل، إننا لم نحضر إلى هذا المنزل لكي ننهبه بل لكي نحرسه.

أجاتون : طبعا لكـي نحرس! ولذا فقـد أخذت أنا هـذا، وليس هناك سبب آخر غير هذا.

ساركا : طبعا لهذا السبب!

أجاتون : ولم يحدث أن تسللت إلى حجرات الآخـرين وأخذت، بل حدث هذا بمحض الصدفة، هكذا في الطريق.

ساركا : أجل، صحيح ما تقول.

أجاتون : كنـت أنـا وسيمكا متجهين إلى الحديقـة لكـي نقطـف بعض الـزهور، وهكذا اتجهنـا إلى الحديقة ومـررنا على حجـرة الطعـام ولمحـت هنـاك هـذه الصينيـة فقلـت لسيمكا: لماذا نذهب إلى الحديقة لكـي نقطف الزهور، من الأفضل أن نأخذ هذه الصينية.

ساركا : طبعا من الأفضل!

أجاتون : هذا صحيح! قلت: من الأفضل يا سيمكا أن نأخذ الصينية. وسأقول لك لماذا أعتقد أنه من الأفضل. لن أقول لأحد آخر، ولكني سأقول لك، انظري، تريفون هذا قادر إذا وصلت يده إلى هذه الصينية أن يحملها على الفور إلى بنك الرهونات، لكي يجد ما يقامر به. ويمكن القول إنني أنقذت الصينية بأخذي إياها.

ساركا : ما تقوله صحيح، وأنا أيضا أنقذت المنبه.

أجاتون : حسن، فليكن لك، ولكن تعلمين يا ساركا لا ينبغي أن يسمع أحد بذلك لأنه إذا انهال الجميع لكي ينقذوا . . .

سيمكا : وفقا لطبيعتهم فهم قادرون على نهب المنزل كله.

أجاتون : ولذا هيا ليذهب كل منا إلى حجرته لكي نفرغ حمولتنا.

ساركا : (كانت لا تزال جالسة على المنبه، تنهض) حقا، هيا بنا لأنني أصبت بكدمات لا مثيل لها. (الجميع يفترقون إلى حجراتهم).

المنظر الرابع

ميتشا ودانيتسا

ميتشا(يهبط السلم آتيا من حجرته)، دانيتسا (تأتي في نفس الوقت من الوسط).

ميتشا : يا لها من مفاجأة لطيفة! أنت أول من التقي به في المسكن الجديد

دانيتسا : أي مسكن جديد؟

ميتشا : لقد انتقلت أنا أيضا إلى هنا.

دانيتسا : (وهي مشدوهة) وأنت أيضا؟

ميتشا : كيف و«أنا أيضا»؟ أنا في المقام الأول، أنا قبل الآخرين جميعاً.

دانيتسا : بربكم، ما هذا الذي يحدث هنا، وكأنه منزل خال؟

ميتشا : فعلا، لقد هجم الجميع.

دانيتسا : خالتي المسكينة أصيبت بالمرض بسبب الحسرة وأنا أيضا...

ميتشا : لا أرى سببا لأن تضطر للإصابة بالمرض من أجل ذلك؟

دانيتسا : كيف بالله عليك؟ إن هذا . . . إنني ببساطة لا يمكنني أن أفهم كيف استطاع هؤلاء السادة والسيدات أن ينتقلوا إلى هنا. هل سأل أحدهم المحامي، وهل وافق على ذلك؟ هل سألت أنت ـ على سبيل المثال ـ المحامي؟

ميتشا : كيف أسأل أنا المحامي؟ ولماذا أسأل أنا المحامي؟ كانت بمقدوره أن يسألني: «هل تريد يا سيدي أن تنتقل إلى المنزل؟» عليه هو أن يسألني، لا أن أسأله أنا.

دانيتسا : أنا حقيقة لا أعرف ماذا أفعل؟

ميتشا : كوني مطمئنة. لا ينبغي لفتاة في مثل جمالك أن تغتم.

دانيتسا : لا، بل ربما أن انظر بلا اكثرات إلى كل هذا الذي يحدث.

ميتشا : ليس بلا اكثرات. وها أنذا أيضا حينما أكون بجانبك فلست غير مكترث. ولو وددت أن تمنحيني الفرصة لتأكدت أنني لست غير مكترث بك.

دانيتسا : سيدي، حذرتك مرة من قبل بالتزام الأدب. إذا لم يكن هذا يكفيك فأنا أعرف كيف أحذرك بطرق أخرى.

ميتشا : يا إلهي، يا إلهي، فتاة بهذا الجمال وبهذه الخشونة. بالله عليك، لابد وأن نتفاهم على نحو ما، سنجلس سويا في نفس المسكن، وتقريبا تحت سقف واحد.

دانيتسا : إنك تخدع نفسك يا سيدي، لن أمكث أبدا تحت سقف منزل تكون أنت فيه.

ميتشا : هل لعلك تنوين الرحيل؟

دانيتسا : وسأفعل هذا أيضا، ولكن قبل ذلك سأذهب إلى المحامي لكي أطلعه على كل ما يحدث هنا.

ميتشا : وما شأنه بذلك؟

دانيتسا : إنني أعرف أنه الوصي وأنه يرعى المنزل، ولذا فإنه أفضل من يعلم هل يجوز أن نجعل من هذا المنزل معسكرا. (تنصرف).

المنظر الخامس

ميتشا وأجاتون وسيمكا.

ميتشا : (ينظر في أثرها، يجلس ويشعل سيجارة).

أجاتون : (يعود من الحجرة وخلفه سيمكا) انظر، وأنت هنا أيضا؟

ميتشا : (وهو يشعر بالمهانة) كيف تقول: «انظر، وأنت هنا أيضا»؟ لعل لدي الحق قبلكما لأن أقول: انظر، وأنتما هنا أيضا؟

أجاتون : يا صاحبي، لو اقتصر الأمر عليك وعليّ لكان هينا، وبالفعل مكاننا هنا، ولكن العائلة كلها انقضت.

ميتشا : هل انقض الجميع بالفعل؟

أجاتون : الجميع طبعا! ههنا في هذه الحجرة ساركا. وهي تجلس طوال اليوم في الشرفة، وإذا خرجت من الحجرة فإنها تصدر رنينا. وهناك يوجد تناسيه وفيدا وهما طوال اليوم يجلسان في الحجرة ويحسبان لكل فرد منا درجة قرابته بالمرحوم. وهناك أيضا بروكا وجينا، وقد أخذا تلك الحجرة التي توجد فيها خزانة المرحوم وجينا تبكي طوال اليوم بجانبها. وهناك بالطابق العلوي تريفون وقد وجد في حجرة الطعام أوراقا قديمة للعب فيوزع الأوراق على اثنين ويلعب مع نفسه.

سيمكا : وأية حجرة أخذت أنت؟

ميتشا : أنا؟ أخذت تلك الحجرة التي تخصني، فقد أخذت حجرة المرحوم.

سيمكا : إن القنديل مازال مشتعلا هناك؟

ميتشا : لقد أطفأته حقا.

سيمكا : كيف تطفئه بالله عليك، لقد كان مشتعلا من أجل روح المرحوم.

أجاتون : ولو يا سيمكا، لقد اشتعل أسبوعا كاملا فبماذا سيفيده أكثر من ذلك؟

ميتشا : فعلا!

المنظر السادس

جينا وشخصيات المنظر السابق

سيمكا : (عند ظهـور جينا) في هذه اللحظـة بالذات كنـت أقول للقـريب ميتشـا إن قريبتنـا جينا قـد انزوت في الحجـرة وتبكي طوال اليوم.

جينا : ماذا أفعل، من سيحزن على المرحوم إن لم أفعل أنا؟

أجاتون : وأين زوجك بروكا؟

جينا : لقد ذهـب إلى البلديـة لكي يبحـث عن الخبير القـانوني لكي يسأله: هل لنا الحق في أن ننتقل إلى المنزل؟

أجاتون : ولماذا يسأل عن ذلك؟

ميتشا : إنه أمر واضح من نفسه.

سيمكا : ولماذا لم يسأل أجاتون فهو يعرف هذه القوانين.

جينا : أنتم لا تعلمون كل ما حـدث، فقد حضرتم وقد انتهى كل شيء بعدما كان بروكا قد استولى على المنزل.

ميتشا : كيف استولى على المنزل؟

جينا : لا تعـرفون كيـف استقبلتنا تلـك الخالـة لأننا أول مـن وصلنا.

سيمكا : ولماذا تتدخل هي في ذلك؟

جينا : لقد استقبلتنا وكأننا أعداء ولسنا من أفراد العائلة. ولم تشأ أن تسمح لنا بالانتقال إلى المنزل، وقالت إنها مؤتمنة على المنزل ولابد أن تحافظ عليه.

سيمكا : أترين ـ إذا سمحت ـ كيف تتظاهر بأنها المالكة لأملاك غيرها.

جينا : وأوصدت المنزل ولم تسمح لنا بالدخول.

سيمكا : وكيف دخلتم؟

جينا : حمدا لله. إن ساركا كانت موجودة بالمنزل ففتحت لنا من الداخل، أما بروكا فقد دفع حقا تلك الخالة بكوعه فذهبت وهي تهدد بإبلاغ الشرطة. وهذا هو سبب ذهاب بروكا لكي يستفسر.

سيمكا : حسن، أنت يا أجاتون على الأقل تعرف القانون، فهل باستطاعتها أن تشكونا إلى رجال الشرطة.

ميتشا : أعتقد أننا باعتبارنا أفراد العائلة لنا الحق في الانتقال؟

أجاتون : كيف أقول لك.. القانون مرن للغاية في هذا الشأن: يمكن أن يكون على هذا النحو، ويمكن أن يكون على ذاك النحو.

ميتشا : لا أستطيع أن أفهم ذلك، كيف يمكن أن يكون القانون على هذا وذاك النحو.

أجاتون : هناك مثل هذه القوانين!

المنظر السابع

تناسيه وفيدا وشخصيات المنظر السابق

فيدا : (تنتفض) عجبا، هل هذا نوع من الاجتماع؟ هل نعود إذا كنا نضايقكم؟

سيمكا : لماذا تضايقوننا؟ إننا نهتم بهمكم أيضا لأن رجال الشرطة سيطردونكم كما سيطردوننا.

تناسيه : كيف ولماذا يطردنا رجال الشرطة؟

ميتشا : بسبب المرونة!

تناسيه : بسبب أية مرونة؟

ميتشا : بسبب مرونة القانون الذي بسببه يمكن أن يكون الأمر على هذا أو ذاك النحو. هاهو اسأل القريب أجاتون.

تناسيه : لماذا لا تتكلم يا أجاتون؟

أجاتون : ماذا علي أن أقول؟ يمكنهم أن يطردونا إذا كنا قد انتقلنا إلى المنزل دون وجه حق.

سيمكا : تهددنا الخالة بأنها ستطردنا عن طريق رجال الشرطة.

فيدا : عجبا، يا له من حظ! نحن أفراد العائلة وليس لدينا الحق؟!

تناسيه : حسن يا أجاتون، أعتقد أنك أفضل من يعرف هذا بصفتك رجل قانون؟

أجاتون : طبعا أعرف!

تناسيه : حسن - إذن - مادمت قد انتقلت.

أجاتون : أنا، هـذا شيء آخر! لا تقارن نفسـك بي. لو كنـت أنا بمفردي الـذي انتقلت لأمكن على نحـو ما تبريـر هذا أمام القانون، ولكنكم تكأكأتم جميعا وملأتم المنزل.

سيمكا : أجل، بالطبـع! حسن، الأمر على ما يرام بـالنسبة لكم أنت يا تناسيه وأنت يا فيدا ومثلا صديقنا ميتشا، ولكن ماذا ستفعـل هنا تريفـون ثم سـاركا؟ وفي النهايـة جميع الآخـرين لهم الحق على نحـو مـا ولكـن لو سـأل المرء ساركا هذه ماذا ستفعل هنا؟

المنظر الثامن

ساركا وشخصيات المنظر السابق

ساركا : (وهي مرتدية ثيابها) قلـت فلأخرج ولألتق بأي أحد. فقد جف فمي وأنا في الحجرة.

أجاتون : أجل، بلليه قليلا.

ساركا : في الحقيقـة. إنها لمتعـة عظيمـة أن تقيـم في حجـرة لها شرفة. وأجلـس هكذا في الشرفة فـأشعر، أقـول لكم الحق، كـأننـي مـولـودة بـالشرفـة. والنـاس يمـرون ويمرون.. أقول لكم، إنها متعة حقيقية.

المنظر التاسع

تريفون وشخصيات المنظر السابق

تريفون : (يظهر على السلم) أهذا اجتماع؟ (وهـو يهبط)أنت أيها الأخ أجـاتون، منـذ الآن حينما تريـد أن تعقد اجتماعـا عائليـا فعليك أن تنفـخ في بوق أو أن تقـرع على طبلة لكي نجتمع.

أجاتون : فعلا وينبغي أن نجتمـع لأن لدينا مصيبة مشتركـة لابد أن ننشغل بها.

تريفون : وماهي؟

أجاتون : هي أنكـم كلكم تكأكأتـم وانتقلتم إلى هنا. ولـو أنكم تركتموني أنا وحدي..

تريفون : ولو، من الأفضل أن نكون جميعا سويا.

أجاتون : من الأفضل، سنرى ما إذا كان من الأفضل.

المنظر العاشر

بروكا وشخصيات المنظر السابق

بروكا : (يأتي من الخارج) هل أنتم جميعا هنا؟

الجميع : ماذا حدث؟

بروكا : غير صحيح!

جينا : ماهو غير الصحيح؟

بروكا : كنت عند محامي البلدية وقال لي إننا خالفنا القانون بانتقالنا إلى المنزل.

أجاتون : طبعا خالفتم القانون بانتقالكم، هذا ما قلته. ولو أنكم تركتموني بمفردي لكان كلّ شيء مختلفا.

تريفون : أجل، كان سيختلف الأمر تماما.

تناسيه : حسن يا أجاتون، هيا، ما قولك في هذا، ماذا نفعل الآن؟

تريفون : أن نرحل من هنا كما جئنا.

جينا : أوه، من سيتحمل هذه الفضيحة أمام الناس؟

بروكا : ستكون هذه فضيحة كبيرة، يفضل أن تذهب أنت يا أجاتون إلى المحامي.

أجاتون : إلى أي محام؟

بروكا : إلى هذا الوصي، وأن توضح لـه بلباقة كيف انتقلنا إلى هنا بنية حسنة.

أجاتون : بالنسبة لي أعرف أن نواياي كانت طيبة.

ساركا : وهل نواياي أنا لم تكن طيبة؟

أجاتون : أجل وأنت أيضا.

جينا : كيف أنتم فحسب، لقد جئنا كلنا بنوايا حسنة.

ساركا : جينا تقول الحق، لقد جئنا كلنا بنوايا حسنة.

بروكا : دعوا الآن أسباب حضور كل شخص، ولكن ما رأيك يا أجاتون، أتريد أنت أن تذهب إلى المحامي؟

بعض الأصوات : طبعا، لابد!

أجاتون : مادمتم قد قلتم فسأذهب!

ميتشا : وما رأيك يا أجاتون أنك عندما تخوض هكذا في الحديث معه أيمكنك بهذه المناسبة أن تستفسر منه عن صيغة الوصية؟

بعض الأصوات : أجل، أجل. سيكون هذا أمرا طيبا.

أجاتون : لقد جربت ذلك، لم أفوت الفرصة، ولكن دون جدوى. إنه لا يريد أن يذكر كلمة واحدة، يقول إنه لا يعلم.

بروكا : كيف لا يعلم وهو الذي كتب الوصية.

أجاتون : إنه يعلم طبعا ولكن لا يمكنك أن تنتزع منه كلمة واحدة.

تريفون : أنت يا أجـاتون تتفاخر على الـدوام بأنك محقق مـاهر، فهاهي الفرصة، اثبت ذلك الآن.

أجاتون : إنني لا أتفـاخر، وإنما أنـا بالفعـل أعتبر أكثر المحققين مهارة. كنت أقدر على استخـراج الاعتراف من فم كل مـذنـب. ولكن كـانـت لي مـن أجـل ذلك أسـاليـي الخاصة. أسـأل المتهم بـإنسانيـة وكما يقولـون بطريقـة آدمية. وهو لا يـريد أن يعترف. إنه لا يريـد، حسن! وأصدر أمرا بضربه في الحبس وعندما يتعرض للضرب العنيف يعترف بسهولة. وماذا بإمكانه إلا أن يعترف. أقول لـك، كانـت لدي وسائلي وكنـت محققا غـاية في المهارة، ولكن ذلك شيء أما هذا فشيء آخر لا يمكنني فقـط أن أصـدر أمـراً بضرب المحـامـي لكـي يعترف بالمكتوب في الوصية.

تناسيه : طبعا، لا يمكن.

بروكا : أيها الناس دعوا هذه الأحـاديـث الجوفاء حتى لا نضيع الوقت. وإنما عليك يا أجاتون أن تذهب إلى المحامي.

فيدا : قل له إننا انتقلنا إلى هنا باعتبـارنا أفراد العائلة، ونحن لسنا غرباء من الشارع.

سيمكا : وربما لنا حقوق أولى من حقوق الخالة.

ميتشا : وقل له أيها القريب أجاتون إننا نحن الورثة.

بروكا : وقل له إننـا فيما عدا ذلك نحترم القانـون ولا نرغب في الاستهانة به.

جينا : وقل له إننا انتقلنا إلى المنزل للحفاظ عليه حتى لا يأخذ أحد أي شيء.

تناسيه : وقل له إننا كلنا أشخاص أمناء مرموقون.

تريفون : وقل له إننا سنستشير محامين آخرين.

أجاتون : لا تعلموني ما سأقوله. لقد تعاملت كثيرا من المرات مع المحامين فربما أعرف ماذا أفعل.

بروكا : فهيا بالله عليك، اذهب!

ميتشا : (الذي ما انفك يطل عبر الباب الزجاجي على أمل أن يلمح دانيتسا) لا يلزم أن يذهب القريب أجاتون، هاهو المحامي قادم إلى هنا.

الجميع : (في دهشة) قادم؟

ميتشا : أجل، قادم معها.

جينا : أقادم مع الخالة؟

ميتشا : ليس مع الخالة، بل مع تلك.

سيمكا : هل مع تلك الفتاة؟

ميتشا : لقد ذهبت منذ قليل لكي تبلغه بأننا انتقلنا.

أجاتون : إذن هذا يغير الموقف. ولكن، أتعرفون، لا يمكننا أن نتحدث معه جميعا، وأعتقد أنه سيكون من الأفضل أن تنسحبوا كلكم وأن تتركوني هنا.

بروكا : لعله.. من الأفضل ألا يرى مثل هذا الحشد الكبير.

أجاتون : وأنا أيضا سأنسحب فلا أريد أن يبدو الأمر وكأنني أنتظره بشكل خاص، وإنما سأحضر فيها بعد وكأنها مصادفة.

تناسيه : أجل، أجل، فلنفترق! (الجميع يفترقون إلى حجراتهم).

المنظر الحادي عشر

دانيتسا والمحامي

المحامي : (يأتي من الخارج مع دانيتسا) أين إذن هؤلاء الورثة؟

دانيتسا : (وهي مرتدية ملابس الخروج بعد أن حضرت من الخارج) في حجراتهم.

المحامي : في أية حجرات؟

دانيتسا : في جميع الحجرات، فقد احتلوا المنزل كله.

المحامي : هيا، يا لها من عائلة غاية في الطرافة.

دانيتسا : هل يثير هذا ضحك؟

المحامي : وأنت أيضا لابد أن تضحكي من كل هذا فلا يوجد هنا شيء مؤسف.

دانيتسا : ولكن كيف لا يوجد بالله عليك وقد أصيبت خالتي ببساطة بالمرض بسبب الغضب.

المحامي : هدئي من روعك، فسيكو ن كل شيء على ما يرام.

دانيتسا : الحمد لله.

المحامي : سأتخذ على الفور الإجراءات، ولكـن أقول لك الحق، إنني أفكر في الطريقة التي أنفذ بها ذلك. وأبسط طريقة أن استدعي رجال الشرطة وأن أطردهم جميعا.

دانيتسا : لا تفعل ذلك أرجوك، ستكون هذه طريقة خشنة أكثر من اللازم.

المحامي : وهذا أيضا هو ما يمنعنـي. وسيكون حدثا غير لطيف بالمرة: طرد العائلة الحزينة كلها. من يعلم كيف سيتم تفسير ذلك، والناس عندنا عاطفيون؟

دانيتسا : لا، لا، لا تفعـل ذلـك عـن طــريـق رجـال الشرطـة مطلقا، ألا توجد أية طريقة أخرى؟

المحامي : الطريقة الثانية أن أطلب مـن المحكمة فتح الوصية على الفور.

دانيتسا : سمعت أنه لابد من الانتظار أربعين يوما لحين فتحها.

المحامي : أجل، كانت هذه رغبـة المرحوم فحسب، ولكن ليس لها سند في القانون وليس من اللازم تنفيذها.

دانيتسا : ومع هذا أليس من الأفضل تحقيق رغبة المرحوم؟

المحامي : وأنا أيضا لا أريد أن أخالفها، ولكنه هو بنفسه تنبأ بمثل هذا الاحتمال، ففي المحضر الذي أعلن فيه عن رغبته في فتح الوصية بعد أربعين يوما أضاف الكلمات القلائل التالية: «إلا إذا وجد الوصي أنه من الضروري التصرف بطريقة أخرى». وبناء عليه يمكنني أن أعتبر أن مثل هذا الموقف يحتم الضرورة وغدا يمكن أن تفتح الوصية.

دانيتسا : وماذا كنت ستحقق بذلك؟

المحامي : تتم معرفة من هو الوريث وعندئذ سيفر جميع الباقين.

دانيتسا : هل سنضطر في هذه الحالة ـ الخالة وأنا ـ من الرحيل من المسكن غدا؟

المحامي : اعتقد أنه لا يلزم أن يكون ذلك غدا، ومن يعلم، ربما لن يلزم أن ترحلي على الإطلاق.

دانيتسا : كيف هذا؟

المحامي : فلنفترض أن الوريث لن يطردكما.

دانيتسا : ولكننا في هذه الحالة لابد من الغد أن ندفع الإيجار. حضرتك تعلم أننا لم نكن ندفع للمرحوم إيجارا. فقد كانت الخالة تشرف على المنزل وفي مقابل ذلك كنا نحصل على مسكن مجاني. وفيما عدا ذلك قدم لنا المرحوم الكثير وخاصة بالنسبة لي. وفي مرات كثيرة كان يدخل السرور على قلبي بهداياه، وفي كثير من الأحيان كان يتحدث معي لساعات. وفي إحدى المرات حينما كنت مريضة لم يتحرك من جنب سريري. كان رجلا غاية في الطيبة والنبل.

المحامي : أعلم كل هذا ولذا فـإني أعتقد أن الوارث المقبل سينظر إليك تماما بعين الاعتبار .

دانيتسا : حضرتك مخطىء! فهم جميعاً ينظـرون إلي شـذراً وبغاية من العـدوانية . هنـا بينهم سأشعـر بالضيـق . أريد أن نـرحـل، رغـم أن هــذا سيسبـب لي ولخالتـي هموماً شديدة .

المحامي : هل العثور على مسكن يعد هما كبيرا بهذا الشكل . .

دانيتسا : ليس هذا، ولكن . . دخل خالتي، وهو معاش بسيط، ليس كبيرا بحيث يمكنه أن يغطي الإيجار وصيانة المنزل أيضا . ساضطر أنا أيضـاً إلى السعي لأن أكسب شيئا . حقيقة، هل يمكنك في هذه الحالـة أن تقبلني كموظفة في مكتبك؟ ولو كان ذلك بأقل راتب، لكي أكسب أي شيء فحسب .

المحامي : سأقبلك بكل سرور .

دانيتسا : (في سرور) أصحيـح؟ كم أنـا مسرورة، وكم ستفـرح الخالة! صدقني، إنها مريضة بسبب هذا الهم . إنها حقا تقول إنها مريضة نتيجة للغضـب من جراء تلك الأمور العجيبـة التـي تحدث في المنزل، ولكنـي أعتقـد أنها في الحقيقة مريضة بسبب الهم الـذي ينتظرنا . هل أستطيع أن أذهب لكي أقـول هذا الخبر السعيد بأنـك ستقبلني كموظفة عنـدك، صدقني، سيكون هـذا الخبر وكأنني منحتها دواء، هل استطيع؟

المحامي : تستطيعين طبعـا، إنني مـازلـت عنـد الـوعد الـذي وعدتك به.

دانيتسا : (وهي غاية في السرور) اعـذرني أرجوك، سأعود على الفور، ولكـن لابد أن أهرع إلى الخالـة لكي أفـرحها. سأعود في التو. (تنصرف).

المنظر الثاني عشر

المحامي وأجاتون

أجاتون : (يطل أولا من خلال الباب وبمجرد أن يرى ويتأكد أن المحامي موجود بمفرده يخرج مـن حجرته) كنت انتظر بالكاد أن تصبح بمفردك. لدي حديث هام معك.

المحامي : هذا أفضل، لأنني أنا أيضا لدي حديث هام معك.

أجاتو ن : هذا يسرني. لابد أن يتحدث كلانا عن كل شيء لأنه أنا وأنت فحسب من رجال القانون.

المحامي : إذن فأنت رجل قانون؟

أجاتون : أجل، طبعا، عملـت طيلة سبعة وعشرين عامـا مديراً لناحية.

المحامي : أوه، هـذا أفضـل بكثير، هـل سيمكنـك أن تمنحنـي معلومة أنا في أشد الحاجة إليها؟

أجاتون : أوه، تفضل، بكل سرور!

المحامي : حين كنت مديراً للناحية هل كنت تصدر عقوبات في الحالات التي تدخل فيها الدواب، مثل البغل والخنزير والثور أو الحمار، في مزرعة الغير ؟

أجاتون : طبعا . . كنت أعاقب المالك صاحب الدابة أما المالك الذي اعتدى على مزرعته فقد كنت أوجهه إلى أن يضرب بعصا الدابة التي دخلت مزرعته .

المحامي : حسن، هذه دابة فلا تفهم شيئا، فكيف ستعاقب الناس، المخلوقات العاقلة المتعلمة التي تدخل في أملاك الغير؟

أجاتون : آه! الآن أفهم ما تقصد إليه . أجل، معك حق . كنت أقول لهم : لا تفعلوا هكذا أيها الناس، هذا مخالف للقانون ولكنهم تكأكأوا .

المحامي : تعلم، ينبغي أن نسامحهم، ولكن بالنسبة لك، تقول إنك رجل قانون .

أجاتون : أجل وصدقني، لم أكن لأفعل ذلك على الإطلاق . إنني لم أخالف القانون أبدا، اللهم احفظنا! ولكني رأيت أن عدداً كبيرا قد انتقل إلى المنزل، ولا يوجد من يحافظ على النظام، فماذا كان بإمكاني إذن أن أفعل؟ هذا هو السبب الوحيد الذي دفعني أنا أيضا إلى الانتقال، لكي أحافظ على النظام .

المحامي : حسن، ولـو كنت مصادفـة في هذه اللحظـة، كما كنت مـديراً للنـاحية عضـواً برئاسـة هذا الحي، وإذا جئـت إليك وقلـت لك: لقـد انتقل بعـض الناس إلى المنـزل الذي أشرف عليه . ماذا كنت ستفعل إزاء ذلك؟

أجاتون : كنت على الفـور استدعـي نائبـي وأعطيه شر طيـا آخر وأقول له: اذهب إلى هناك واطرد هذه الدواب.

المحامي : يعني، ينبغي علي أن أتصرف على هذا النحو؟

أجاتون : يمكنك، لا أقول إنه لا يمكنك.

المحامي : انظر، ولكنـي لا أرغب ولا أريـد أن أتصرف على هذا النحو.

أجاتون : صحيح ولا ينبغي !

المحامي : سأتصرف بطريقة مخالفة تماما.

أجاتون : إنني في شغف لمعرفة ماذا تنوي؟

المحامي : أنوي الذهاب إلى المحكمة وسأطلب فتح الوصية غدا.

أجاتون : وهل هذا ممكن؟

المحامي : ولماذا لا يمكن؟

أجاتون : ورغبة المرحوم الأخيرة؟

المحامي : إنها رغبـة فحسـب، وعلى العمـوم فقد تنبـأ صـاحـب الـوصية نفسـه بأنـه في حالـة إذا وجد الـوصي ضرورة فيمكنه فتح الوصية قبل ذلك.

أجاتون : وهل هناك ضرورة؟

المحامي : وأي ضرورة تريد أكثر من أن العـائلة انتقلت إلى المنزل مخالفة بذلك القانون.

أجاتون : هذا صحيح، وفي الـواقع من الأفضل أن يتـم غدا فتح الوصية.

المحامي : وهذا ما سنفعله . . .

أجاتون : وهل بإمكاننا أن نبقى هنا في المنزل حتى الغد؟

المحامي : لا يليق، ولكن في النهاية، إنه يوم واحد . .

أجاتون : أجل، لماذا نتحـرك ونرحـل بسبب يـوم واحد، والحق أقول لك ستكون فضيحة لنا أمام الناس.

المحامي : حسن إذن، ابقوا حتى الغد.

أجاتون : هذا كرم منك! لقد قلت لهم: هذا المحامي رجل عاقل ولن يجاوز الحدود في تصرفاته معنـا. كنت أعلم هذا. أشكرك باسم العائلة كلها.

المحامي : العفو. إذن بلغ العائلة أنه سيتم غدا فتح الوصية.

أجاتون : سأبلغهم بهذا، لا تشغل بـالك، ولكن إذا سمحت لي فإني أريد أن أسألك عن شيء. هكذا من بعيد تماما؟

المحامي : اسأل!

أجاتون : سأعلم غـدا، أليس كذلك، وكوني سـأعرف اليوم أو غدا لـن يغير من الأمر شيئـا، ولكنك تعلـم أنني محب للاستطلاع للغاية ولا يمكنني الاحتمال حتى الغد.

المحامي : ماذا تريد أن تسأل؟

أجاتون : أن أعلم ماذا سأرث أنا؟

المحامي : مادمت هكذا تسأل من بعيد للغـاية، فها أنذا سأجيبك من بعيد. أنا لا أعلم ما هو المكتوب في الوصية.

أجاتون : لا تعلم، وأنت الذي كتبت الوصية؟

المحامي : ولذلك فأنا لا أعلم لأنني أنا الذي كتبتها ولو لم أكن أنا الـذي كتبتهـا لكـان بـإمكـاني أن أقـول شيئـا، ولكـن هكذا...

أجاتون : تعلم، إنني أعقد آمالا كبيرة على هـذه الوصية. وجميع الباقين يعقدون آمالا كبيرة، ولكنني اعتقد...

المحامي : والجميع يتوقعون الإرث.

أجاتون : الجميـع طبعـا، وكـل شخـص يعتقـد أنـه الـوريـث الرئيسي.

المحامي : فلماذا إذن لا تتفقون فيما بينكم؟

أجاتون : كيف نتفق؟

المحامي : مادام كل شخص منكم يعتقد أنه الوريث، يعني أن جميعكم متساوون في الحقوق، وبناء على ذلك يمكنكم باعتباركم أفراد العائلة أن تعقدوا بطريقة حسنة اتفاقا وديا وأن تقسموا الأملاك بالاتفاق.

أجاتون : فعلا، يمكننا هذا. وما رأيك، هل قاضي التركات سيوافق على ذلك إذا ما اتفقنا وقلنا له في الغد

: لقد قسمنا الأملاك!

المحامي : لن يوافق القاضي إلا على ما هو مكتوب في الوصية.

أجاتون : أليس مكتوباً في الوصية أن نتفق؟

المحامي : لا أعلم، ولكن اصبر حتى الغد فإذا كان مكتوبا كذلك فاتفقوا إذن. ولا معنى لأن تفعلوا ذلك مقدما.

أجاتون : أجل، إنك تقول الصواب.

المحامي : لا تنسى فقط أن تبلغ العائلة بأن فتح الوصية سيكون غدا.

أجاتون : كيف أنسى؟ ولكن لابد أولا أن أبلغ ذلك لزوجتي. لا تعلم كم هي مشتاقة لأن تسمع عم تحدثنا أنا وأنت، لابد أن أبلغها أولا.

المحامي : تفضل، تفضل.

أجاتون(ينصرف).

المنظر الثالث عشر

المحامي ودانيتسا

المحامي : (بمجرد أن يلمح دانيتسا على الباب الخلفي) حسن، هل فرحت الخالة؟

دانيتسا : طبعا.

المحامي : ولكن، هل فكرت جيّداً في رغبتك تلك في أن تكوني موظفة عندي؟

دانيتسا : لا أرى ماذا عليّ أن أفكّر فيه.

المحامي : أنا ـ على سبيل المثال ـ رئيس صارم للغاية.

دانيتسا : وأنا غاية في الإتقان.

المحامي : ثم أنا دقيق.

دانيتسا : وأنا في عملي غاية في الدقة.

المحامي : ويمكن أن يحدث أن أكون في بعض الأحيان عصبيا أيضا.

دانيتسا : وأنا بإمكاني أن أكون غاية في التحفظ والصبر.

المحامي : ولابد أن أقول لك إنني في العمل جاد للغاية أيضا.

دانيتسا : وهذا يؤثر فيّ تأثيرا خاصا.

المحامي : إنه لشيء عجيب فعلا أن تتطابق خصالنا وتكمّل بعضها.

دانيتسا : هذا يعني إذن أنه يمكنك أن تقبلني للعمل عندك في ثقة.

المحامي : ورغم ذلك، فلدي خصلة أو بتعبير عيب لا يمكن أن يسرك بأي حال من الأحوال.

دانيتسا : وماهي؟

المحامي : أستطيع أن أكون غيورا أيضا.

دانيتسا : (في دهشة) غيورا؟ (تحدق في عينيه لفترة طويلة). لا أفهم.

المحامي : (يريد أن يخفي الانفعال) على العموم، هذا ليس أمرا هاما، وهذا لن يهمك.

دانيتسا : (وهي لا تزال منفعلة)لا أفهم!

المحامي : (يتخلص من الموقف بطريقة غير ماهرة) إذن.. أجل.. لقد أبغلت العائلة أنه سيتم في الغد فتح الوصية وبعد ذلك على الفور ستتخلصين من همومك.

دانيتسا : بسبب ذلك الفرح الذي تملكني نسيت أن أقول هذا لخالتي.

المحامي : قولي لها!

دانيتسا : سأفعل.

المحامي : قولي لها الآن على الفور، وعلى العموم لابد أن أتركك، فلا بد في التو أن أتخذ الإجـراءات لكي أضمن في الغد فتح الوصية. إلى اللقاء إذن! (يتجه للخروج).

دانيتسا : (وهي ترافقه) إلى اللقاء!

المنظر الرابع عشر

أجاتون وسيمكا، ثم ساركا

أجاتون : (يأتي من حجـرته وفي إثره سيمكا) لابـد أن نجمعهم كلهم.

سيمكا : فلنمر عليهم في الحجرات.

أجاتون : انتظري أن ننادي على ساركا، ولتجمعهم هي. (يطرق باب ساركا).

ساركا : (تأتي) هل تستدعيني أيها القريب أجاتون؟

أجاتون : لا أستدعيك بـل قلت لدي أشياء هامـة لأبلغها لأفراد العائلة فلا أعلم كيف أدعوهم للاجتماع.

ساركا : لعلك لا تريد أن أدعوهم أنا؟ لست أنا المنادي الخاص بك في البلدية.

أجاتون : طبعا لا تقدرين أنت أيضا، ولكن لو ملأت المنبه فإنهم سيجتمعون.

ساركا : لن يتم سماعه بقوة، ربما من الأفضل لو أنك يا أجاتون قرعت على الصينية، فإنه سيتم سماع ذلك بقوة كبيرة.

أجاتون : أجل، سيتم سماعه، ولكنه ليس من اللائق.

ساركا : إذا لم يكن هذا لائقا بالنسبة لك، فلقد كنت ذا سلطة ولذا كنت جهوري الصوت، وحينما كنت تصيح كانت الناحية كلها تسمعك فهيا ابذل جهدك الآن أيضا.

أجاتون : إنك على صواب! (يضع يديه حول فمه ويصيح) أيها الشعب! يا بروكا، يا بروكا، يا تريفون، يا تناسيه، يا ميتشا! (يردون الواحد تلو الآخر من حجراتهم ويجتمعون).

المنظر الخامس عشر

أفراد العائلة

بروكا : ماذا بريك يا أجاتون؟

أجاتون : تجمعوا كلكم أولا!

تناسيه : كلنا هنا!

أجاتون : اجلسوا إذن وسأقول لكم كل شيء بالترتيب.

بروكا : (وهو يجلس) هل تحدثت؟

أجاتون : (بعدما جلس الجميع بينما ظلّ هو واقفا) تحدثت، طبعا تحدثت ولم أقل هكذا من بعيد كما كنت أفعل حتى الآن بل قلت: إنك تعرف القوانين يا بني، ولكنني أعرفها أنا أيضا، فهيا نتناظر. وقلت له على الفور دون مواربة. أطالب باسم العائلة كلها فتح الوصية فورا.

بروكا وتناسيه : وبماذا أجاب هو؟

أجاتون : تراه يا صاحبي قد ارتبك حينما سمع كيف أنني أتحدث على هذا النحو.. وإنني لا أرجوه بل أطالبه، وراح يتملص مني قائلا: تلك هي رغبة المرحوم، ولابد من الانتظار أربعين يوما، وكذا وكذا. ولكني قلت له. حسب القانون لست مضطرا للانتظار أربعين يوما ولن انتظر! وهكذا صحت فيه بشدة.

فيدا وساركا : وماذا قال هو؟

أجاتون : راح يتملص ذاكرا المادة ٧٢ والمادة ٥٦، فقلت له: وماذا بشأن المادة ١٤٧، المادة ١٤٧ يا سيدي؟ وما أن سمع ذلك حتى اصفر وجهه تماما وتملكه الارتباك.

بعض منهم : ثم؟

أجاتون : ولما رأى أنه لا يمكنه بسهولة أن يصل معي إلى اتفاق وأن اللف لن يفيده شيئا فوافق الرجل.

الجميع : (في انفعال) ماذا؟!

أجاتون : وافق على فتح الوصية.

الجميع : آه!!!

أجاتون : أجل، أجل، على فتح الوصية.

الجميع : متى؟

أجاتون : وهنا أخذ يتملص: حسن يا سيد أجاتون. يمكننا خلال هذه الأيام فصححت به: لا وربي، بل أطالب بفتحها غدا.

الجميع : غدا!

أجاتون : طبعا!

بروكا : وهل وافق؟

أجاتون : ولما ألزمته الحجة، ولما رأى أنه لا مفر، وافق.

الجميع : هل غدا؟

أجاتون : طبعا، غدا! (في تباه) هكذا أنا أتحدث مع المحامين!

بروكا : وماذا قال عن انتقالنا؟

أجاتون : وكان هنا أيضا شد وجذب. وأصر على أنه ليس لدينا حق في ذلك. . وقال «يختلف الأمر يا سيد أجاتون لو أنك انتقلت بمفردك، ولكن أن تنتقل العائلة كلها!».

تريفون : دعك الآن مما قاله لك، ولكن ماذا قلت له؟

أجاتون : قلت له: لا يوجد قانون يمنع ذلك، ولا يوجد قانون ينص على أنه يمكن للعائلة أن تنتقل أو لا تنتقل إلى منزل المرحوم. حيث إنه لا توجد قوانين خاصة مكتوبة عن ذلك فإنه في هذه الحالة الراهنة يمكن تطبيق القوانين الطبيعية، ووفقا للقوانين الطبيعية فالعائلة لها الحق في الحفاظ على أملاك عضو العائلة الراحل.

بعض الأصوات : هذا صحيح!

أجاتون : طبعـا صحيـح، ولكنك تعـرف تصرفـات المحـامين، وأخـذ يتملص إلى أن صحـت به: أنـا لـن أرحل مـن المنزل ولا توجد تلك القوة التي ستطردني.

بروكا : تماما.

أجاتون : ولما سمع ذلك أخذ يتساهـل في خضوع قائلا: «تفضل يا سيد أجاتون، لا تغضب، تفضل ابق في المنزل».

ميتشا : طبعا سنبقى!

ساركا : حسن، هل هـذا يعني أننا لن نرحـل على الإطلاق من المنزل؟

أجاتون : أنت ثانية! ماذا تريدين، أن تجلس ربما طوال حياتك في الشرفة؟ لنـا الحق في أن نبقى إلى أن يتـم فتح الـوصية، وعندئذ سيبقى هنا ذلك الذي سيرث المنزل.

ميتشا : طبعا!

ساركا : وأنا معجبة أشد الإعجاب بحجرتي.

تناسيه : مادمت يا أجاتون قد حاصرت المحامي، ألم تستطع أن تسأله عن الشيء الأخير أيضا؟

أجاتون : أي شيء آخر؟

تناسيه : عن مضمون الوصية؟

بروكا : هاهو، ستسمع غدا.

فيدا : ومن سيحتمل الانتظار حيا حتى الغد؟

أجاتون : (مخاطبا تناسيه) وسألته عن ذلك الأمر أيضا.

الجميع : (يتجمعون في حب استطلاع) فماذا؟؟

أجاتون : أجل، سألته.

بروكا : فماذا؟تكلم أيها الأخ أجاتون، تكلم!

أجاتون : ليكن هو مائة مرة محاميا، إنني محقق قديم، ولا يستطيع أن يفلت مني.

بروكا : (في حب استطلاع وغضب) تكلم، استحلفك بالله!

أجاتون : تعلم، بدأت الحديث معه عن الوصية، ولكن هكذا من بعيد وبلباقة حتى لا يشعر. قلت له: حيث إنك أنت الذي كتبت الوصية فكل الملابسات توضح أنك على علم بالوصية إلى حد ما.

بعض الأصوات : وهو؟

أجاتون : أما هو فقد نظر إلى الأرض فحسب وسكت، ولم يجرؤ على النظر إلى عيني لأنني كنت سأقرأ من عينيه الوصية. ولكني خبير مسن، ولا أترك الموقف من يدي ما دمت قد أمسكت بزمامه. وانهلت عليه بالأسئلة العسيرة.

بروكا : (يحترق من نفاذ الصبر) وهل أجاب؟

أجاتون : أجاب، ولكنها كلها هكذا مهمة وتلعثم وأنا انهلت عليه ثانية بالأسئلة العسيرة مرات عديدة.

بروكا : (في يأس) كفى يا أخي هذه الأسئلة العسيرة!

ساركا : وهل - على الأقل - منحك إجابة عسيرة؟

أجاتون : تعرف كيف الحال، لم يمنحني، لا يمكنني القول بأنه أجابني، ولكني انتزعت منه كلمة واحدة. وأنا تكفيني كلمة واحدة، ولا أحتاج لأكثر من ذلك. وكما يقولون، قل كلمة واحدة، وهذا يكفي لأن أدفعك إلى الأشغال الشاقة. على أساس كلمة وحيدة يمكنني أن أصل إلى استنتاج.

تناسيه : وهل قال لك على الأقل هذه الكلمة؟

أجاتون : طبعا قالها!

بروكا : (يصيح) ماذا قال بالله عليك يا رجل؟!

أجاتون : لم يقل بصراحة بل بطريقة ملتوية، ولكني على الفور خرجت بالاستنتاج التالي: إن الوصية تترك للعائلة تقسيم الأملاك وفقا لما يتفق عليه أفرادها.

الجميع : (في دهشة بالغة) ياه!!

أجاتون : إنه لم يقل إن الأمر على هذا النحو، ولكنه واضح بالنسبة لي وضوح النهار أنه كذلك.

تناسيه : (في قلق) وماذا سنفعل الآن؟

أجاتون : أعتقد أيها الإخوة والأخوات أننا لابد أن نكون مستعدين لهذا الوضع.

تناسيه : كيف نكون مستعدين؟

أجاتون : هكذا، بأن نتفق. ويمكننا أن نحول اجتماعنا هذا إلى مؤتمر.

تريفون : وطبعا أن تترأس أنت المؤتمر؟

أجاتون : لا يلزم أن أكون أنا، ولماذا أنا؟ هاهو تريفون فليترأسه (يجلس). إنه أفضل من يعرف هذه الأمور، فليترأسه هو.

بروكا : أنت، أنت، يا أجاتون!

الجميع : طبعاً!

أجاتون : ولماذا أنا، هاهو تريفون.

تريفون : لا تكن سريع الغضب. إنك تعرف أفضل مني، اعترف لك بأنك تعرف أفضل.

أجاتون : حسن، مادمت أعرف أفضل فلا تعارض! (يتمشى في خيلاء) إذن أيها الإخوة لابد أن نكون مستعدين في حالة ما إذا كان مكتوبا في الوصية أن نقسم الأملاك بيننا وحسبما نتفق، وحينما يقرأ علينا قاضي التركات في الغد: أترك كل أملاكي للعائلة بشرط أن تقسم بالاتفاق المتبادل، فلابد أن نجيب على الفور: إننا قد اتفقنا.

الجميع : هذا صحيح! تماما! هذا صحيح!

أجاتون : حسنا، انظروا، لابد أن نسوي هذا الأمر الآن.

تناسيه : وكيف تعتقد إمكانية تسوية ذلك؟

أجاتون : على النحو التالي: أن نقسم أولا أنفسنا بأمانة وود إلى أقارب قريبين وإلى أقارب بعيدين.

ساركا : هاهو الآن، كيف يمكن هذا ونحن كلنا من أقرب الأقارب للمرحوم؟

أجاتون : لسنا. أولا أنت لست من الأقربين.

ساركا : وكيف أنا لست من الأقربين؟

أجاتون : لأنك لست من الأقربين!

ساركا : وأنت من أقرب الأقارب؟

أجاتون : طبعا أنا من أقرب الأقارب.

ساركا : مادمت أنت فأنا أيضا.

أجاتون : هذا ليس صحيحا يا ساركا، لست من أقرب الأقارب، وليس بروكا من الأقارب القريبين كذلك..

بروكا : (ينفجر) ولماذا أنا؟

سيمكا : لأن قرابتك يا بروكا عن طريق زوجتك الأولى.

بروكا : لو أن قرابتي عن طريق زوجتي الأولى لما بكت زوجتي الثانية كل هذا البكاء على المرحوم.

فيدا : أقول لك الحق يا بروكا، إننا جميعا نتعجب من أن زوجتك جينا تقتل نفسها بكاء.

جينا : لأنني، إذا أردت أن تعرفي، أحزن حزنا صادقا ولست مثلكم.

ساركا : ولماذا لست مثلنا.

جينا : لقد ارتديتم الملابس السوداء فقط من أجل الوصية، ولكن هنا لم تذرف أية واحدة منكن دمعة واحدة.

سيمكا : إننا نعلم يا جينا ثمن اللتر من دموعك.

جينا : أوه، كيف تجسرين!

تريفون : أيها الأخ أجاتون، هل أنت رئيس هذا الاجتماع أم أنك لست برئيسه؟ إذا تركت النسوة يتناقشن فلن نصل أبدا إلى أي اتفاق.

أجاتون : إنك تقول الحق، إنهما يتناقشان و كأن هذا هو الاجتماع السنوي لإحدى الجمعيات النسائية، فلنواصل نحن نقاشنا، أين توقفنا؟

بروكا : إنني لم أنته من كلامي.

أجاتون : هيّا تكلم!

بروكا : إنني لا أقول من غير فهم إنني من أقرب الأقارب بل لدي أدلة أيضا. (يخرج من جيبه ورقة كبيرة) هذه هي المستندات.

أجاتون : أهي شهادة الميلاد؟

بروكا : ليست شهادة الميلاد ، ولكن هاهي انظر! (يفتح الورقة).

أجاتون : (يلقي نظرة) هذا هو أحد التصميمات .

تريفون : بروكا يعمل في إدارة السجلات التابعة للشهر العقاري . ولذا فهو يعرف رسم التصميمات .

أجاتون : (ينظر) لقد رسمت تصميما لعائلتنا .

بروكا : ليس تصميما بل شجرة العائلة ، أترى هذه الشجرة ؟

أجاتون : أرى ، فماذا؟

بروكا : هذه الشجرة تمثل المرحوم .

أجاتون : أهو المرحوم ماتا؟

بروكا : أجل!

أجاتون : من الجائز لأن المرحوم ماتا كان «ملتويا» بعض الشيء .

بروكا : وهل ترى هذا الفرع هنا؟

أجاتون : أرى!

بروكا : هذا يمثل المرحوم الخال ريستا نيكو ليتش .

أجاتون : أي خال ريستا؟

بروكا : خال المرحوم ماتا .

أجاتون : آه .. ذلك الخال، أعرفه! فماذا؟

بروكا : ترى، هذا الخال ريستا كان له أربعة أبناء. سبيرا وبوشكو وتاسا وميكا. إنهم كما ترى، هذه الأفرع الأربعة التي تميل إلى أسفل.

أجاتون : أرى!

بروكا : وهل ترى هذا الفرع الذي يميل من ميكا إلى أسفل؟

أجاتون : أراه، فماذا؟

بروكا : هذا هو أنا.

أجاتون : أنت؟

بروكا : أجل، لأنني ابن ميكا.

أجاتون : إذا كنت أنت الذي تتعلق بهذا الفرع إذن فاعلم أنك ستنهار.

بروكا : هاهو، أليس هذا واضحا وضوح النهار، إنها مستندات يا أخي؟

ساركا : إذا كان الأمر وفقا لذلك يا بروكا فلعلني أنا أيضا أتعلق بأحد الفروع ، ولست أنت وحدك.

تريفون : وما رأيكم في أن يوضح لنا أجاتون أولا على أي أساس يكون من أقر ب الأقارب بهذا الشكل؟

أجاتون : قرابتي معروفة.

الجميع : فلنسمع!

أجاتون : إذا بدأنا الاهتمام هكذا بمختلف التفصيلات فلن نصل أبدا إلى النهاية، ولكن لنـدخل في الموضوع فورا ولنقم بتقسيـم التركـة في ود وإخـاء كما يليــق بعـائلـة نبيلـة كعائلتنا .

بروكا : هيا قل كيف حتى نسمعك!

أجاتون : هاهو، لنبدأ بساركا .

ساركا : لماذا تبدأ بي على الدوام؟

أجاتون : هكذا على نحو ما، دائما ما تتواجـدين على مقربة مني . لنبـدأ إذن بسـاركـا . مـاذا تحتـاج؟ إنها وحيـدة تعـول نفسها!

ساركا : لا تقسني بهذا المقياس بل اعطني حقي .

أجاتون : لابد أن نراعي الاحتياجات . فمثلا احتياجاتك تختلف عن احتياجاتي .

ساركا : انظروا من فضلكم لما يقول .

أجاتون : لو قلت إنها في حاجة إلى جهـاز للزواج، فهذا مفهوم . ولكنها ليست في حاجة إلى ذلـك . لقد تزوجت مرتين وهذا يكفيها .

ساركا : على أي أساس يكفيني؟ وعلى أي أساس تقدر أيكفيني أم لا ؟ أنا أحسن من يعرف ما إذا كان يكفيني .

أجاتون : لو كان لديها أولاد لاختلف الأمر، ولكن هاهي لم تكن قادرة حتى على ذلك .

ساركا : هاهو الآن ثانية! عجبا، وسيشيع عني أيضا أنني لم أكن قادرة. وعلى أي أساس لم أكن قادرة؟

أجاتون : ها أنت، كان لك زوجان ولم تنجبي.

ساركا : كان لي، هذه حقيقة، ولكن ما ذنبي لأنه لم يكن لدي وقت؟ كم عشت مع زوجي الأول، سنتين! .. ومع زوجي الثاني ثلاث سنوات وسبعة أشهر، وهذه يا أخي فترة تمر بسرعة وليس لدى المرء وقت لكي ينجب. لم يكن لدي وقت وليس الأمر أنني لم أكن غير قادرة، ولكن لماذا تلومني على عدم إنجاب أولاد وليس لك أنت أيضا أولاد فماذا في ذلك؟

أجاتون : إنني لا ألومك ولكنني أقول لو كان لديك أولاد لكان بإمكاننا أن نمنحك أكثر، والحال هكذا اعتقد أنه يكفيك خمسة آلاف دينار نقدا وكل أواني المطبخ.

ساركا : أوه، أوه، عار عليك يا أجاتون! كيف تقول لي هذا وكأنني أطلب منك إحسانا! إنني لا استجدي بل أطلب ما يخصني.

أجاتون : حسن سنعطيك أيضا ذلك المنبه الفضي.

ساركا : خذه أنت يا أجاتون وضعه على الصينية الفضية فسيكون منظرهما أجمل.

تناسيه : أجل، حقا يا أجاتون، إنك تقسم هذا بالتقريب.

أجاتون : انتظـر يا أخـي. إنني أعرض هـذا الأمـر هكذا كمجـرد اقتراح لا أكثـر. وفيما بعد يمكننـا أن نتحـدث عن ذلـك فننقص هنا ونضيف شيئا هناك. عليك بالصبر فحسب.

فيدا : هيا، لنسمع الباقي.

أجاتون : وليتم منح بروكا وزوجته جينـا مزرعة المرحوم في قرية «مالي موكري لوج» وعشرة آلاف دينار نقدا.

بروكا : (يقفز واقفا) أوه! احتفـظ بهذا لنفسك، أما أنا فـأريد نصيبي!

أجاتون : هذا هو نصيبك!

جينا : أنصيبنا هو تلـك المزرعة القذرة التي لا تسـاوي مثقال ذرة؟ أترون كيف يقسم علينا!!

بروكا : أطالب بأن يقول لنا أجاتون أولا ماذا يريد هو، لنسمع ماذا يظن أنه يخصه!

الجميع : (ماعدا سيمكا): أجل، لنسمع ذلك!

أجاتون : سأقول حينما يأتي حينه.

الجميع : لا، لا، نريد أن نسمع الآن!

بروكا : نريد أن نسمع، ووفقا لمقياسك نقدر لأنفسنا.

أجاتون : اعتقد يا أخي أن أقسم عليكم أولا ثم الباقي لي.

بروكا : أجل، البـاقي. تـوزع علينا المزارع الموجـودة في «مالي مـوكري لـوج» وأواني المطبخ وألفين مـن الدينـارات، ولـك مـا تبقـى. نـريد أولا أن نسمـع مـاذا تظـن أنـه يخصك؟

ساركا : هاهو الآن ثانية! عجبا، وسيشيع عني أيضا أنني لم أكن قادرة. وعلى أي أساس لم أكن قادرة؟

أجاتون : ها أنت، كان لك زوجان ولم تنجبي.

ساركا : كان لي، هذه حقيقة، ولكن ما ذنبي لأنه لم يكن لدي وقت؟ كم عشت مع زوجي الأول، سنتين!.. ومع زوجي الثاني ثلاث سنوات وسبعة أشهر، وهذه يا أخي فترة تمر بسرعة وليس لدى المرء وقت لكي ينجب. لم يكن لدي وقت وليس الأمر أنني لم أكن غير قادرة، ولكن لماذا تلومني على عدم إنجاب أولاد وليس لك أنت أيضا أولاد فماذا في ذلك؟

أجاتون : إنني لا ألومك ولكني أقول لو كان لديك أولاد لكان بإمكاننا أن نمنحك أكثر، والحال هكذا اعتقد أنه يكفيك خمسة آلاف دينار نقدا وكل أواني المطبخ.

ساركا : أوه، أوه، عار عليك يا أجاتون! كيف تقول لي هذا وكأنني أطلب منك إحسانا! إنني لا استجدي بل أطلب ما يخصني.

أجاتون : حسن سنعطيك أيضا ذلك المنبه الفضي.

ساركا : خذه أنت يا أجاتون وضعه على الصينية الفضية فسيكون منظرهما أجمل.

تناسيه : أجل، حقا يا أجاتون، إنك تقسم هذا بالتقريب.

بروكا : (مخاطبا تريفون) اتركه أرجوك لكي نسمعه.

أجاتون : ثـم، ستخصني أيضـا تلك المحـال الـواقعة في ميـدان «بترازيا».

الجميع : أوه!!!

أجاتون : ليس هذا كل شيء!

تناسيه : ليس طبعا!

بروكا : هذا الرجل لا يعرف أن يتوقف!

أجاتون : ثـم مـزرعـة الكـروم مـع فيلتهـا الـواقعـة على تـل «توبتشيدر».

الجميع : أوه..

تريفون : وما رأيك في أن تأخذ أيضاأسهم البنك الأهلي؟

أجاتون : وطبعا سآخذ أيضا أسهم البنك الأهلي.

بروكا : أمـا أنا فتعطينـي المزرعـة الموجـودة في «مالي مـوكـري لوج»؟!

ساركا : وأنا تعطيني أوا ني المطبخ؟

ميتشا : وأنا، و كأنني غير موجود؟

أجاتون : طبعا لست موجودا يا أخي!

تريفون : (مخاطباً ميتشـا) طبعا لسـت موجـودا! أليس واضحـا بالنسبة لك إنه لا يوجد هنا إلا أجاتون؟

تناسيه : عساني أنا أهم من أجاتون.

سيمكا : عليك أنت يا تناسيه فقط بالصمت!

فيدا : ولماذا يصمت هو؟

بروكا : أيها الإخوة والأخـوات، ألا ترون أن هـذا ليس اتفـاقا واجتماعا عائليا بل سلب.

ساركا : طبعا سلـب. هو يأخـذ أسهم البنـك الأهلي ويعطيني أواني المطبخ.

تريفون : إننا لسنا الـ ٥٢٣٧٤ شخصا سكان الناحية لكي يصيح فينا أجاتـون «انتباه»! وعلينا ـ نحن ـ أن نصطف صفا واحدا، وأن نـرتجف. (من بدايـة كلمات تريفـون هذه وحتى نهاية المنظر. الحوار يجري بسرعة شديدة وحيوية ويقـاطعون بعضهـم البعـض ويتحـدثون في آن واحـد ويتقاطع الكلام وتعلو الأصـوات وتزداد قوة الانفعال إلى أن ينتهي بصراع صاخب).

تناسيه : كلنا هنا على قدم المساواة.

بروكا : إننـي لا اعترف بـالاتفـاق، ولا اعـترف برئيـس العائلـة، ولا أعترف بالـوصية، ولا اعترف بـأي شيء ولا بأي أحد.

أجاتون : ولا أحد يعترف بك!

تريفون : هذا نهب!

ميتشا : وهذا النهب ضدي أنا!

جينا : يريد الرجل المنزل والمحلات!

ساركا : إقطاعي!

فيدا : والمرحوم لم يكن يلتفت إليه .

سيمكا : لا ، بل كان يلتفت إليك يا فيدا!

بروكا : لا نوافق على الاتفاق!

تناسيه : كل شخص سيدافع عن نصيبه .

أجاتون : إذاً لن أعطيكم شيئا!

الجميع : (في غضب) من الذي لن يعطي؟ من أنت؟

أجاتون : (يمسك بالكرسي) لا تقترب!

بروكا : إنه يريد أن يتعارك! (يمسك هو أيضا بكرسي)

تريفون : لن نستسلم!

الجميع : (يمسكون بالكراسي وبأشياء أخرى ويتخذون موقفا هجوميا، والنسوة تصحن، وميتشا صعد على المائدة ويهدأ وهو يلوح بيديه . يتم رفع الكراسي وتسدل الستار)

الفصل الثالث

نفس الحجرة

المنظر الأول

أفراد العائلة بدون أجاتون وساركا

(كآبة عامة وحزن . يجلسون متفرقين، كل بمفرده ويدير ظهره للآخر. بروكا يتمشى في عصبية وقد ارتسم اليأس على وجهه وعقد يديه خلف ظهره. وعصبت جينا رأسها عبر جبهتها وتنوح، وسيمكا تسند رأسها بيديها. وفيدا أدارت ظهرها للجميع وتتحدث مع نفسها وكأنها تقرأ درسا على أحد. وميتشا استرخى على الكرسي ذي المساند وقد ضم ركبتيه بيديه وينظر ببلادة إلى السقف. وتريفون يجلس على الكرسي بالعكس ويسند جبهته على مسند الكرسي. وتناسيه يكتب واليأس مرتسم على وجهه ويمسح شيئا على قطعة صغيرة من الورق).

بروكا : (بعد فترة من الصمت) يا أخي، من كان يتوقع ذلك؟

سيمكا : أن يخدع العائلة على هذا النحو!

تناسيه : يخدع؟ إنه ليس خداعا بل احتيال. هذا ببساطة احتيال من جانب المرحوم.

فيدا : بينما كنا نقف أمام باب قاضي التركات أخذت عيني اليسرى تطرف وحينما تطرف عيني اليسرى فهذا لا يبشر بالخير أبدا. وحينما راح القاضي يزيل الأختام من على الوصية أحسست بوخزة، وقلت في نفسي: آه، هذا لا يبشر بالخير.

جينا : يا له من خير!

ميتشا : كلكم تتكلمون الآن هكذا، وهناك ـ عند القاضي ـ كنتم جميعا صامتين.

تريفون : لا أعلم ماذا كان بمقدورنا؟

ميتشا : كان في مقدوركم أن تحتجوا كما فعلت أنا.

تناسيه : ماذا فعلت؟

ميتشا : قلت بصراحة لا اعترف بالوصية.

تناسيه : فماذا؟

ميتشا : هذا الذي ذكرته، وقلت أيضا: نحن نحتج وسنرفع دعوى لإلغاء الوصية.

تريفون : أجل، أية عائلة سنكون نحن إذا لم نقم بإلغاء الوصية؟

تناسيه : هل سيقوم الغريب بإلغائها؟

ميتشا : وأنا أيضا أعتقد أنه لا ينبغي أن نتردد، بل علينا اليوم أن نقدم شكوى وأن نبدأ الدعوى.

بروكا : انتظـروا أيها الناس إلى أن يحضر أجـاتـون. إنه بـاق في المحكمة لكي ينسخ الوصية.

تناسيه : ولماذا ينسخها؟ كل منا يعرف ماذا حصل عليه.

بروكا : إنه لا ينسخهـا من أجلنـا بل من أجـل المحامـي، لأنه سيـذهــب فيها بعــد مــن المحكمــة إلى الــدكتــور ستـويـانـوفيتش، وهـو في هـذه الأمـور أشهـر محام، وسيوكل إليه القضية، ولكـن لا يمكنه أن يتحدث مع المحامي دون نسخ الوصية.

تناسيه : أجل، سمعت عن ستويانوفيتش.

بروكا : هذا هو أشهر محام لإلغاء الوصايا، ورجل قانون ممتاز. فإما أن يعلـن أن المرحوم مجنون، وإما أن يختلـق وصية مزورة أو ببساطة يسرق الوصيـة. أقول لك، إنه رجل قانون ممتاز.

تناسيه : من الأفضل أن يتم إعلان المرحوم «ماتا» مجنونا. لأنه ـ من فضلـك ـ أليس من الجنـون أن يترك لي خمسة آلاف دينار، تخيل خمسة آلاف دينار.

فيدا : وكأننا شحاذون.

تناسيه : خمسـة آلاف دينار. يـا له مـن عجـب عجاب، خمسـة آلاف دينـار. أيعلـم هـو أنني حينها سلمـت المفـاتيـح للمحكمة التجارية كانت ديوني تبلغ ٤٦٠ ألفا؟ ترى، هذه هي المبالغ التـي أتعامل بها، لا مبلغ الخمسة آلاف دينار.

تريفون : وكأن أجاتون هو الذي أملى الوصية.

سيمكا : لا ترتكب إثما أيها الصديق تريفون. لو أنه هو الذي أملى، لأملى لنفسه شيئا أكثر، لا أن يحصل على خمسة آلاف دينار فحسب.

تناسيه : يكفي أجاتون هذا القدر.

سيمكا : أوه، وعلى أي أساس يكفيه، وليس كافيا بالنسبة لك؟

تناسيه : أجاتون شيء، وأنا شيء آخر.

سيمكا : انظر، من فضلك!

تناسيه : لقد كانت هذه التركة بالنسبة لي هي أملي الوحيد. ومصيري كله معلق بهذه الورقة!

تريفون : لا ينبغي أن تلعب أبدا على ورقة واحدة.

تناسيه : كنت أظن أنني سأنجو من الإفلاس ووعدت الدائنين بأن يتحملوا إلى أن يموت «ماتا»، وهو يترك لي الآن خمسة آلاف دينار.

بروكا : إن هذا مبلغ مكتمل دون كسور.

تناسيه : أي مبلغ مكتمل، خمسة آلاف دينار مبلغ مكتمل!

بروكا : لنفرض ذلك. ولكن تصور يترك لي ثلاثة آلاف دينار، ثلاثة آلاف. هذا شيء فظيع!

جينا : هذا يكفي بالضبط لكي نوقد له شمعة.

ميتشا : وماذا أقول أنا؟ ألفي دينار. هذا المبلغ لا يكفي دفع إكرامية لموظفي المحكمة. إنني اعتبر هذا - ببساطة - إهانة.

سيمكا : ولمن ترك أملاكه؟ لمن؟.. لواحدة.. لا أعلم كيف أقول؟

جينا : قولي يا أختي قولي؟

سيمكا : تركه لفتاة لقيطة.

تريفون : وترك أيضا للكنيسة ولشئون الثقافة.

سيمكا : لقد ترك شيئا من باب اللياقة فحسب، ولكي يخفي عاره، ولكن ترك لها كل ما تبقى. المنزل ومزرعة الكروم والمحلات والأسهم والمبالغ النقدية وكل شيء. كل شيء لها.

جينا : طبعا كل شيء.

فيدا : وهل هذا يمكن بناء على القانون، أيها القريب أجاتون، توريث فتاة لقيطة؟

بروكا : انظر، وهنا احتال علينا المرحوم أيضاً، فقد كانت له ابنة غير شرعية بدون علم العائلة.

سيمكا : ولم يشعر بالخزي بأن يذكر علنا في الوصية أن له ابنة غير شرعية.

جينا : وهل رأيتم فحسب كيف أن هذه الفتاة أيضا كانت تتظاهر أمامنا.

تناسيه : لا، لا ينبغي أن ترتكبي ذنبا هنا، إنها لم تكن تعلم شيئا. ألم ترها وهي تسقط مغشيا عليها؟

جينا : يا للعجب، وأنا أيضا كنت سأسقط مغشيا علي لو أنني ورثت كل شيء.

ميتشا : إنني متيقن تماما من أنها لم تكن تعلم شيئا.

فيدا : يا إلهي، كيف أخفى كل شيء بمهارة؟

سيمكا : اعتقد أن بإمكاننا أن نلغي هذه الوصية لأنها ابنة غير شرعية، ونحن أقرباء شرعيون.

فيدا : لو كانت هناك عدالة ورحمة لكان ينبغي أن يكون الأمر على هذا النحو.

تناسيه : وبعد كل هذا، ليكن أنه ترك لها كل شيء فهي كما يقولون ابنته مهما كانت طبيعتها، ولكن لماذا يترك للكنيسة وللثقافة كل هذه النقود؟ ألم يكن من الأفضل أن أنجو أنا من الإفلاس؟ فالكنيسة والثقافة ليستا في حالة إفلاس.

جينا : أجل أيها القريب تناسيه، ولكن ثانية كما يقولون: من الأفضل أن تترك أملاكك للكنيسة ولشئون الثقافة من أن تتركها لابنة غير شرعية.

نيتشا : حقا، وأنا أيضا لا يمكنني أن أصدق أن هذه الفتاة الصغيرة التي تعد مع ذلك غاية في الجهال، تصبح الآن أيضا وريثة ثرية، أما أنا فأحصل على إرث قدره ألفي دينار.

فيدا : قلت لكم إن هذه الفتاة تشبه المرحوم، وكلكم استنكرتم ذلك وكأنني قلت شيئا فظيعا. وحتى جينا هذه بكت لأنني أهنت المرحوم.

جينا : تشبهه، طبعا تشبهه. لا حظت ذلك على الفور ولكني لم أشأ أن أتحدث من قبيل الاحترام نحو المرحوم.

بروكا : هاهي قيمة احترامك، ترك لك ثلاثة آلاف دينار من قبيل الاحترام، كأنك متسولة.

جينا : فليبق هذا له للقداس، يكفي بالضبط لدفع أجرة ثلاثة قساوسة وليس قسيسا واحدا كما فعل وصيه.

سيمكا : كيف، ألن تقبلي هذه الثلاثة آلاف دينار؟

جينا : سأقبلها، لم أقل إنني لن أقبلها، ولكني لن أشكره، ولن أحضر قداسه، ولن أطلب له الرحمة.

فيدا : ولا أنا.

جينا : وعلى العموم، فغضبي ليس شديدا، لا يمكنني أن أقول إنني قريبته حتى أحزن عليه.

تريفون : كيف تقولين إنك لست قريبته؟

جينا : هكذا، قريبته كانت زوجة بروكا الأولى ولست أنا.

سيمكا : بالله عليك، لحساب من كنت تبكين هذا البكاء الحار؟

جينا : لحساب بروكا.

تريفون : حسن يا بروكا، والشجرة، والفروع؟

بروكا : تعرف، تلك الشجرة رسمها شخص روسي، وهو رسام في الشهر العقاري وقد رسم شجرة عائلته لأنه حفيد الأمير بلايف، فأخذت شجرة عائلته وأزلت اسم الأمير بلايف ووضعت مكانه اسم المرحوم «ماتا» وفي المكان الذي أتعلق أنا منه كان يتعلق منه حفيد الأمير.

تريفون : هذا هو جزاؤك الآن مادمت تريد أن تتعلق بفروع الغير.

بروكا : لو أنها على الأقل أعانتني!

تريفون : أتعلم كيف ربما يكون المرحوم قد فكر: يكفي هذا الأمير بلايف ثلاثة آلاف دينار، ولذا حدد لك هذا المبلغ.

المنظر الثاني

ساركا وشخصيات المنظر السابق

ساركا : (مرتدية فستاناً أحمر أو مزركشا ملفتا للأنظار وقبعة مزينة بالزهور أو الأشرطة) نهاركم سعيد يا أفراد العائلة الحزينة! نهاركم سعيد، ماذا تفعلون، كيف حالكم؟

سيمكا وفيدا وجينا : ماهذا يا ساركا؟

فيدا : ماذا بك بالله عليك؟

ساركا : كيف، ماذا بي؟ فلترتد الخالة الملابس السوداء ولن ارتديها. إنني ارتدي الملابس السوداء ثمانية أيام مقابل ألفي دينار. وهذا يكفي بالنسبة له!

جينا : والله يا ساركا، تقولين الحق. لا أعلم لماذا ارتدى أنا أيضا الملابس السوداء، ربما من أجل - ثلاثة آلاف دينار - نقوده التافهة. إنني لست مجنونة.. (تخلع المنديل الأسود الذي كانت تضعه حول رقبتها وتنزع زهرة من الزهرية وتعلقها في شعرها): كما تقول ساركا، فلتحزن عليه الخالة!

تريفون : مهلا أيتها النسوة، ألا تعتقدن أنكن تسرعتن؟ ولو جاء أجاتون الآن وحمل لنا النبأ بأن المحامي قد تعهد بإلغاء الوصية؟

ساركا : وهل يصعب علي أن أهرول حتى المنزل وأن ارتدي الملابس السوداء مرة أخرى؟

تريفون : وأنت يا جينا، تلقين بالزهرة فحسب وتنفجرين ثانية في البكاء.

جينا : أجل!

ساركا : (مخاطبة النساء) الحق أقول لكن أيتها الأخوات، إنني أخسر خسارة جسيمة بارتداء الملابس السوداء. فكل شخص يعتقد أنني في حالة حزن وينظر إلي باحترام. وما فائدة الاحترام لي؟ إنني لا اكترث بالاحترام.

فيدا : أجل!

ساركا : أعلـم، فعندمـا ترملـت من زوجـي الأول أخذ يـدور حـولي مـدرس شاب وكنـت لا أزال ارتـدي الملابـس السوداء، وقـال لي: «لدي يا سيدة سـاركا شيئا أقـوله لك ولكني لا استطيع لأنني احترم حزنك!» ولو سأله المرء: لماذا بحـق الشيطـان تحترم حزني. ولكنـه رجـل مهذب يحترم الحزن!

المنظر الثالث

أجاتون وشخصيات المنظر السابق

أجاتون (يأتي من الخارج)

الجميع : (يحيطـون به في فضـول ويوجهـون إليه الأسئلـة في آن واحد) ماذا وراءك؟ هل كنت عنده؟ وماذا قال؟

أجاتون : رويدا فحسب، سأقول لكم.

الجميع : تكلم بسرعة أكثر!

أجاتون : إذن، لقد أخفق الأمر!

الجميع : (في خيبة أمل) ماذا؟!!!

أجاتون : ما قلته لكم.

بروكا : هل أصابنا الضياع؟

أجاتون : حقا أصابنا الضياع!

الجميع : (في خيبة أمل شديدة) أوه!!!

ميتشا : كيف أصابنا الضياع ولماذا؟

أجاتون : لا يمكننا أن نلغي الوصية.

بروكا : لا أفهم هذا، لماذا لا يمكننا؟

أجاتون : لأن الوصية يا أخي مستندة إلى القانون ولأنه يوجد وريث له سند قانوني.

ساركا : كيف تكو ن ابنة غير شرعية ويكون لها سند قانوني؟

أجاتون : يقول المحامي: قولوا الحمد لله لأنه ترك لكم هذا القليل من الإرث لأنه كان من حقه ألا يترك لكم ذلك.

ميتشا : حسن، فليكن الأمر كذلك، ولكني لا أرى سببا يمنعنا من رفع القضية؟

أجاتون : يمكننا، من يقول إنه لا يمكننا، بإمكاننا أن ندفع للمحامي وأن ندفع الرسوم، ولكن احفظوا أنه حينما يقول الدكتور ستويانوفيتش إن أي شيء لن يعيننا فاعلموا عندئذ أن أي شيء لن يعيننا.

بروكا : أقول لك الحق يا أجاتون وأنا أيضا لا استطيع أن أفهم هذا. كيف نكون أفراد العائلة وليس لنا الحق في إلغاء الوصية؟ لا يمكنني أن أفهم.

أجاتون : يقول المحامي إننا لسنا ورثة مباشرين، وإذا ظهر وريث مباشر يستطيع أن يفعل ذلك.

تناسيه : لا أعلم السبب في أنني، مثلا، لست وريثا مباشرا؟

أجاتون : لست يا تناسيه، فماذا أفعل لك؟ وليس أي أحد منا. خذ مثلا ساركا هذه، أهي وريثة مباشرة، إنها ليست كذلك، بل هي أيضا تعد وريثة غير مباشرة.

ساركا : ماذا بشأني؟

أجاتون : إنك غير مباشرة.

ساركا : أرجوك يا أجاتون، امتنع نهائيا عن أن تذكر مثل هذه الأمور عني. أنا أفضل من يعرف هل أنا وريثة مباشرة أم غير مباشرة.

أجاتون : إنك لا تفهمين هذا، إنه تعبير قانوني.

ساركا : مادام تعبيرا قانونيا فقله لسيمكا وجينا وفيدا، ولا تلصقه بي.

بروكا : حسن يا أجاتون، وهل قرأ المحامي نسخة الوصية؟

أجاتون : أجل، كلمة بكلمة.

بروكا : ألم يجد ولو كلمة واحدة يتعلق بها.

أجاتون : لا، بل يقول: «ارفعوا أيديكم عن هذا الأمر!»

بروكا : آه، بالله عليكم أيها الناس، لقد قضى علينا المرحوم، ببساطة قضى علينا.

تناسيه : لقد قضى عليّ ودفنني، ويمكنكم، إذا أردتم، أن تحضروا الآن إلى قداسي.

فيدا : هاهو يا أجاتون، وأنت تقول لنا أن المرحوم كان رجلا طيبا وكريما.

أجاتون : لقد قلت هذا حينما كنت أتعشم مثلكم أيضا.

تريفون : يا صاحبي، أي أمين، إنني أعرف أمانته جيدا.

تناسيه : لقد كا ن، أيها الإخوة والأخوات، مرابيا عاديا، تصوروا، كان يحصل مني على فوائد.

أجاتون : يا صاحبي، إنه لم يأخذ منك شيئا، وإذا كان قد أخذ فلم يأخذ منك أكثر من عشرين بالمائة، ولكنه كان يمزق جلد الآخرين، كان يمزق جلدهم وهم أحياء.

تناسيه : وكان ينهب ويقتطع من اليتامى.

بروكا : ليس هناك أحد لم يعان منه.

فيدا : حقا، هذا الشخص لم يكن لديه قلب.

جينا : لا قلب ولا رحمة.

تريفون : إذا تحدثنا بصراحة، فلقد كان المرحوم لصا حقيقيا.

أجاتون : نصابا، طبعا نصابا، رحمه الله! أعرف حينما جعل ذلك البائس سيما يوفانوفيتش يدفع الكمبيالة مرتين. وانتحب ذلك الشخص وأقسم، فلم يكن مبلغ الاثنين وعشرين ألف دينار هينا. ودفع الرجل، إلا أن المرحوم لم يعد إليه الكمبيالة القديمة وأخرجها وطالبه بها من جديد. وبكى الرجل وأقسم وشد شعره وضرب على صدره، بيد أن المرحوم لم ينصت له بل قال له: ادفع!

تناسيه : أعرف، كنت أحضر إليه كما أحضر إلى قريب لي وإلى إنسان، وأقول له: لا أملك نقودا، وهو يصيح علي وكأنه يصيح على لص: ادفع!

ميتشا : من فضلكم، لقد كان قادرا في كثير من الأحيان على رفض طلباتي. وهكذا في إحدى المرات كنت احتاج إلى ثلاثة أو أربعة آلاف دينار. وتصوروا، قال لي: لن أعطيك!

تناسيه : ونحن اجتهدنا بالأمس في مدحه بكل صوتنا.

بروكا : تعلم كيف يكون الأمر: كانت الحال بالأمس شيئا، واليوم أصبحت مختلفة.

تناسيه : لا أرى سببا لذلك: لقد كانت أخلاق المرحوم بالأمس كما كانت اليوم أيضا.

بروكا : أجل، لا أنكر ذلك، ولكن بالأمس كنا مختلفين.

تريفون : لو أعلم فحسب على أي أساس تعشمنا بينما كنا جميعا نعلم أن المرحوم وغد حقيقي، لم يكن ينبغي أن تكون لدينا آمال على الإطلاق.

تناسيه : أؤكد، أيها الإخوة، إنه نهبنا.

تريفون : إذا كان قد نهبكم فقد نهبكم على الأقل في حياته، ولكنه نهبني بعد وفاته. نهبني وهو هكذا متوف في قبره. فقد ترك لي كهبة مبلغ ثلاثة آلاف دينار ولم يشعر بأي ضيق وهو يكتب في الوصية: أترك لقريبي تريفون سباسيتش مبلغ ثلاثة آلاف دينار حصل عليه بالفعل بإيصال بتاريخ الرابع عشر من فبراير من العام الماضي. فقد رجوته كإنسان أن يقرضني ثلاثة آلاف دينار وهو يترك لي هذا الدين باعتباره ميراثا.

فيدا : ولكن قولوا لي من فضلكم، كيف لم يشعر هذا الرجل بالخزي وهو يعترف علانية بأن له ابنة غير شرعية، إنه شيء فظيع يجعل المرء يشعر بالاشمئزاز منه وهو ميت.

ساركا : فيما يتعلق بهذا لم يكن يستحي، وإذا أردنا أن نقول الصدق فالمرحوم ـ رحمه الله ـ كان خنزيرا حقيقيا في هذا الشأن.

سيمكا : أوه، يا ساركا!

ساركا : أجل، أجل! إنني لم أشأ مطلقا أن أحدثكم عن هذا الأمر، ولكن حينما ترملت من زوجي الأول حاول الاعتداء عليّ. وقلت له: كيف يمكنك أيها الصديق «ماتا» أن تفكر في شيء كهذا ونحن أقرباء؟ وهل تعلم ماذا قال لي؟ يقول: أية قرابة! إنك قريبة لي من بعيد! تصوروا الوقاحة، يقول: إنني قريبة له من بعيد.

ميتشا : حقا، هذه إهانة!

بروكا : هل ينهب عائلة رائعة مثلنا من أجل خاطر ابنة غير شرعية.

جينا : لن نغفر له ذلك على الإطلاق.

ساركا : حسن أيها القريب أجاتون، هل تعترف قوانيننا بالأولاد غير الشرعيين؟ إنني أعرف أن الأولاد غير الشرعيين شيء ثانوي.. هكذا.. كيف أعبر.. وكأن جيب المرء به ثقب فتسقط منه النقود في الطريق. لا يمكن أن نقول إنه أراد أن يترك النقود في الطريق بل نقول إن بجيبه ثقبا فسقطت منه النقود.

أجاتون : في الـزمن الغـابر السعيـد كـان يتم اعتبـار الأولاد غير الشرعيين مخالفين للقانون.

ساركا : وهـل هم ليسـوا مخــالفين للقـانون الآن، بالله عليك يا أخي؟

أجاتون : ليسوا كذلك، ولكن تختلـف النظرة الآن على نحو ما. كـان عنـدي كـاتب شـاب و بمجـرد أن أنهى دراستـه بالمدرسـة تم العثور بجانـب السياج على طفل حـديث الولادة تركته أمه خلسة. وهل تعلمين ماذا قال لي هذا الكاتب عن الطفل اللقيـط، يقول: وهذا الطفل أيضا عضو من أعضاء الجماعة؟!

جينا : أوه، أية جماعة؟

أجاتون : من أين لي أن أعرف؟

ساركا : ربما ليست جماعة للغناء؟

أجاتون : ليست للغنـاء، ولكنهم يقولون كـذلك،وهو فـرد من أفراد الجماعة.

ساركا : إذن فابنة ماتا كذلك؟

أجاتون : إنها أيضا عضو من أعضاء الجماعة!

ساركا : (ترسم علامة الصليب) كان الله في عوننا!

فيدا : وهل ينبغي علينا الآن أن نعتبر هذه الفتاة قريبة لنا؟

سيمكا : أوه، ابنة لقيطة ونعتبرها قريبة لنا؟!

بروكا : إنها عار على عائلتنا.

جينا : ينبغي أن نحتقرها كلنا.

أجاتون : فيم؟

تناسيه : قل لي يـا أجاتـو ن، هل هنـاك دليل على أنها ابنتـه غير الشرعية؟

أجاتون : تعلم كيـف الحال يا تناسيـه، في مثل هـذه الحالات الطفل هو الدليل. والطفل غير الشرعي هو نفسه الدليل المادي.

تناسيه : الدليل المادي؟

أجاتون : أجل!

تناسيه : وهل دليل مادي كهذا يطردني من المنزل؟

أجاتون : ممكن!

بروكا : (وهو يخاطب الصورة): «تفو»، يا ماتا، عار عليك!

فيدا : هيا بالله عليك حتى لا نرى بعيننا هذا المسخ!

تناسيه : هيا، حقا! (يذهبان إلى حجرتها).

ساركا : وإذا سألني أحـد ماذا انتظر؟ لن أجلس هنـا لكي انظر إلى صورة المرحوم.

أجاتون : تقولين الصواب يا ساركا، ينبغي أن نفترق جميعا.

ساركا : أنا ذاهبة لكي أجمع ثيابي. (تذهب إلى حجرتها)

أجاتون : وماذا تحسب أنت أيها الشاب؟

ميتشا : (كان يجلس على انفراد ويسجل شيئا على ورقة صغيرة) أريد أن أسألك شيئا أيها القريب أجاتون؟ إنه يبدو لي بشكل متزايد أنني لست قريبا للمرحوم هذه القرابة الشديدة.

أجاتون : طبعا لست.

ميتشا : (يعرض الوريقة) ها أنذا كنت أحسب شيئا وتبين أنني كنت قريبا له من الدرجة السابعة.

أجاتون : وعلى حد تعبير ساركا فقرابتك له قرابة بعيدة.

ميتشا : إذن يمكنني أن أتزوج من هذه الفتاة.

سيمكا : أوه، هل تتزوج هذه اللقيطة؟

ميتشا : إذا تزوجت لن تكون لقيطة.

أجاتون : ألم نصدر منذ قليل قرارا بأن نحتقرها؟

ميتشا : وأنتم معشر المتزوجين يمكنكم أن تتمسكوا بهذا القرار، ولكني أنا.. أقول لكم الحق، أفكر في شيء، لماذا تذهب كل هذه الأملاك إلى أيد غريبة؟ أليس من الأفضل أن تظل داخل العائلة؟

أجاتون : طبعا من الأفضل ومفيد للغاية أن تنتقل هذه الأملاك على نحو ما إلى يديك.

ميتشا : ثم، أقول لكم الحق، إنني لابد أن أتزوج وإلا فمم سأعيش؟

أجاتون : تقول الحق؟ حسـن، هل أنت فحسب تخطـط هكذا أم أنك رتبت شيئا مع الفتاة؟

ميتشا : لم أرتّـب، يبـدو لي بـاستمرار أن هـذه الفتـاة تنظـر إلي شذرا!

أجاتون : فانظر إليها أنت أيضا شذرا.

ميتشا : لو كنت أنـا الذي ورثت لنظرت إليهـا، ولكن والحال هكذا . . .

سيمكا : ألم تكن دائم اللف حولها؟

ميتشا : أجل، و لكنني لم أخمن أنها ستكون الـوريثة، ولو خمنت ذلـك لتصرفت بشكـل مغايـر، يبدو لي والحال هكـذا أنني لن أفلح . . .

أجاتون : افعل ما تعرف وتقـــدر، ولا تسـألني لأن هـذه الفتاة لا تهمنا.

ميتشا : وأنا كنت أفكر أن أرجوك أن تساعدني على نحو ما.

أجاتون : أنا؟ بماذا يمكنني أن أساعدك؟

ميتشا : لو شئت فيمكنك أن تجعل الفتاة تغير رأيها.

سيمكا : هاهو الآن، من أين يعرف أجاتون أن يجعل الفتاة تغير رأيها؟ بالله عليـك أيها القريب ميتشا، مـن قال لك إن أجاتون قادر على أن يجعل الفتاة تغير رأيها؟

أجاتون : أولا وقبل كل شيء أيها الشاب العزيـز، أنا احتقر هذه الفتاة لأننا أصدرنا مثل هـذا القرار، و أنا أريد حتى أن ألتقـي بهــذه الفتـاة، فضـلا عـن أن أتحــدث معهـا. وثانيا يا أخي، من أيـن لي أن أعرف كيف أجعل الفتاة تغير رأيها، من الـذي قال لـك إنني استطيـع أن أجعل الفتيات يغيرن رأيهن؟

ميتشا : لم يكن هذا مقصدي، ولكنك كنت مـدير ناحية فقلت إنك بارع في حسن التصرف في كل موقف وفي أن تجعل الناس يغيرون آراءهم.

أجاتون : يا أخي العزيز إنـه شيء آخر أن تجعل الشخص الموجود في حــزب المعـارضــة يغير رأيــه وينتقـل إلى حــزب الحكومة. أنا ماهر في ذلك الأمر، هذا صحيح، ولكن هذا شيء آخـر. الرجـل يغلق دكـانه في الموعـد وأنت تعاقبه لأنه ظل فاتحا دكانه بعد الموعد المقرر، وتستدعيه للاستجواب وتكتـب الاستدعاء ولكن لا تـرسله له، وبعدئذ طبعا لا يحضر وأنت تعاقبه على عدم الاستجابة للاستدعاء. ويقول في المقهـى: «يا ربي!» وأنت تعاقبه على سـب الـديـن علنا وعلى الكفـر. ويقـول: «حقـا أوقـات عصيبـة، وهـا أنــذا لا استطيـع أن أعيـش في يسر»، وأنـت تعــاقبـه على نقـل الإشــاعـات المثيرة للاضطراب. ويبصق أمام باب دكانه وأنت تعاقبه على

إلقاء القمامة في مكـان عام. وهكذا من يـوم إلى يوم إلى أن يضيق به الأمر ويأتي وينـوح قائلا: الرحمة! وعندئذ تمنحه قطعـة من الورق فيكتـب عليها كتابـة واضحة:

«حتى اليـوم كنت أتبـع هـذا الحزب أو ذاك ومنـذ اليوم...» ويلتقط الـرجل نفسه. هكذا كنـت أجعل الناس يغيرون رأيهم، ولكـن لا يمكنني هكـذا معها، مع هـذه الفتاة. لا يمكنني أن أعاقبهـا لأنها بصقت أو لأنها ظلت فاتحة الدكان بعد الموعد المقرر.

سيمكا : أتعلم أيها القريب ميتشا، سأقول لك شيئا. اسأل أنت السيدة ساركـا، فهي أفضل من يعرف كيـف يتم جعل الرجال والنساء يغيرون رأيهم.

أجاتون : ما تقـوله سيمكا كلام حكيـم. اسأل ساركـا، لا أحد أفضل منها سيقول لك. وارتكنـا نحن، فلا يمكننا أن نتحدث مـع فتاة نحتقرها. هيـا ياسيمكا لكـي نستعد ولكي نـرحل بأسرع مـا يمكن مـن هذا المنزل الـدنس (يذهبان إلى حجرتهما).

المنظر الرابع

ميتشا ودانيتسا

ميتشا : (ينظر ثانية إلى قصاصة ورقة).

دانيتسا : (حينما تلمح متيشا تشعر بالضيق).

ميتشا : أوه، أيتها القريبة العزيزة أريد.. إنني في حيرة لا أعرف هل أعزيك أم...

دانيتسا : لاتقل شيئا، لست في حاجة إلى أية تصريحات.

ميتشا : أجل، من الأفضل أن نتغاضى عن ذلك. الحياة بالفعل غاية في العجب، وحافلة للغاية بالمفاجآت.

دانيتسا : أجل!

ميتشا : أنا، طبعا، أشاطرك أحزانك كقريب أو إذا أردت أن أقول الحق، فقرابتنا ليست شديدة إلى هذه الدرجة، إنها من الدرجة السابعة. وهذه قرابة بعيدة للغاية لدرجة أنه يمكن أن نعتبر وكأننا لسنا أقرباء.

دانيتسا : هذا أفضل!

ميتشا : أجل، وأنا أرى ـ من جهة ـ إنه أفضل بكثير. ولذلك ـ ترين ـ إنني قلق للغاية بسبب وحدتك لا كغريب ولكن كإنسان يحترمك ويحمل لك مشاعر ود وستحدق بك الكثير من الهموم وأنت وحيدة للغاية.

دانيتسا : وسأظل وحيدة، والوحدة حبيبة إلى نفسي.

ميتشا : أجل، لفترة معينة، هذا مفهوم. ولكن هذا لا يمكن أن يستمر على الدوام، مثلا ستة أشهر، خلال فترة الحزن الأولى. ستة شهور فقط.

دانيتسا : ست سنوات!

ميتشا : كيف؟!!

دانيتسا : ست سنوات!

ميتشا : ست سنوات؟ ومن سينتظر حيا حتى ذلك الحين؟

دانيتسا : ينتظر ماذا؟

ميتشا : ينتظر، الحزن الطويل.

دانيتسا : لن يكون طويلا بالنسبة لي.

ميتشا : بالنسبة لك ولكن.. وتنوين أن تظلي طوال كل هذه الفترة من الحزن بلا زواج؟

دانيتسا : بالتأكيد لا، ولكني لا أفهم لماذا يهمك هذا؟

ميتشا : بالله عليك، يهمني بصفتي قريبا لك.

دانيتسا : لقد قلت إننا لسنا أقرباء.

ميتشا : طبعا لسنا كذلك! لأنه.. طبعا.. لا أعلم هل يمكنني أن أكون صريحا؟

دانيتسا : تفضل!

ميتشا : انظري، أريـد أن أصحح خطـأ معينا ارتكبتـه نحوك. إنني لم أتوخ الحذر معك، وربما كنت حتى متهورا أيضا واقترحت عليك بعض الاقتراحات التي لم يكن لي الحق في تقـديمهـا. وأرجـوك أن ننسـى ذلـك. وأريـد أن أصحح هـذا الأمر البغيـض بأن أؤكـد لك أن نـواياي جادة للغاية، جادة للغاية.

دانيتسا : (في دهشة) يـاسيدي، ألا تدرك أنـي لست في مـوقف يسمح لي بإجراء مثل هذه الأحاديث؟

ميتشا : لقد أردت فقط . . .

دانيتسا : إذا كنت تـريد حقـا أن تصحح خطـأك وإهانتـك التي وجهتها لي باقتراحاتك، وأفضل أسلوب لتحقيق ذلك هو أن تأخذ حقيبتك وترحل من هذا المنزل.

ميتشا : كيف؟ أن أرحل؟

دانيتسا : أجل!

ميتشا : هل هذا هو أمر منك؟

دانيتسا : هذا رجاء مني.

ميتشا : سأحققه لك. وأنا بدون رجـائك هذا كنت متوهجا في هذه اللحظة بالذات لكي آخذ حاجياتي، وسأفعل ذلك الآن بـأسرع ما يمكـن. ولكـن لي رجـاء عندك: هـل يمكننا وفي أي وقت يمكننا أن نستأنف هذا الحديث؟

دانيتسا : بعد ست سنوات، عندما تنتهي فترة حزني.

ميتشا : هذا يعني أننا لم نستأنفه أبدا.

دانيتسا : (تهز كتفيها).

ميتشا : (وهو يتجه للخروج) إذن.. إذا كـان الحال كذلك.. فأرجوك أن تحذفيني حذفا من قائمة أقربائك.

دانيتسا : سأفعل كما تريد!.

ميتشا (ينصرف صاعدا السلم).

المنظر الخامس

دانيتسا وأجاتون وسيمكا

أجاتون : (حينما يلمح دانيتسا يهرع ويحتضنها، وتفعل سيمكا نفس الشيء. ويخرج منديلا ويمسح دموعه) يـابنيتي العزيزة!

سيمكا : ياحبيبتي، ياعزيزتي!

أجاتون : ياربي! (يبكي)يالعظمة أوامر الرب!

سيمكا : إنني أختنق ولا أقدر على الحديث، ياحبيبتي الصغيرة!

أجاتون : كنت أقول لسيمكا. لقد أحببت هذه الفتاة الصغيرة.

سيمكا : وأنـا أيضا. بمجرد أن رأيتك وشيء يتراقص هنا في صدري. يا إلهي، ماذا تعني صلة الدم!.

أجاتون : لقد أحسست بهذا من أول يوم رأيتك فيه! أتتذكرين ياسيمكا حينما قلت لك إنني أشعر بأن هذه الفتاة قريبة لنفسي؟.

سيمكا : أو تعلمين بماذا أجبته، قلت له: كأنها قطعة من قلبي.

أجاتون : رباه، رباه، إن معجزاتك عظيمة!

دانيتسا : (وهي عاجزة عن الدفاع عن نفسها لأن كلاً منهما يجذبها من الآخر ويحتضنها طوال كل هذا الوقت) ولكن، أرجوكم!

أجاتون : وكنت أقول لسيمكا: هيا نكون قريبين من الفتاة، فنحن الآن أقرب أقربائها. كيف يمكنها بمفردها أن تحل مشاكلها مع الناس؟ وها أنذا سأقول لك ماذا اتخذت حتى الآن نيابة عنك: لقد أمرت جميع هؤلاء بأن يرحلوا. سيجلبون لك المتاعب، ولكني أعرف كيف أصيح فيهم. وراحوا يحتجون لي: بهذا وذاك ولكني قلت لهم: أسمعتم، لا تعتقدون أن هذه الفتاة بدون حماية طالما أنا هنا! آمركم بالحسنى أن ترحلوا على الفور!

دانيتسا : وهل سيرحلون؟

أجاتون : إنهم لا يريدون، ولكنهم مضطرون. وهم يعلمون جيدا أنني لا أمزح. لقد جمعتهم كلهم هنا وصحت فيهم: انتباه! فاصطفوا في صف واحد وأخذوا يرتعدون. فقلت لهم عندئذ: أتريدون الرحيل بالحسنى؟ وإذا لم تكن بكم رغبة فسأستخدم وسائل عنيفة.

دانيتسا : شكرا لك!

أجاتون : لا ضرورة للشكر هنا، هـذا واجبي. حينما كنت أزور المرحوم أثناء مرضه، أحسست أنه يريـد أن يفضـي إلي بشيء وهو يتـردد: هل يفضـي بـه أم لا يفضي. .

دانيتسا : (تنفجر في البكاء) أبي المسكين!

سيمكا : رحمه الله!

أجاتون : ياله من رجل شريف، يصعب أن يولد مثله!

سيمكا : يصعب وربي!

أجاتون : قلت لـك. . كان يتردد، وأقـرأ من عينيـه أنه يـريد أن يقول لي: «ياأجاتون ليس لي مـن هو أقرب منك، إنني أودع هذه الفتاة أمانة لديـك»! لم يقل ذلك، ولكن من الواضح وضوح النهار أنه أراد أن يقول لي ذلك. والآن كيف لا يطيـع المرء رغبة المرحـوم ولا ينفذهـا؟ وكيف أتركك؟

دانيتسا : ولكن. . .

أجاتون : وقالت لي سيمكا: «لقد أحسنت صنعا ياأجاتون بأن أصدرت أمرك الصارم ليرحل هؤلاء من المنزل، ولكن هل سنرحـل نحن؟» فقلت لها: كيف نـرحل، وكيف يمكنني أن أترك تلك الفتاة بمفردها؟ ستقولين: عندها خالتها، ولكن الخالة هي الخالـة وأنا هو أنا. لا يمكن

للخالة آن تهرول لدى السلطات، وتلصق طوابع الدمغة وتتصارع مع المستأجرين وتتشاجر مع أفراد العائلة، لا يمكنها أن تفعل ذلك، ولابد أن نبقى بالمنزل. وعلى أية حال فستنتقل دانيتسا إلى المنزل الكبير، وسننتقل نحن إلى ذلك المنزل الصغير الموجود بالفناء، ذلك المنزل الذي تقطنين به الآن، فقط لكي نكون هنا بجانبك، ولكي نتواجد بقربك عند احتياجك لنا.

دانيتسا : لا أعلم، لابد أن أتحدث في ذلك مع المحامي.

أجاتون : مع المحامي؟ ليس لدينا مانتحدث فيه مع المحامي. وعلى العموم فمن اليوم، بعد أن يسلمنا الأملاك، لن يصبح المحامي الخاص بنا.

دانيتسا : ومع ذلك، فقد أحسن التصرف للغاية معنا، وأثبت تماما أنه صديق بحيث إنني لا أريد أن أفعل شيئا قبل التشاور معه.

أجاتون : (يمعن النظر فيها) فهذا الـــ. ربما تنوين أن تتشاوري معه طول الحياة!

سيمكا : ولم لا، أقول الحق ياأجاتون، إنه ليس شخصا سيئا تماما، إنه شاب مجد وجاد.

دانيتسا : (في ذهول) ولكن ماهذا الذي تقولانه، بالله عليكما ماهذا الذي تقولانه؟

أجاتون : (مخاطبا دانيتسا) وأقول لك الحق، ليس أمرا سيئا أن يكون لديك محام بالمنزل. حينما يكون لديك محام داخل الأسرة، فهذا وكأنك تملكين مسدسا بالمنزل.

دانيتسا : (تدافع عن نفسها في يأس) ولكن لا، بالله عليكما!.

أجاتون : وأقول لك الحق، لقد أعجبني هذا الرجل من أول وهلة.

سيمكا : وكيف لا؟ وسيكونان بالفعل زوجين رائعين، زوجين رائعين بشكل غير عادي!..

دانيتسا : (في يأس) ولكني أرجوكما، انني أستحلفكما، لا تقولا مثل هذه الأمور!.

سيمكا : فنحن، ياحبيبتي...

دانيتسا : (تضع أصابعها في أذنيها) لا أريد أن أسمع، ولا أريد أسمع كلمة!

أجاتون : ولكن ـ تعلمين ـ كوني عاقلة واتركي هذا لي. سأرتب أنا هذا الأمر معه، لا تتدخلي أنت في أي شيء، سأرتب أنا هذا الأمر.

دانيتسا : ولكن بالله عليكما، استحلفكما، أرجوكما، كفى! من الذي قال لكما ذلك، لم أقل لكما أي شيء، إنني لا اهتم بذلك! لا اهتم بذلك (تهرول خارجة).

سيمكا : لماذا دفعت الفتاة للخروج.

أجاتون : لقد تملكها الحياء، من اللائق أن يتملكها الحياء، وأنت كان الحياء يتملكك في وقت من الأوقات.

سيمكا : إنك مبتهج بهذا ياأجاتون، لأننا تظاهرنا بأننا أقرباؤها.

أجاتون : إننا أقرباؤها، حقيقة إننا أقرباء غير شرعيين ولكن هذا لا يهمني. لماذا أشيح بوجهي عن الفتاة طالما قد ورثت كل هذه الأملاك؟ من الأفضل بالنسبة لي أن أكون قريبها من أن أكون قريبا لبروكا وجينا.

سيمكا : من الأفضل طبعا.

المنظر السادس

المحامي وشخصيات المنظر السابق

المحامي : (يأتي من الخارج) آه! الضيوف مازالوا هنا؟

أجاتون : أوه، لا! لقد أقصيتهم جميعا من هنا. وهاهم في الحجرات يحزمون حاجياتهم. وقلت لهم في حسم: لقد دخلتم المنزل بأسلوب غير قانوني فلاتجعلوني أطردكم من المنزل بأساليب غير قانونية، بل هيا ليذهب كل شخص إلى منزله.

المحامي : لقد أحسنت الصنع.

أجاتون : إنني أعرف كيف أقوم بهذه الأمـور، ولابد أن أتواجد بالقـرب من قـريبتنا. إنها فتاة طيبـة ومتواضعـة، ولن تعرف كيـف تجابه الأفـاعي والغـربان، والخالـة مسنة واهنة، وهذه الأمور لا تناسبها.

المحامي : أجل!

أجاتون : ولذا فقد اتفقنا على أن تنتقل هي إلى هذا المنزل الكبير، وأنا مـع سيمكا ننتقـل إلى منزلها الصغير، لكـي نكون هنا، لكي نتواجد بالقرب منهما.

المحامي : وهل اتفقتم على ذلك؟

أجاتون : أجـــل. وقـــد قالـت حقـا إنها ستتحدث معـك، ولكني لا أرى ماذا يـوجد هنا لكي تتحدثـا عنه. فهذا أمـر بسيـط للغـايـة، لا يمكـن لهاتين المرأتين أن تظـلا بمفردهما في مثل هذا البيت الكبير. سيختلف الأمر فيما بعد بعدما تنتقل أنت إلى المنزل.

المحامي : (في دهشة) كيف بعدما انتقل أنا إلى المنزل؟!

أجاتون : فيما بعد، هناك حتى ذلك الحين متسع من الوقت.

المحامي : ولكن، أرجوك، وضـح لي ماذا تعني بقولـك: بعدما انتقل إلى المنزل؟

أجاتون : لا أقصد هكذا أن ننتقل، بل بعدما تتزوجان.

المحامي : من يتزوج، وبمن أتزوج؟

أجاتون : أن تتزوج، طبعا لن تتزوج سيمكا.

سيمكا : أوه ، أيها الشقي أجاتون!

المحامي : أرجوك، كن أكثر وضوحا. أريد أن أعرف ماهذا الذي تقوله؟ وعم تتحدث ؟ وبمن سأتزوج؟ .

أجاتون : أقصد بقريبتنا هذه.

المحامي : ولكن كيف يمكنك؟ وكيف تجرؤ؟ ومن الذي قال لك هذا؟

أجاتون : هذا لا يقال، هذا يعرف هكذا. أوه، لدي حاسة شم جيدة بالنسبة لهذه الأمور.

المحامي : ولكن، على أي أساس أمكنك أن تستنج ذلك؟ هذا هراء، هذا من نسج خيالك، لا يوجد أي شيء يمكنك على أساسه أن تستنتج شيئا كهذا.

سيمكا : هذا شيء يعرف ياسيدي، هاهو منذ قليل حينما كنا نتحدث معها عن ذلك، احمر وجه الفتاة أشد الاحمرار.

المحامي : (في ذهول) كيف، هل تحدثتما معها في ذلك؟

أجاتون : طبعا!

المحامي : ولكن من الذي فوضك في أن تتحدث معها في مثل هذه الأمور؟ .

أجاتون : ولماذا يفوضني أحد طالما هذا هو واجبي وشأني.

المحامي : أنا أمنعك ياسيد، من الحديث في مثل هذه الأمور! .

أجاتون : أنا . . .

المحامي : أرجوك، ولا كلمة أكثر من ذلك!

أجاتون : تماما! ياسيمكا، حذار ولا كلمة عن هذا الأمر أكثر من ذلك، حينما يحين الوقت سأقوم أنا بهذا.. (مخاطبا المحامي) اترك هذا لي، حينما يحين الوقت، سأ....

المحامي : افهمني مرة ياسيدي، لا أقول لك شيئا.. ولا أفكر في مثل هذا الأمر، أتفهم، ولا أفكر! (يشد شعر رأسه) وقلتها لها أيضا، يمكنني أن أتصور إلى أي حد أساء لها هذا في لحظة أكبر أحزانها. لابد أن تعتذروا... لا، لا. أنا سأعتذر لها، أنا سأعتذر لها.

أجاتون : ولكن ليس هناك سبب لذلك، لقد قلت لها هذا في لباقة شديدة وبطريقة أبوية.

المحامي : لا، لا. لابد أن اعتذر لها. لا أريد أن تفكر أيضا...

أجاتون : حسنا، ليكن الأمر على هذا النحو! اذهبي ياسيمكا واستدعي الفتاة. قولي لها أن تحضر إلى هنا، ولكن لا تذكري لها شيئا عن ذلك الموضوع، سأقوم أنا بهذا.

سيمكا : (تنصرف).

المحامي : ولكن لا تفعلي بالله عليك، ألم أقل لكما: لن تقولا شيئا أبدا عن هذا الموضوع.

أجاتون : أجل، طيلة فترة الحزن.

المحامي : إنك تجعل صبري ينفذ! حتى بعد أن تنتهي فترة الحزن، أتفهم، حتى بعد أن تنتهي فترة الحزن. لن أتزوج على الإطلاق، ولا أفكر في الزواج.

أجاتون : ولا أنا أيضا لم أكن أفكر في الزواج ولكن تعلم كيف تكون الحال. يسير المرء في الطريق المستقيم، ويسير قدما وعندما لا يتوقع على الإطلاق أي شيء. يصادف حجرا ويتعثر به، ترى، هكذا أنا أيضا تعثرت في زوجتي سيمكا هذه.

المحامي : (دون أن ينصت إليه) أجل، أجل. . .

أجاتون : لا يعلم المرء ماذا ينتظره في الحياة.

المنظر السابع

سيمكا ودانيتسا وشخصيات المنظر السابق

أجاتون : تعالي هنا يابنيتي، ينبغي أن نتحدث مع السيد المحامي.

المحامي : ليس هناك مانتحدث عنه، يجب فقط أن اعتذر للآنسة.

دانيتسا : لي؟

أجاتون : أجل، تعلمين، لقد تحدثت معه عن ذلك الموضوع.

المحامي : ولكن ياسيدي، أرجوك أن تصمت. افهم مرة، ولا كلمة أكثر! (مخاطبا دانيتسا) لقد منح السيد لنفسه الحرية، دون أن يفوضه أحد، بأن يتحدث عن أمور معينة.

دانيتسا : وأنا رجوت السيد أن يعفيني من هذا.

المحامي : لا أريد أن تفسري ذلـك ربما... كلام السيد ليـس له أية علاقة بي، أنا بعيد عن هذا، وقد رجوت السيد ألا يذكـر لي مثـل هذه الأمــور، ولـكن يبدو لي أن السيد لا يدرك...

أجاتون : أفهم، كيف لا أفهم، ولن أنطق بكلمة بعد ذلك. لقد قلت هـذا هكذا فحسـب: إنها قريبتـي وأصبحت فتـاة وحيدة وأنت شاب شريف، وأرى أنها معجبة بك.

دانيتسا : (في يأس) ولكن من قال لك هذا؟

أجاتون : وأرى أيضا أنك معجب بها.

المحامي : ياسيدي، أنا لم أقل هذا أبدا.

أجاتون : فكـرت.. ولكـن هـا أنذا بنفسي أدرك أنـه ليـس مـن اللائق التحــدث خلال فـترة الحـزن. يـاسيمكا، ولا كلمة أكثر من ذلك!

سيمكا : اللهم احفظنا!

أجاتون : ولا تغضـب مني، هـذه هي نـوايـاي الطيبة، همومـي كوالد.

المحامي : (يديـر له ظهره، مخاطبـا دانيتسا) أنـا في حاجة يـا آنسة لبعض المعلـومات التـي طلبها قـاضي التركات. ومـن المرجح أنه ليس بإمكانك أن تقدميها لي، ولكن السيدة خالتـك.. ومن ثم أرجـوك أن ننتقل إلى الحديـث عن هذا.

أجاتون : من الأفضل آن ننتقل إلى الحديث عن هذا.

المحامي : هل بمقدورك أن تستدعي السيدة خالتك؟

دانيتسا : إنها متوعكة، فإذا سمحت أن ننتقل إليها هناك؟

أجاتون : أجل، يمكننا أن ننتقل إلى هناك.

المحامي : (مخاطبا أجاتون) إننا لسنا في حاجة إليك.

أجاتون : أجل. كما تقول. وعلى العموم أنا موجود هنا، فإذا احتجت لي فابعث في طلبي.

المحامي : (وهو يمضي وراء دانيتسا) كن مطمئنا، فلن نزعجك.

أجاتون : (حينما أصبحت دانيتسا والمحامي عند الباب) والـ، لا تقل شيئا عن هذا الموضوع أمام الخالة، اترك هذا الأمر لي.

المحامي : (يعود في انفعال) ولكن ياسيد، ألا تريد أن تصمت أبدا!

أجاتون : أجل، ولهذا أقول: لا ينبغي الحديث عن ذلك!

المحامي : (يرفع يديه في يأس ويخرج).

المنظر الثامن

أجاتون وسيمكا

أجاتون : أرأيت ياسيمكا كيف رتبت الأمـر؟ هذا هو مايطلقون عليه: ينبغـي التحلي بالمهـارة. ولا تفيد المعـرفة بـدون المهارة.

سيمكا : ولكن، يبدو لي أنهما يغضبان حينما تذكر لهما ذلك.

أجاتون : طبعـاً، يغضبـان، وهـذا هــو الـلائق، وأنـت كنـت تتظاهرين بالغضب حينما كانوا يذكرونني لك، مع أنك كنت مبتهجة في داخل نفسك.

سيمكا : تعرف، أقول هذا حتى لا تفسد شيئا.

أجاتون : اتركي هذا لي. إنك تعرفيننـي، إنني لم أفسد شيئا حتى اليوم. صحيح أنني أفسـدت الانتخابات حينما لم تكن موافقة لهوى الحكومة، أفسدت بعض المناقصات حينما لم تكن موافقة لهواي، ولكن هـذا شيء آخر، هذه هي السياسـة أما هـذا. . اتركـي لي هذا فحسـب وسترين كيف سيسير كل شيء على أكمل وجه.

(يتجمع جميع أفراد العائلة من كل الجهات ومن مختلف الأركـان والأبـواب وكـذلـك مـن درجـات السلـم. والجميع يحملون الحقـائب واللفائف، ومن الجلي أنهم يحملون أكثر مما أتوا به).

المنظر التاسع

أفراد العائلة

أجاتون : حسنا، هل أعددتم عدتكم؟

الجميع : وأنت؟

أجاتون : أنا؟ لماذا تسألونني؟ أنا شيء آخر.

بروكا : كيف، شيء آخر؟

أجاتون : هكذا. أجل، إنكم أقرباء أيضا، لا أقول إنكم لستم، ولكن كما تقول ساركا، إنكم جميعا ياأخي أقارب من بعيد.

ساركا : وماهي درجة قرابتك أنت بالله عليك؟ (يصطفون وهم محملون هكذا بحقائبهم ويقفون صفا واحدا وأجاتون يتمشى أمامهم).

أجاتون : مهما كانت درجة قرابتي فأنا أقرب منكم، ولذا، ترون، إنني سأبقى هنا.

الجميع : تبقى؟

أجاتون : سأبقى طبعا، لأنه من سيدير كل هذه الأملاك؟ ومنذ هذه اللحظة عليكم أن تعتبروني رئيسا للعائلة.

تريفون : كن أنت رئيسا لمن كنت عليهم رئيسا حتى الآن، لا عليّ!

ساركا : ولا عليّ وربي لا.

أجاتون : وأنا لا أنوي أن أكون رئيسا لك. فلا أعلم ماذا سيفيدني أن أكون رئيسا لساركا، ولكن عليكم أن تعتبروني رئيسا لكل الأملاك ومنذ هذه اللحظة لا تسري في هذا المنزل إلا أوامري.

الجميع : أوه!!!...

أجاتون : لقد أتيتم ورأيتم المنزل وتفحصتم كل شيء، ومكثتم يوما وليلة وهذا يكفي. حضرتم بحقائب فارغة والآن تحملونها مليئة وبالإضافة إلى ذلك تحملون بعض اللفائف.

ساركا : ولديك أنت أيضا ياأجاتون لفافة.

أجاتون : إذا كانت لدي لفافة فهذا لا يهمك. أنا شيء، وأنتم شيء آخر، إنكم هنا مؤقتا.

تريفون : وأنت هنا إلى الأبد؟

أجاتون : طبعا إلى الأبد! لستم هنا إلا ضيوفا، أما أنا ففي منزلي.

الجميع : أوه، أوه!!!

أجاتون : ماذا أيها الإخوة، لماذا تتعجبون؟

بروكا : إننا لا نتعجب فحسب بل ونندهش ونتساءل: من أنت وماذا تكون؟

أجاتون : تعلم من أنا، فلماذا تسأل؟

بروكا : أسأل لأنني أريد أن أعرف على أي أساس لـك في هذا المنزل حق أكبر مني ومـن هذا وهؤلاء؟ على أي أساس تعتبر شيئا آخـر ، ومن الـذي منحك الحق في التعـاظم أمامنا؟

تريفون : أجل، نريد توضيح ذلك لنا!

أجاتون : أجل ، التوضيح لك أنت بالذات .

الجميع : نريد كلنا التوضيح .

بروكا : وإلا فلن نـرحل من هنـا ، إذا كان لـك الحق في البقاء ، فإذن لنا نحن أيضا!

الجميع : هذا صحيح! لن نرحل! (الجميع يتركون الحقائب على الأرض) .

أجاتون : فماذا أوضح لكم بحق الشيطان؟

بروكا : توضح لنا على أي أساس تتظاهـر بأنك صاحب المنزل هنا؟

أجاتون : أتعتقدون أنه من السهل للغاية توضيح ذلك؟

بروكا : ليس طبعا! ولذلك لا نوافق على الرحيل .

أجاتون : وإذا وضحت لكم فهل توافقون عندئذ؟

الجميع : وضح أولا!

أجاتون : هاهـو أيها الإخوة، الأمر على النحو التـالي . تعلمون ، أليس كـذلك ، أن وارث هذه الأمـلاك هو تلـك الفتاة غير الشرعية .

الجميع : نعلم.

أجاتون : هاهو الأمر، أليس الأمر واضحا بالنسبة لكم الآن؟

بروكا : كيف يكون واضحا؟ إذا كانت هي غير شرعية فلست أنت غير شرعي، وإذا كانت هي وارثة فلست أنت وارثا.

أجاتون : انتظروا بالله عليكم، أيها الناس، لكي أشرح لكم الأمر حتى النهاية، لقد منحت هذه الفتاة بركاتي.

ساركا : أوه، أية بركات؟

أجاتون : هكذا، تمت خطبتها وستتزوج!

الجميع : آه !!!.

ميتشا : هذا مستحيل، هذا لا يمكن أن يكون.

أجاتون : وهل سنسألك!

بروكا : اتركوه أيها الناس لكي يوضح لنا. حسن ياأجاتون، إذا كانت قد تمت خطبتها وستتزوج فلن تتم خطبتك أنت ولن تتزوج أنت. نحن نسأل: لماذا تتواجد هنا؟

أجاتون : ولماذا لا نسأل بمن ستتزوج؟

كل النسوة : بمن؟

أجاتون : بالمحامي، بالمحامي الخاص بها.

الجميع : ماذا؟؟؟ !!!.

ميتشا : هذا فظيع!

أجاتون : أجل به، والآن يمكنكم أن تفهموا سبب وجودي هنا، وأنا بالنيابة عنها وبالنيابة عن المحامي أقول: أيها الإخوة. ارحلوا بالحسنى. لقد حزنتم باعتباركم عائلة المرحوم بقدر ما عرفتم واستطعتم وسيتم دفع مقابل هذا لكم.

جينا : ماذا سيتم دفعه لنا؟

أجاتون : سيدفع لكم ما يخصكم وفقا للوصية ولا يلزم أن تحضروا في قداس الأربعين.

الجميع : ولن نحضر.

أجاتون : طبعا لم تحضروا، ولا يلزم أن تحضروا لأنه في النهاية لا يمكن أن يطلب منكم أن تحزنوا على المرحوم طوال حياتكم. ونحن الذين سنبقى في المنزل سنواصل الحزن عليه ونقيم له القداسات ونشعل له القناديل.. (يتذكر) أجل وربي، خطر ببالي الآن أن أفراد العائلة أطفأوا القنديل حينما انتقلوا إلى المنزل. هيا، اذهبي ياسيمكا واشعلي ذلك القنديل في الحجرة التي توفي بها المرحوم، إنه إثم ألا يشتعل القنديل.

سيمكا : تقول الحق! (تذهب عبر درجات السلم).

بروكا : أيها الناس! أترون كيف يلف هذا الرجل حول ما نسأله عنه؟ منحها بركاته؛ ثم تمت خطبة الفتاة، ثم المحامي زوج الابنة، ثم قنديل المرحوم، ولا يريد على الإطلاق أن يوضح الأمر. لماذا لا تقول لنا ياأخي بكل وضوح: ماذا أنت ومن أنت، وباسم من تتعاظم؟

أجاتون : حسن، سأقول لكم، ولكن خذوا أولا حقائبكم (الجميع يرفعون حقائبهم) الأمر كما يلي : إنني أقرب أقربائها فطلبت مني أن أبقى .

جينا : فتاة غير شرعية وتصبح قريبتك؟

تريفون : والقرار الخاص بأن نحتقرها؟

بروكا : وعلى أي أساس أنت أقرب أقربائها؟

تناسيه : إنني أشد قرابة منك .

ميتشا : وأنا؟

أجاتون : لا أعلم ماذا تكون، ولكنني أنا أقرب أقربائها وفقا للقوانين الطبيعية أيضا .

تريفون : هاهو الآن، أين عثر على القوانين الطبيعية؟

أجاتون : أجل، القوانين الطبيعية، لأنه وفقا لهذه القوانين الطبيعية فقد رجاني هو أيضا أن أبقى هنا .

تناسيه : من هو؟

أجاتون : زوج الابنة، المحامي!

بروكا : (مخاطبا الآخرين) لا يمكن أن تمسك به على الإطلاق . إنني اقترح عليكم أيها الإخوة والأخوات أن يعود كل منا إلى حجرته، وحينما يأتي إلينا المحامي مع رجال الشرطة فلنطلب منه أن يطرد أجاتون أولا .

الجميع : هذا صحيح .

أجاتون : ليس صحيحا!

بروكا : فقل لنا ماهو الصحيح؟

أجاتون : لا يمكنني أن أقول لكم.

بروكا : طبعا لا يمكنك!

أجاتون : ولا أجرؤ على أن أقول لكم.

تريفون : ولماذا، هل في الأمر سر ما؟ -

أجاتون : (يرحب بهذه الفكرة في شغف) أجل، إنه سر!

ساركا : أوه، سر!

أجاتون : طبعا سر، فماذا كنت تظنين؟

بروكا : أترون أيها الناس كيف يستهزىء بنا هذا الرجل ويلعب معنا وكأننا أطفال؟ إنني لا أسمح بأن تسخر منا (مخاطبا الباقين) ألا ترون أنه يريد فحسب أن يطردنا وأن يبقى هو، ألا ترون أنه يختلق الآن سرا أيضا؟

الجميع : لن نرحل!

أجاتون : (في حيرة) إنني لم اختلق أيها الإخوة، بل إنه سر كبير ولا يمكنني، ولا أجرؤ على أن أقوله لكم.

الجميع : قل.

أجاتون : لم أكن أريد أبدا أن أفضي لكم بهذا ولكن. . . أوه أيها الإخوة. . (الجميع يتجمعون حوله في حب استطلاع). مادمتم تضغطون بهذا الشكل، إنني باق

هنا . . . انتظروا من فضلكم (يجفف وجهه بالمنديل) .
أنا باق هنا لأن هذا المحامي الذي خطب تلك الفتاة غير الشرعية ، إنه ابني غير الشرعي (صيحة عامة بالدهشة والذهول . الجميع يتركون الحقائب ، واللفائف وتعلو فوق كل شيء صيحة سيمكا الواقفة على درجات السلم وكانت عائدة وفي أثناء هبوطها على درجات السلم سمعت الكلمات الأخيرة وتسقط مغشيا عليها . ويستمر المشهد الصامت فترة من الوقت) .

أجاتون : (وقد تملكه الذهول من الانطباع الذي تركته كذبته ، ينظر في بلادة حينا إلى سيمكا وحينا إلى باقي أفراد العائلة . وفي النهاية يرفع يديه في استسلام) : حسن ، لقد أفسدت الأمر الآن! . . .

«النهاية»

في عرض البحر

تـألـيـــف : برانيسـلاف نوشيتش

ترجمـة وتقديم : د. جمال الدين سيد محمد

العنوان الأصلي للمسرحية

ПУЧИНА

Драма у четири чина

في عرض البحر : عرض وتحليل

برانيسلاف الكاتب الدرامي

كـان اسم بـرانيسـلاف نوشيتـش مـرادفا للضحـك والفكـاهة في نظـر المشاهدين والقراء، وكانوا على صواب كامل في رأيهم هذا ، ومن المؤكد أن فن الكـوميديا هـو المجال الـرئيسي لبرانيسلاف نوشيتـش . وحينما يسبح في مياه هذا الفن فهو آمن ومطمئـن ومتفوق على الآخرين، وفي بعض الأحيان كان يركن بلا مبالاة وثقة زائدة إلى هذا الإحساس بالأمان .

أما عندما يكتب المسرحيات الدراميـة فليست الحال كذلك، فهنا يختفي إحساسـه بالأمـان وتتلاشـى ثقته الـزائدة . ويبدو لنـا وهو على هـذه الحال كالضيـف الذي لم يتعـود بعد على المكان فيتملكـه التردد ويأخـذ في تحسس طريقـه في روية وعلى مهل . وحينما يتكلم نـوشيتش هنا فصوتـه غير طبيعي ويختلف اختلافا بينا عن صوته في مسرحياته الكوميدية .

ونوشيتش في مسرحيـاته الدرامية ينتقـي الكلمات ويعمل على تنميق العبارة وصقلها، وهـو بالتالي ليس طبيعيـا وتعوزه البساطة والتلقـائية . ولم يعد هو نوشيتـش الذي لم يكن ـ على الدوام ـ يكمـل عبارته وهو على يقين بـأن جمهوره سيفهـم هـذه العبارة النـاقصة، بـل إن سحـر عبارتـه الناقصة كان أكبر وأشد وقعا .

وهناك أدباء يمتلكون الحس الدرامي والكوميدي في آن واحد . ولاشك أن برانيسلاف نوشيتش هو أحد هؤلاء الأدبـاء فقد كتب هذين النوعين من المسرحيات . إذ أنه أجاد في الكوميديا وتـربع على عرشها ومازال حتى الآن بدون خليفة فيها، وفي الآونة نفسها كتب كمـية غير قليلة مـن الأعمال التي لا تنتسـب إلى الكوميـديا، بـل وهي على نقيضهـا تصطبغ بـالألوان القـاتمة للمآسي البشريـة . وفي كثير من الأحيـان كـان نوشيتـش كـاتب المسرحيـات

الكوميـدية المشهورة يثير الدمـوع الحارة في عيون المتفرجين ويدفـع قراءه إلى تقطيب وجوههم وإلى الشعور بالأسى والحزن.

إلا أن كوميديا نوشيتش سرعان مـا أسدلت ستارا كثيفا من النسيان على مسرحياته الـدرامية والمأساوية. وكلما مضـى بنا الزمان وتقـدم كلما تلاشى واضمحل تذكرنا لنوشيتش الكاتب الدرامي.

ويحكي لنـا نوشيتـش بنفسه أن الإلهام كـان يأتيـه في صغره عـن طريـق الصـور الانطباعيـة المأخوذة مـن ماضي منطقـة صربيا. وقـد تغذت عينـاه وروحه بهذه الصـور بوساطـة الممثلين الذين كانـوا في مدينة «سميـد ريفو» بتمثيـل المسرحيـات الوطنيـة والتـاريخيـة. وتحت تأثير هـذا الإلهام حـاول نوشيتـش أن يكتب، كما فعل كثير من الكتـاب في النصف الثاني مـن القرن التاسع عشر، وقلبه متوجه صوب الماضي والأحداث التاريخية.

بيد أن نوشيتش لم يجد نفسه إلا حينما شرع في كتابة المسرحيات الكوميدية ولم يكتسب شهرته إلا من وراء هذه المسرحيـات المبهجة الساخرة. وأصبح نوشيتش بالنسبة لمعاصريه مـن الأدباء والنقاد أديبا يكتب ـ في المقام الأول ـ مسرحيات كوميـدية رسمت البسمة على شفاه مشاهـديه، وفي أحيان كثيرة أدمت قلوبهم من الضحك، ولم يجرؤ أبدا بعد ذلك أي إنسان عاقل أن يضع مسرحياته الدرامية جنبا إلى جنب مع مسرحياته الكوميدية.

ويا له من قدر عجيب ذلك الذي تعـرض له نوشيتش كاتب المسرحيات الكـوميديـة، تلك المسرحيـات التي جلبـت له المجـد والشهرة، والتـي في الوقت ذاته عمدت بشهرتها إلى أن تحجب عـن معجبيه موهبته الدرامية التي تمثلت في تلـك المسرحيات الدرامية القليلـة. ورغم كل هذا فمـن المؤكد أن نـوشيتش لم يكـن فحسب كـاتبا للمسرحيـات الكـوميديـة. وأنه لمن قبيـل الإنصاف التذكير بأن الحبيبات الذهبية لموهبتـه المبدعة قد سطعت وتلألأت أيضا في مسرحياته الدرامية.

ونوشيتـش الكاتب المسرحي الكبير يـزجي نصائحه إلى كتـاب المسرحية الجدد في زمانه فيقول:

١ ـ على كاتـب المسرحية ألا يتسلل إلى روح شخصياته بـل عليه أن يجعل

شخصيات المسرحية تدخل إلى روحه. وهذا يعني وجوب أن تكون للمسرحية شخصيتها وحياتها الخاصة بها.

٢ــ لابد أن تكون شخصيات المسرحية شخصيات حقيقية واقعية وليست دمى يحركها الكاتب كيفما يشاء.

٣ـ على الكاتب أن يشعر المتفرج في المسرح بأن ما يقال ليس محفوظا عن ظهر قلب بل إنه وليد التو واللحظة.

وقد فطن نوشيتش إلى أهمية الأدوار الثانوية فأبدى نحوها ما يتناسب مع أهميتها كما يتجلى ذلك في جميع مسرحياته.

ويرى نوشيتش أن هناك تشابها كبيرا بين كاتب المسرحية والمهندس المعماري، فالمسرحية كالمنزل، يتم إرساء الأساس في البداية ثم يتم فوقه تشييد طابق أو طابقين أو عدة طوابق وفقا لقوة الأساس وقدرته على التحمل، كما لابد أيضا أن يكون لكل جزء من الأجزاء أهميته.

ويحدد نوشيتش مبدأين من الواجب وضعهما في الاعتبار عند صياغة المسرحية:

أولا: تقرير التنظيم الداخلي للمسرحية ثم الشروع في إعداد الواجهة التي تناسب هذا التنظيم.

ثانيا: دقة العمل وتناسق جميع أجزائه.

ولم يطبق نوشيتش قوانين بناء المسرحية بناء حرفيا كما عرفها وتعلمها، فقد شاهد مسرحيات لكتاب كبار في يوغسلافيا كانوا يجيدون معرفة قواعد بناء المسرحية ولا يحيدون عنها، ومع ذلك فقد وجد الجمهور عند خروجه من المسرح بعد مشاهدتها ساكن النفس جامد الروح كأنه لم يشهد شيئا من شأنه أن يحرك نفسه ويثير مشاعره، وهنا أدرك أن معرفة قواعد بناء المسرحية ليست هي كل شيء ولابد من وجود عوامل أخرى مساعدة من أجل إنجاح المسرحية.

و من العسير أن ندرك الأسباب الحقيقية وراء لجوء نوشيتش لكتابة

الموضوعات الجادة، أي المسرحيات الدرامية. وفي حديث له عن مصير الكاتب الكوميدي في مجتمع المدينة أشار إلى أن البيئة هي التي تدفع كاتب المسرحيات الكوميدية إلى كتابة المسرحيات الدرامية أيضا. إذ أن كاتب الكوميديا يخشى أن يفقد احترام الجمهور له كرجل جاد يريد أن يصبح شيئا في مجتمعه، ولذا فهو يتجاهل الكوميديا إلى حين ويتجه إلى المسرحيات الدرامية لكي يبدي فيها وجهه المتأمل المفكر ويعرض فكره العميق وقلقه الشديد تجاه بلده ومستقبلها.

وقد كان الكتاب المعاصرون يهمسون إلى نوشيتش برغباتهم وهمومهم ومشاغلهم. ولذا فمن المحتمل أن نوشيتش قد انفعل بموضوع درامي جاد وحاول نقله إلى خشبة المسرح وهكذا دخل مجال التأليف الدرامي.

ولاشك أنه توجد دوافع وأسباب أخرى للجوئه إلى المسرحية الدرامية. واعتقد أن المسرحية التي بين أيدينا توحي ببعض هذه الأسباب والدوافع التي ستتعرض لها عند تحليلها.

العرض والتحليل

كان أفراد الطبقة المتوسطة في صربيا في أواخر القرن التاسع عشر قد نفذ صبرهم، والناس يمدون أيديهم في جشع وغير قناعة لكي ينهبوا ويخطفوا ما يقدرون على سلبه. وتظهر على بعض منهم بشكل سريع مظاهر الثروة، والبعض الآخر يرتفع من الحضيض إلى أعلى المناصب. وهذا التهافت على المال والتزاحم على المناصب موضوع يفرض نفسه بشكل طبيعي على أي كاتب مسرحي.

وتتسم هذه المسرحية بشيء آخر ففيها ابتعد نوشيتش عن الكوميديا واقترب من الدراما ولكن لماذا؟ لقد أصبح الزمان عسيرا وقاسيا. فقد جثم على صدر صربيا واعتصره نظام وحشي عنيف يتمثل في المناصرين للحكومة والمدافعين عن ملكية أوبرينوفيتش بأي ثمن. ووصل الحال آنذاك إلى أن أصبح رجال الشرطة هم المسيطرون على مقاليد الحكم في البلاد. وأفضل

دليل على ذلك هو شدة الظلام الحالك المخيم على البلاد والمناخ الخانق الذي تعيش فيه العاصمة بلغراد. ودأب رئيس شرطة بلغراد، وكأنه قد تدرب في أقسى معاقل الظلم والقسوة، على إساءة معاملة المواطنين المحترمين والوزراء السابقين ورجال الدين إذا ما تم القبض على أحدهم لسبب من الأسباب أو تم الاشتباه في أنه من المعارضة، أو إذا جرى استجوابه، وكان يتم ترك هؤلاء الأشخاص بدون ماء في أيام القيظ الشديد، وإيداعهم في حجرات ضيقة مظلمة حافلة بمختلف أصناف الحشرات، كما يتم تقييد أقدامهم بالقيود وحراسهم يسرقون الأطعمة التي يرسلها لهم الأهل.

إنه زمن حافل بالموضوعات التي تصلح مادة للفكاهة والسخرية. ولكنه زمن يتحسر فيه أن يخطر ببال أي كاتب ـ خاصة إذا كانت له أسرة وأولاد ـ أن يكتب في مثل هذه الموضوعات. ولذا بدأ نوشيتش يكتب في ذلك الحين مسرحياته الدرامية مبتعدا تمام الابتعاد عن نقده للسلطة.

ومسرحية «في عرض البحر» تتعرض لمأساة عصرية، فالبطلة، وهي امرأة شابة، ارتكبت إثما كبيرا في حق زوجها لأنها أرادت أن تعجل بصعوده سلم الترقي نظراً لاقتناعها بأن الكفاءة لا تفيد شيئا مادام الإنسان لا يملك وساطة.

والسبب الحقيقي لهذه المأساة العائلية أن هذه الزوجة لم تعد تحتمل أن تعيش في الصفوف الأخيرة من المجتمع، وقد عارض والدها وأقرباؤها وأصدقاؤها هذا الزواج منذ البداية، وجميعهم كانوا يرتابون في مستقبل ذلك الشخص الذي اختارته لوسامته فقط. وبعد الزواج أخذت الطموحات والتطلعات تمزقها وتثير قلقها بل وتثير غيرتها العمياء من صديقاتها اللاتي تزوجن بأشخاص ذوي مناصب عالية. وأصبح تطلعها لأن تصبح من السيدات الأوليات في المجتمع أشد وأقوى من حبها لزوجها.

واستطاعت الزوجة عن طريق صلتها بالوزير أن تفتح الباب على مصراعيه أمام مستقبل زوجها ووفرت بذلك لزوجها سبل الترقي المستمر، ولم يتورع نوشيتش أن يقول ذلك بمنتهى الوضوح والصراحة، وهنا عاد

إليه حبه إلى الانتقاد والسخرية من الشخصيات ذات السلطة والنفوذ. ولم يـر نظام الحكـم في ذلـك أية غضـاضـة، فالنظـام ليـس مضطرا لأن يحمـي العلاقـات الغرامية للوزراء، وهـو مسئول فقط عـن الدفاع عن نفسـه ضد الذين ينتقدون أسلوب الحكم ووسائله. ولم يفت نوشتيش هنا أن يندد بهذه الصلة المريبة بين الزوجة وبين الوزير الـذي أخذ يشبع شهواته العاطفية على حساب شرف موظفيه. ورأى نوشيتش في ذلك شرا مستطيراً وبلاء اجتماعيا خطيرا يهدد الأسرة والمجتمـع. وقـد أثـار هـذا الـرأي إعجـاب النقـاد بـل ودهشتهم لأن نـوشيتش هـاجم من قبـل الحياة الأسريـة والمرأة بوجـه عام ولكنه في هذه المسرحية قال كلمة الحق وأصبح رجل أخلاق بمعنى الكلمة.

وبعد معرفة الزوج بهذه العلاقة المشينة قررت الزوجة الرحيل عن المنزل بـلارجعـة إلا أن الزوج منعهـا مـن تـرك المنـزل حفاظـا على سعـادة ابنتهما الوحيـدة، وقرر في الآونة نفسها إخفـاء الفضيحة عن الناس حمايـة لمستقبل الابنة. ثم أرسل ابنته إلى دار حضانة بالخارج حتى يفصلها عن أمها، ولكنه في نفس الحين أبعدها عن نفسه وحرم الابنـة بهذه الطريقة من حنان الأبوين الأمر الذي سرعان ما أصاب الابنة بالمرض.

وبسبب انتشار الشائعات حول زوجته وعـلاقتها بالوزير فقد حاول الزوج أن يـروج إشاعات تفيد بـأنه شخص سيىء الأخـلاق حتى يخدع الناس وتظل أم ابنتـه شريفة أمام الناس وأمام المجتمـع. ونجحت هذه الخطة وشـاعت أخبـار سيئة للغـاية حولـه ولذا فقـد احتقره النـاس بل وهاجمته الصحف وانتقدته.

وفي هذه الأثناء كانـت هناك محاولات من جانب طبيب العـائلة للتوفيق بين الزوجين حتى تعيش الابنة في جـو أسري يسوده الحب والانسجام الأمر الذي سيساعد حتما على شفائها. ونجح إلى حـد ما في ذلك وسامح الزوج زوجته على فعلتهـا الشائنة وعادت الثقـة على نحو ما بين الـزوجين. بيد أن الحظ كان معاكسا لها فقـد علم الزوج من رسالة بعثها الـوزير إليها أن الابنة ليست ابنتهما وإنما ابنتهـا من الـوزير. وفي نفـس تلك اللحظـة تتأزم صحـة الابنة وتفقد حياتها. وهكذا تكون نهاية الخطيئة.

وقد أثبت نوشيتش في هذه المسرحية أنـه كاتب بلغرادي بمعنى الكلمة، إذ من الواضح أنه ألقى نظرة فـاحصة متأنية على النقائص والعيوب السائدة لدى سكان مدينـة بلغراد، وهكذا كتب هذه المسرحية التـي لا تقع أحداثها إلا في بلغراد وبين عالم الموظفين فيها.

أما الشخصية الرئيسية في هذه المسرحية فهي امرأة. وهكذا كان الحال في عدد كبير من المسرحيات الفرنسية في أواخـر القرن التاسع عشر حينما كانت سارة بـرنار وجايـريلا ريجان تحتفلان بالنجـاح الذي حققتاه، وكـان أشهر كتاب الدراما الأحياء يكتبون المسرحيات خصيصا لهما.

وقد كان نوشيتش حريصا خلال حيـاته على أن يثري مجموعة شخصياته النسائيـة بشخصية تلعـب دور البطولة. فكـان أن كتب بعـض المسرحيات الكوميدية والدرامية التي لعبت فيها المرأة دورا بارزا.

وفي إحدى مسرحيـاته عالج مـوضوع اشتراك المرأة في الحياة العـامة وفي الوظـائف والأعمال التي تبعدها عـن منزلها وأسرتها وأبنائهـا. ونتيجة لهذه المسرحية اتهم نوشيتش بنظرته الرجعية إلى المرأة. وراح نوشيتش بعد صدور هذه المسرحيـة يدافع عـن نفسه بقوله إن المؤلـف المسرحي كثيرا ما يبـالغ في وصـف عيوب ونقـائص شخصيات مسرحيته إظهارا وإبـرازا لها كي يتضح للمتفرجين مقدار خطئها وضررها، وبهذه الطريقـة يستطيع الناقد أن يصل إلى هدفه.

ويستطرد في معرض دفاعـه عن موقفه قائلا: هناك امـرأة تعمل وتدرك مع هذا تمام الإدراك الـواجبات التي تفرضهـا عليها أمومتها، وحتـى عندما تكرس نفسها للعمل فإنها لا تنسى واجبـات الأمومة والمنزل. وهناك امرأة أخرى تهمـل واجبات الأمومة والمنـزل وتلجأ إلى العمل والظهـور في الحياة العامة لكـي تتجنب تلك الواجبات أو لكـي تجد لنفسها المبررات، وإنني إذ أدعو هـذه المرأة إلى العودة إلى منـزلها وأولادها فأنـا لا أمنعها مـن العمل أو الظهور في الحياة العامة بل أطالبها بأن تأخذ مكانها الطبيعي في الحياة.

وفي مسرحيـات: «اللعبة الخطـرة» و«امـرأة بـلا قلب» و«حـرم جنـاب الوزير» أعطى نوشيتش المرأة دورا أسـاسيا، ولكنه كان إلى حد كبير متجنيا

عليها وليس في صفها. وفي مسرحيتنا هذه وقف نوشيتش بجانب الحق والعدل في مواجهة الخيانة وانعدام الشرف اللذين تمثلها الزوجة. ويبدو أن نوشيتش كان مضطرا إلى التجني على المرأة ووضعها في هذه المسرحية حتى يحمي المجتمع من تدهور الأخلاق وانحطاطها، وهو أمر كان سائدا في ذلك الحين. إن هذه المسرحية تمثل صرخة حق ودعوة صريحة إلى كل امرأة بالتحلي بالشرف وعدم التخلي عن وفائها لزوجها وأسرتها وعدم تفريطها في كرامتها حتى ولو كان ذلك لصالح زوجها ومستقبله.

ونود هنا أيضا أن نشير إلى أن نوشيتش الذي كان يعمد في معظم مسرحياته، وخاصة الكوميدية الانتقادية، إلى إخفاء هدفه الحقيقي منها كي ينجو من السجن الذي دخله وتعرض له مرات بسبب إعلانه لآرائه وأفكاره. . تعمد هنا أن يظهر الهدف شارحا وموضحا إذ ليس ثمة ما يدعو إلى الإخفاء.

ونلاحظ كذلك في هذه المسرحية ما يوجهه المؤلف ـــ على لسان شخصياته ـ بين الحين والآخر، من نقد، ومايبثه أيضا من رأي. وقد برع في هذا المضمار إذ حين يوجه ما يوجه أو يبث ما يريد لا يجعل القارىء أو المشاهد يحس بأنه يزيد أو يدس في الكلام ما يريد أو يفرض رأيا يعينه، بل يجعل كل منهما يشعر بأن كل كلمة قيلت لها ما يستدعي وجودها، وأنه لا يمكن الاستغناء عنها في ذلك الموقف بالذات.

وليس من العسير على القارىء أن يلحظ في هذه المسرحية الانتقادات الموجهة ضد فساد وانحراف البيئة. وهي انتقادات ليست في جوهرها، موجهة ضد سوء استغلال السلطة وإنما هي انتقادات موجهة إلى روح وتصرفات وأخلاق الطبقة المتوسطة التي تتدخل، بأسلوب أو بآخر، في شئون غيرها وتنشر الشائعات وتدبر المكائد وفي النهاية تطلب إيضاحات واستفسارات بل وتقديم الحساب لها، وفي هذه المسرحية يصيح الطبيب قائلا: «يا إلهي، لا يوجد منزل في بلغراد يمكن إغلاق جدرانه والحفاظ على سره» وكأن التجسس البوليسي على أعداء الملكية ونظام الحكم قد انتشر وامتد ليشمل التجسس على البيوت وعلى كل الناس.

ويتكرر في هذه المسرحية ذكر كلمة «الناس»، وهم يمثلون القوة المدمرة للقدرة المطلقة في الحياة العائلية والشخصية. وهؤلاء الناس الذين كثيرا ما تعرض لهم نوشيتش في مسرحياته حتى ذلك الحين، والذين سيكتب عنهم بعد ذلك بعدة سنوات مسرحية تحمل نفس الكلمة، هم ـ في رأيه ـ مرادف للبدائية وللمخالفة الحقيقية للشرعية والقانون. وحينما يصبح صوت هؤلاء الناس عاليا فهذا يعني أن قوة كبيرة تهدد الحرية الشخصية لباقي أفراد المجتمع.

ووفقا لهؤلاء الناس فلابد من تنسيق وترتيب التصرفات الشخصية حتى فيما يتعلق بالعلاقات الأسرية الحميمة وذلك لأن الناس لا يصونون الأسرار، ولا يمكنهم إلا أن يكونوا حلفاء أو خصوما.

وإذا نظرنا إلى هذه المسرحية من الناحية التاريخية فإنها تعد خطوة إلى الأمام، فهي تمثل مع غيرها من المسرحيات الدرامية البداية الفعلية للدراما اليوغسلافية التي تعالج موضوعات عصرية من المدينة، وذلك بعد الفيضان الهائل من الموضوعات التاريخية والقروية، وبعد مسرحيات الفرسان والسهام والملابس الشعبية المزركشة.

والمشاكل التي تتعرض لها هذه المسرحية متعددة ومعقدة للغاية وتمس صميم المجتمع، وأحداث المسرحية حافلة بالتحولات العديدة وغير المتوقعة. وهذه المسرحية نموذج للتأليف المسرحي السائد في أواخر القرن التاسع عشر حيث تم فيه بلوغ مهارة فائقة في كتابة المسرحيات الدرامية تصل إلى حد البراعة الفنية. ولم يغفل نوشيتش لحظة واحدة في هذه المسرحية وكأنه لا يصدق صبر متفرجيه، ويغمرهم على الدوام بالمفاجآت. إلا أنه يفعل ذلك باقتدار كما كان يفعل كتاب الغرب والكتاب الفرنسيون على وجه الخصوص، فقد بلغوا مستوى رفيعا في هذا النوع من الكتابة المسرحية.

ويتمسك نوشيتش بالخصال الطيبة لمعاصريه من كتاب المسرح. فهو يراعي على الدوام، ونجح في ذلك، في أن يظل في حدود الأمور الممكنة والواقعية والمنطقية، وأن يظل داخل إطار المبادىء والقواعد التي يلتزم بها

التأليف المسرحي الدرامي في فرنسا. ونسي هنا الكاتب الروسي جوجول الذي كان على الدوام مثاله الذي يحتذى به وقدوته التي يتمثلها في الكتابة المسرحية.

ومما لاشك فيه أن هذه المسرحية تشهد ببراعة الكتابة المسرحية الدرامية لدى نوشيتش، وتشهد - في المقام الأول - بقدرته وبراعته على تصوير حياة الإنسان وعلى ألا يأخذ أبدا الأمور بظواهرها وعلى علاتها.

ففي بداية المسرحية نجد موظفا بسيطا يتوسل إلى البطلة في أن تساعده لكي يترقى في عمله. ونظرا لأن لكلمتها تأثيراً (وسنعرف السر فيما بعد) فالوزير لن يرفض لها طلبا. وتنفجر المرأة غضباً وتشعر بالإهانة، وفي نهاية الفصل الأول نجد كل الظروف ليست في صالح هذا الموظف البسيط. وهكذا أيضا تكون كل مشاعر المشاهدين في صالة العرض. فهذا الشخص في رأيهم جميعا يعد دساسا خسيسا لا يستحق منهم إلا الاحتقار.

وفي الفصل الثاني نرى مشهدا بين هذا الموظف الصغير الذي يوشك أن يفقد وظيفته بسبب الدس والافتراء، وبين زوج البطلة الذي يملك كل الأسباب التي تدفعه إلى ألا يسامح هذا الدساس، ووفقا لكل ما نعلمه فنحن أيضا نميل لأن نعتبر الموظف الصغير رجلا سليط اللسان ودساسا لا يستحق إلا المهانة.

ولكن نوشيتش بمهارته وإنسانيته البارعة سيخرجنا من هذا الوهم، وسرعان مانعلم أن كاهل هذا الموظف البائس مثقل بعائلة كبيرة نسبيا وراتبه ضئيل لا يمكنه من التكفل بها. ولذا فإنه في حالة غضبه حينما فاض به الكرب والمرارة كرر فحسب ذلك الكلام الذي يتناقله الجميع. وهكذا يدفعنا نوشيتش بهذين المشهدين إلى أن نغفر للموظف الصغير تطاوله وتهوره. والأمثلة كثيرة على براعة نوشيتش في مثل هذه المواقف.

وعلى الرغم من أن هذه المسرحية تخلو من شاعرية المشاعر البشرية الدافئة وتعوزها الأسرار البشرية العميقة إلا أنها تؤكد - في المقام الأول - مهارة نوشيتش في التأليف المسرحي الدرامي وفقا لذوق العصر وتقاليده. وهذه المهارة تثير إعجاب المشاهدين وتؤثر على نفوسهم لأنها تمكنت من أن تعرض رؤية المؤلف فيما يتعلق بالعلاقات الشخصية والاجتماعية.

المترجم

شخصيات المسرحية

فلاديمير ندلكوفيتش

يوفانكا : زوجته

أولجيتسا : ابنته

يوفان ندلكوفيتش

ماريا : زوجته

الدكتور روجيتش

السيدة زوجة جيفكوفيتش

السيدة زوجة نيكوليتش

ستانكوفيتش

ماركو أوروشيفيتش

كاتيتسا : خادمة لدى فلاديمير

ساع من الوزارة

الفصل الأول*

حجرة متوسطة الثراء. يوجد بـاب في الوسط وباب جـانبي، وفي أحد الأركان يـوجد طـاقم من الأثـاث حول المكتب، وفي الـركن الآخـر أريكة وراءها زهور، وبين الزهور مصباح مرتفـع. وتوجد من الناحية اليمنى إلى الأمام منضدة صغيرة للصحف، وكـرسيان أو ثلاثة أكثر فخامـة، متناثران بلانظام، ومن الناحية اليسرى توجد نافذة وبجانبها كرسي بمساند ومنضدة مربعة مبعثر عليها بعض الكتـب ومجلات الأزياء والصور.. إلخ. وتوجد صورة ضخمة في إطار فخم على الجدار الخلفي فيما بين البابين.

* أحداث المسرحية تجري في منزل فلاديمير

المنظر الأول

فلاديمير ويوفانكا وأولجيتسا

فلاديمير : (المسرح خـال عنـد رفع الستـار. فـلاديمير يخرج مـن الحجرة اليسرى مـرتديا مـلابسه ويضع قبعـة ويمسك بعصـا، ويتجه صـوب الحجـرة اليمنـى ثم يقـف على البـاب): ياأولجيتسـا، يـاأولجيتسـا، والدك يـريـد أن يخرج. تعالي لكي تقبلي يده. (يتحرك).

يوفانكا : (تخرج من البـاب الأيمن وهـي ترتـدي ثوبـا صباحيـا وتقود أولجيتسا) هل أنت ذاهب؟

فلاديمير : أجل، إننـي مضطر. أيـن أنت؟، تعـالي هنا. (يـأخذ أولجيتسا).

يوفانكا : قبلي يد والدك.

فلاديمير : (يقودها إلى المقعد، ويترك القبعة والعصا على المنضدة، ويجلس ويحتـويها بين ركبتيه) تعالي وقولي لي مـاذا كنت تفعلين حتى الآن؟

أولجيتسا : كنت ألعب.

فلاديمير : وماذا كنت تلعبين؟ احك لي، ماذا كنت تلعبين؟

أولجيتسا : ألعاب كثيرة . .

فلاديمير : هيا احك كل شيء بالترتيب، ماذا لعبت؟ هل لعبت بمفردك أم مع صاحباتك؟

أولجيتسا : مع صاحباتي.

يوفانكا : (تجلس) طبعا، هاهم يملؤون الحديقة، وينتظرونها. هيا احك لوالدك كل شيء بالترتيب إذا أردت أن أتركك تواصلين اللعب.

أولجيتسا : هاهو . . كنا نلعب لعبة الأخوات.

فلاديمير : هكذا! وماذا كان دورك؟

أولجيتسا : كنت الجارة؟

فلاديمير : الجارة؟ ثم؟

أولجيتسا : ثم جاءت عندي جارة أخرى فسألتها: كيف حالك؟

فلاديمير : ياللعجب! . . وماذا قالت لك هي؟

أولجيتسا : قالت لي: الحمد لله، وكيف حالك أنت؟

فلاديمير : أوه، وبعد ذلك؟

أولجيتسا : وبعد ذلك (تفكر)، وبعد ذلك قلت لها: تفضلي بالجلوس.

فلاديمير : انظري من فضلك، وماذا قالت هي؟

أوجليتسا : جلست.

فلاديمير : جلست بطريقة مهذبة، أليس كذلك؟

أوجليتسا : أجل، ثم قدمت لها التحية.

فلاديمير : انظر، وماذا قدمت لتحيتها؟

أوجليتسا : مربى.

فلاديمير : مربى حقيقية بالضبط؟

أوجليتسا : ليست حقيقية.

فلاديمير : فماذا إذاً؟

أوجليتسا : كنت أتظاهر بأنها مربى.

فلاديمير : تتظاهرين؟ آه، كلام فارغ؟ ووالدتك هذه! لماذا لم تعطك مربى حقيقية؟ أيتها الأم، لماذا لم تعط ابنتك مربى حقيقية؟

يوفانكا : لأنني عندئذ لابد أن أغير لها المريلة كل لحظة، هاهي هذه المريلة ترتديها منذ الصباح وأصبح منظرها غير نظيف. (تدق الجرس).

المنظر الثاني

كاتيتسا وشخصيات المنظر السابق

كاتيتسا : نعم.

يوفانكا : خذي أولجيتسا، وغيري لها المريلة.

فلاديمير : هيا. (يقبلها) إذا كنت مهذبة فحينما يحضر والدك عند الظهر فسنبحث سويا، دون أن ترى والدتك، عن المربى الحقيقية (يقبلها ثانية).

كاتيتسا : (تقود أولجيتسا).

المنظر الثالث

فلاديمير ويوفانكا

يوفانكا : (في دلال) اعطني وعدا بأنك ستحضر اليوم مبكرا للغداء.

فلاديمير : (وهو يأخذ العصا والقبعة) أجل، بإمكاني اليوم أن أعدك لأنني لن أذهب إلى المكتب. فلدي قليل من العمل بصفتي رئيسا لإحدى اللجان، وبعبارة أدق لدينا جلسة ينبغي أن نوقع فيها فحسب على محضر الجلسة السابقة.

يوفانكا : فلماذا تتعجل إذاً الخروج مادمت لن تذهب إلى المكتب، لماذا لا تبقى قليلا؟ .

فلاديمير : لا أستطيع، لابد أن أذهب في الموعد المحدد .

يوفانكا : أنت مجد أكثر من اللازم، وحينما يأتي موعد المكتب تكون غاية في العجلة وكأنك تهرب تماما من المنزل . لقد اشتقت إليك .

فلاديمير : بالله عليك يايوفانكا الإتقان ليس هو الجد، وفي النهاية، تعلمين مقدار الثقة التي يوليني إياها الوزير، ألست مدينا له وملتزما أمامه؟ إنني بجدي لابد أن أبين له مقدار استحقاقي لثقته .

يوفانكا : ومع ذلك . .

فلاديمير : تتحدثين وكأنك . . (يتجه للخروج) هاأنذا أعدك أنني سأسرع، وسأعود مبكرا لتناول طعام الغداء . (يتصافحان) .

يوفانكا : إلى اللقاء! (ترافقه حتى الباب) .

المنظر الرابع

يوفانكا وكاتيتسا وأوجيتسا

كاتيتسا : (وهي تقود أوجيتسا بعد أن بدلت مريلتها) هل أسمح لها ياسيدتي بالذهاب إلى الحديقة لكي تلعب؟

أوجيتسا : صديقاتي ينتظرنني .

يوفانكا : ولكن حذار فقط أن تلوثي مريلتك ثانية .

كاتيتسا : (تقود أوجيتسا إلى الباب الموجود في الوسط) .

المنظر الخامس

يوفانكا وكاتيتسا

كاتيتسا : (تعود بعد خروجها مباشرة) ياسيدتي، هناك سيد يرجو أن تقابليه .

يوفانكا : ألم يقل لك اسمه؟

كاتيتسا : أجل، ماركو أوروشيفيتش .

يوفانكا : ماركو أوروشيفيتش؟ (تبدي أنها لا تعرفه) دعيه يدخل .

كاتيتسا : (تنسحب وتسمح لماركو بالدخول) .

المنظر السادس

يوفانكا وماركو

ماركو : (شخص متواضع وخجول) معـذرة، ياسيدتي، لأنني منحت لنفسي الحرية بهذا الشكل. .

يوفانكا : هل أردت أن تتحدث معي أم ربما مع زوجي؟

ماركو : معـك ياسيـدتي. لقـد انتظـرت خصيصا هنـاك، على الجانب الآخـر، إلى أن خرج السيد من المنـزل. ولكن أرجو أولا أن تعـذريني لأننـي سمحت لنفسي بـالحرية بهذا الشكل.

يوفانكا : ومع من أتشرف بالحديث؟

ماركو : إننـي ياسيـدتي مـوظف ــ بـالتحديـد مـوظف بـإدارة السجلات ـ أجل، موظف قديم بالسجلات، موظف إلى الأبد بالسجلات.

يوفانكا : تفضل بالجلوس أرجوك. أنت هنا موظف في بلغراد.

ماركو : (بعد أن جلـس) أجل هنـا، هنا. . . في نفـس الوزارة التي يعمل بها السيد زوجك.

يوفانكا : هكذا . . فماذا تريد إذن مني؟

ماركو : سأقول لك على الفور. هل تعدينني بألا تغضبي. لقد سمعت أنك غاية في طيبة القلب ولهذا تجاسرت بأن أحضر إليك. تعلمين، أنني موظف، منذ عشرين عاما أنا في الخدمة، ومرهق بالأولاد.

يوفانكا : هل لديك الكثير من الأولاد؟

ماركو : ولكن ليس الكثير جدا، ثلاثة أولاد ياسيدتي، ولكنهم مع ذلك عبء ثقيل وهم بالنسبة لموظف فقير يحصل على راتب مثل راتبي.

يوفانكا : بالتأكيد، وهذا هم كبير.

ماركو : وعلى الأقل . . لو كانت هناك عدالة في العالم لكان من السهل عندئذ تحمل الهموم أيضا، ولكن هاأنذا ياسيدتي يشملني النسيان، نسيان فظيع. فلم أحصل على ترقية على الإطلاق منذ سبع سنوات.

يوفانكا : كيف هذا؟

ماركو : وأنا أعمل، لا يقدر أحد على القول بأنني لا أعمل، إنني مجتهد وذو ضمير ولكن. . هكذا ، لا يوجد أحد يحدث السيد الوزير بشأني.

يوفانكا : هذا إثم حقا.

ماركو : ترين ياسيدتي، هذا هو ما أردت أن أرجوك من أجله. لقد سمعت أنك غاية في طيبة القلب، ومع أنك لا تعرفينني، ولكنك ستفعلين الخير لأب لثلاثة أولاد، لفقير، ولعائلة بأكملها.

يوفانكا : أنا؟ ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟

ماركو : فقط إذا أردت، فقط إذا شئت.. وحضرتك لن ترفضي طلبي أليس كذلك؟.. وقد سمعت إنك غاية في طيبة القلب؟

يوفانكا : لا أعلم كيف يمكنني مساعدتك؟

ماركو : لو تفضلت ورجوت السيد الوزير.

يوفانكا : أنا؟

ماركو : إنه لن يرفض لك هذا الطلب، فقط إذا رجوته حضرتك.

يوفانكا : (في طيبة قلب) أوه، بكل سرور، فقط إذا كنت تعتقد أن هذا سيفيدك أية فائدة.

ماركو : سيفيدني، إنني متيقن، فقط إذا رجوته حضرتك.

يوفانكا : (تأخذ من على المكتب مفكرتها الصغيرة) ماسمك؟

ماركو : ماركو أوروسيفيتش.

يوفانكا : (تسجل الاسم).

ماركو : أجل... أوه يـالطيبة قلبك!.. شكـرا جزيـلا لك، سأكون أنا وعائلتي شاكرين لك إلى الأبد.

يوفانكا : أنت الآن موظف بإدارة السجلات؟

ماركو : أجل، منذ سبع سنوات.

يوفانكا : حقا، هذا قليل بالنسبة لوالد عائلة، سأهتم بكل سرور بـأمرك.. (تغـرق في أفكـارها وكـأنها تتـذكر شيئـا). ولكن.. مـن فضلك، وضـح لي كيف حـدث.. أن تحضر لي أنـا، على أي أسـاس تخيلـت أننـي استطيـع مساعدتك؟

ماركو : فـ.. باستطاعتك.. الجميع قالوا لي ذلك.. الجميع.

يوفانكا : (في قلق) الجميع؟.. من هم الجميع؟

ماركو : هكـذا، تعلمين، جميـع.. الموظفين. لقـد رجـوت آخرين أيضا فقالوا لي أنه بإمكانك.

يوفانكا : ربما قالوا لك إنه بإمكاني أن أحدث زوجي،

ماركو : لا، وإنما أن تحدثـي السيـد الـوزيـر. يقـولـون إنـه لا يستطيع أن يرفض لك طلبا.

يوفانكا : (في عنف) هـذا ليس صحيحـا، ماذا يـريدون بقـولهم هذا؟ هذا ليس صحيحا، أسمعت، هذا كذب.

ماركو : عفوا . .

يوفانكا : هذا افتراء!

ماركو : أرجوك بكل خضوع أن تصفحي عني . ربما يخطئون، أنا لا أعلم، أنا لا أعلم شيئا عن هذا .

يوفانكا : لا استطيع مساعدتك بأي شيء . إنه لكذب إذا قلت بأنني أستطيع مساعدتك، وإنه لافتراء بأن السيد الوزير يطيع كل كلمة أقولها .

ماركو : (ينهض) معذرة . . منذ قليل كنت غاية في اللطف .

يوفانكا : إذا كنت قد وعدتك بشيء فقد أخطأت إنني لا استطيع أن أعدك بشيء . والشيء الوحيد الذي يمكنني القيام به ـ إذا كان هذا كافيا بالنسبة لك ـ هو أن أحدث زوجي . . ولكن لاشيء أكثر من ذلك .

ماركو : تعلمين . .

يوفانكا : أرجوك أجمل رجاء، لا أريد حتى أن أتحدث عن هذا الموضوع أكثر من ذلك، ولا يمكنني مساعدتك بأي شيء، والسيد الوزير ليس صديقا لي لدرجة ألا يمكنه رفض طلبي . بمقدورك أن تقول ذلك إلى هؤلاء الذين أرسلوك لي .

ماركو : إنني لا أرغب في أن أغضبك .

يوفانكا : إذا واصلت رجاءك فإنك ستغضبني بالفعل. وبناء عليه فمن الأفضل أن تذهب وأنت متيقن أنني لا استطيع مساعدتك.

ماركو : أجل، لأنني لا أرغب في أن أغضبك. أرجوك أن تعذريني. أرجوك ألف مرة أن تعذريني. (ينصرف)

المنظر السابع

يوفانكا وكاتيتسا

يوفانكا : (منفعلة بشكل واضح بعد هذا الحادث الصغير، تتمشى في عصبية إلى أن تدخل كاتيتسا).

كاتيتسا : (تأتي من الخارج): رسالة ياسيدتي.

يوفانكا : هل أتى البريد؟

كاتيتسا : لا ياسيدتي، هذه الرسالة أحضرها ساع من الوزارة، ذلك الساعي الذي يحضر الرسائل على الدوام.

يوفانكا : (باهتمام نشط تسرع بنفسها للقائها وتأخذ الرسالة) قولي للساعي أن ينتظر . . اعطه هذا (تعطيها نقودا).

كاتيتسا : (تنظر إلى النقود) أليس هذا كثيرا ياسيدتي؟

يوفانكا : لا، اعطه فحسب، لقد استحق اليوم هذا.

كاتيتسا : (تخرج وتعود على الفور).

يوفانكا : (تفتح الرسالة على وجه السرعـة وتقرؤها ويرتسم على وجهها السرور والرضا) ياكاتيتسا، لم نخطىء في منحنا مكافأة للساعي فالخبر الذي حمله سار للغاية.

كاتيتسا : أيمكنني أن أقدم التهاني؟

يوفانكا : أجل، ولكـن لا تقدميها لي، بـل لسيدك، لقـد حصل على ترقية، وهو لا يعلم بذلـك بعد. لو كان بمقدورنا أن نعثر عليه ياكاتيتسا، فسيبهجه هذا أيما بهجة. (تضع الرسالة في صدرها).

كاتيتسا : هل السيد موجود بمكتبه؟

يوفانكا : آه، أجل، ليـس بالمكتب، إنـه في إحدى اللجـان، من يعـرف أيـن يعمـل، لا، لا يمكننـا العثـور عليـه، ستـذهبين دون جدوى، لا يمكنـك أن تعثري عليـه، سيأتي قـريبا بنفسـه، كم السـاعة الآن؟ مـن المؤكد أن وقـت الظهـر سيحين قـريبا وقـد وعـد بـأنـه سيحضر مبكـرا. أجـل، سيحضر قـريبـا. ولكـن، تعلمين ياكاتيتسـا، اذهبي إلى شقيق سيدك وقـولي له أن يحضر مع السيـدة هنا. سيسمع خبرا سـارا، قولي لـه هكذا، ولكن ليحضر في التو. (لنفسها). أوه، لي رغبة شديدة في أن يشاطرني أحد ـ بأسرع مايمكن ـ فرحتي!

كاتيتسا : (تنصرف ولكنها تعود على الفور) هـاهما شقيق سيدي وزوجته. قابلتهما في الطريق، كـانا متجهين إلى هنا من نفسيهما. إنهما يعلمان بالفعل ياسيدتي. لقد قال لهما أحد الأشخاص أن سيدي قد حصل على ترقية.

يوفانكا : هكذا؟ من يمكن أن يكون قد قال لهما؟

كاتيتسا : لا أعلم ياسيـدتي، ولكنهما يعرفان ولذا تـوجها إلى هنا كي يقدمـا لكما التهاني. كنت أتوق لأن أكـون أول من يحمل هذا الخبر إلى سيدي.

يوفانكا : أجل، ولكن لا يمكننا أن نجده، وإنما ياكاتيتسا ألبسي أولجيتسا ثوبا جديدا حتى تكـون مرتدية ملابسها حينما يحضر الوالد لكي تقدم له التهاني.

كاتيتسا : (تنصرف يسارا).

يوفانكا : (في إثرها) ألبسيها ذلك الثوب اللبني!

المنظر الثامن

يوفان وماريا وشخصيات المنظر السابق

يوفان وماريا : (وهما يدخلان، في صوت واحد) أوه، تهانينا!

ماريا : (تتبادل القبـلات مع يـوفانكـا) حسنا، هـل سمعت، هناك بالفعل ما نقدم لك التهاني عليه.

يوفانكا : شكرا، شكرا!

يوفان : ماهذا، هناك ما نقدم التهاني عليه، ولكن هذا أكثر من اللازم. أربع تـرقيات خلال سنتين، أليست هـذه هي الترقية الرابعة.

يوفانكا : أجل، الرابعة.

يوفان : الترقية الرابعة، احسب منذ تولي هذا الوزير.

يوفانكا : أجل، إنه صديق كبير له.

يوفان : إن الكثير كثير، حتى ولو كان شقيقه.

يوفانكا : ألست مبتهجا من أجل ذلك؟

يوفان : أوه، لست مبتهجا، كيف لا ابتهج، ولكني من أولئك الموظفين الذين أحسوا بالمعاناة أربع أو خمس سنوات في درجة واحدة، فلا أقدر تماما على التسليم بالطريقة التي تمضي بها الأمور اليوم.

يوفانكا : أجـل، ولكن فـلاديمير كـان قـد تخلف كثيرا، وكـان زملاؤه قد سبقوه.

ماريا : وماذا بشـأن عائلتك يايـوفانكا، أحب أن أسمـع ماذا يقولون الآن؟

يوفان : تحبين أن تسمعي، لا أعلم فقط سبب ذلك؟

ماريا : كيـف لا تعلم السبـب؟ ألا تتذكـر كيـف كان الجميـع يعارضون زواج يوفانكا مـن فلاديمير؟ وكانوا يقولون لها دوما إنها لم تكن معجبة إلا بجماله.

يوفانكا : أجل، كنت معجبة فقط بلحيته وعينيه وشعره.

ماريا : وقد اعترفوا بأنه طيب وشريف، وإنه ذو ضمير وأمين، ولكنهم زووا أفواههم في خبث وقالوا: «إن فلاديمير إنسان طيب وشريف ولكنه لن يصنع مستقبلا لنفسه».

يوفانكا : وهذا أيضا ما كانت تؤكده دوما صديقاتي اللاتي تزوجن بالفعل برجال ذوي مستقبل وكان فلاديمير متخلفا عنهم كثيرا.

يوفان : ولكنه الآن وصل إليهم وسبقهم ببطولة.

يوفانكا : آه، في الحقيقة، نسيت أن أسألكما: من أين علمتما بالخبر؟ لقد أرسلت كاتيتسا لكي تبلغكما على الفور، ولكنها عادت من منتصف الطريق حيث قابلتكما وقالت إنكما تعلمان بالفعل.

ماريا : بإمكاننا نحن أيضا أن نعرف شيئا قبلك.

يوفانكا : هل علمتما قبلي؟

يوفان : سمعناه من الوزارة نفسها.

يوفانكا : من الوزارة؟

يوفان : فلماذا تندهشين؟ ألا تعرفين السيد ستانكوفيتش، ألا تعلمين أن عمله هو نقل الأخبار؟

يوفانكا : أهـو الذي قـال لكما؟ إذن فمن المؤكـد أن المدينة كلهـا تعلـم بهذا الخبر. أوه، إنـه يهرول من منـزل إلى منـزل بسرور بالغ بحيث إنني أتعجب حقيقة كيف لم يصل إلي أيضا لكي يبلغني.

يوفان : إن له نظامـه الخاص، لقد هرول من عنـدنا مباشرة إلى الدكتور روجيتش.

ماريا : ومن أين سمعت أنت؟

يوفانكا : أنا؟ (في قليل من الاضطراب).. وأنا أيضا سمعت من الوزارة.. أبلغوني.. حضر إليّ أحد السعاة وأبلغني.

يوفان : هل أرسله فلاديمير؟

يوفانكا : لا، فلاديمير لم يعرف بعد.

يوفان : كيف؟ ألا يعلم أنه حصل على ترقية؟

يوفانكا : إنه لم يكـن اليوم في الوزارة. ذهـب من هنـا إلى إحدى اللجان، ربما علـم حتى الآن إذا كـانوا قـد أبلغوه مـن الوزارة، أو إذا كان قد مر بنفسه بالوزارة مصادفة.

ماريا : أوه، لقد عرف إذن.

يوفان : لاشـك أنهم قد أبلغـوه حتى الآن، إذ لا يمكـن إلا أن يبلّغوه.

ماريا : وأين أولجيتسا؟ إنها لم تحضر لكي تقبل يدنا.

يوفانكا : ستأتي الآن، كاتيتسا تلبسها ملابسها (تقترب من الباب الأيسر) ياكاتيتسا ماذا بشأن أولجيتسا؟ (وهي تلتفت إلى الضيوف) تصوروا، هذه هي المرة الثالثة منذ الصباح وهي تغير ملابسها. إنها غاية في الشقاوة وسوء الخلق.

ماريا : ليكن، ليكن.. لتكن شقية وسيئة الخلق مادامت معافة فقط.

يوفانكا : وهذا ما اعتقده أنا أيضا، وهذا يواسيني كذلك.

يوفان : فليواسيك هذا. انظري إلينا نحن المتقدمين في السن وليس لدينا إلا هذا الولد الوحيد.

المنظر التاسع

كاتيتسا وأولجيتسا وشخصيات المنظر السابق

كاتيتسا : (تقود أولجيتسا وقد ارتدت ملابسها).

يوفان وماريا : أوه، أين أنت، انظروا إليها، أين أنت؟

أولجيتسا : (تقبل يدهما).

ماريا : (وهي تقبلها) أوه، ياجمالها، كم هي جميلة اليوم! انظروا فقط إلى جمال ثوبها.

أولجيتسا : هذا الثوب اشتراه لي أبي.

يوفان : وأين ذلك الثوب الذي اشتريته لك أنا؟

يوفانكا : لقد بلي منذ زمن بعيد.

يوفان : ليكـن، ليكن، سيشتري لها عمهـا ثـوبا آخـر، على أن تكون مطيعة فحسب.

يوفانكا : ولكن هـذا هو بيت القصيد، إنها غير مطيعـة وشقية. (تقبلها).

ماريا : هـل هـذا صحيـح؟ (تضمها إلى صـدرهـا) لا، ليـس صحيحـا. إنكم تقـولـون هذا هكـذا، أليـس كذلـك ياحبيبتي، إنهم يقولون هذا هكذا فقط؟.

المنظر العاشر

الدكتور روجيتش وستانكوفيتش وشخصيات المنظر السابق

الدكتور : (يدخل مع ستانكوفيتـش من الباب الأوسط) لا يوجد أحد يبلغ بحضورنا.

يوفانكا : (تقبـل عليهـم للقـائهـم) ولماذا، وأنتـم تعلمـون أننـا ننتظركم؟

ستانكوفيتش : (يقبـل يدهـا) سيـدتي، اسمحـي لي أن أهنئك. أنـت تعرفين، يبدو لي أنك تعلمين بالخبر؟

الدكتور : (يقبل يدها أيضا) أوه، طبعا، إنهم يعلمون.

ستانكوفيتش : هكذا، وكم أسرعت لكي أكون فقط أول من يبلغك بهذا الخبر السار.

يوفانكا : أكنت تسرع؟ لقد مررت في الطريق على ثلاثة أماكن على الأقل.

ستانكوفيتش : بالضبط مررت على ثلاثة أماكن.

الدكتور : ومن بينها أنا.

ستانكوفيتش : أجل، ولكن ــ رغم ذلك ــ لكي أبلغك هذا الخبر السار.

الدكتور : (كان قد اقترب وصافح يوفان وماريا، ثم يعود إلى يوفانكا) تعلمين أنني كنت على الدوام ابتهج ابتهاجا كبيرا بترقي فلاديمير، ولن أهنئك، إذ أنني إلى حد بعيد منكم لدرجة أنني سأتقبل التهاني بالاشتراك معكم.

يوفان : (مخاطبا ستانكوفيتش الذي اقترب منه ومن ماريا) وهل يعرف فلاديمير؟

ستانكوفيتش : أوه، طبعا، لقد تم إبلاغه على الفور، وقد حضر إلى الوزارة، وهاهو موجود عند السيد الوزير.

الدكتور : (يجلس ويأخذ أوجيتسا بين ركبتيه) تعالي، تعالي، لنرى حال الصحة، أخرجي لسانك، لسانك..

أوجيتسا : (تخرج لسانها).

الدكتور : حسنا، حسنا! (يحدق في عينيها).

يوفانكا : كانت تشكو بالأمس من أن معدتها تؤلمها.

الدكتور : والآن لم تعد تؤلمك؟

أولجيتسا : لا.

الدكتور : حسنا، ها أنت ترين، هذه هي أفضل وسيلة للعلاج: يؤلمك ويؤلمك وأنت تتحملين فيزول الألم (يقبلها).

ماريا : اعتقد يادكتور أن هذا انشغال للبال مبالغ فيه من جانب يوفانكا ومن جانب فلاديمير، والطفلة غاية في الصحة.

الدكتور : أوه، أولجيتسا في أتم الصحة.

يوفانكا : إنني أعلم بنفسي أنها في صحة طيبة. ولكن منذ أن رقدت ـــ من قبل ـ مريضة بالالتهاب وأنا انشغل على الدوام لأبسط عرض.

يوفان : وهم أيضا يتعبونك «يادكتور» لكي تمر عليهم كل يوم.

الدكتور : إنني لا أفعل ذلك لأنهم يطلبونه أو لأنه شيء ضروري، بل إنني أمر هكذا حينما لا يكون لدي عمل لكي أحتسي قدحا من القهوة.

يوفانكا : أوه، الدكتور طيب أكثر مما ينبغي، وحتى حينما يكون لديه عمل فهو على الأقل يمر على المنزل وينقر على النافذة.

ستانكوفيتش : (أراد أن يقول شيئاً ولكنه توقف، مخاطباً يوفانكا) . . . معذرة، لقد قطعت حديثك.

يوفانكا : عفوا، لم تقطع حديثي.

ستانكوفيتش : ألم أقل لك أن السيدة يانكوفيتش سافرت إلى فرانتسيسباد.

يوفانكا : أجل، قلت لي.

الدكتور : (مخاطبا يوفان، لنفسه) السيد ستانكوفيتش بدأ تقريره عن أخبار بلغراد.

يوفان : ولكن على الدوام، على الدوام!

ستانكوفيتش : بيد أنني لم أقل لك هذا: تعلمين، بالأمس زرت السيدة بتروفيتش، بعبارة أصح طلبتني لكي ترجوني أن أقطع لها تذاكر للمسرح.

يوفان : انظر الآن، إذن فأنت تستخرج تذاكر للمسرح أيضا «للسيدات».

الدكتور : وليس هذا فحسب، السيد ستانكوفيتش يقوم بخدمات أخرى أيضا. فمنذ عدة أيام أرسلته السيدة يانكوفيتش لكي يوبخ حائكة ثيابها نيابة عنها.

الجميع : (يضحكون).

ستانكوفيتش : (يضحك هو الآخر) هذه مبالغة يادكتور، ولكن فيما يتعلق بتذاكر المسرح فهاهي السيدة (مخاطبا يوفانكا): أنا منذ عدة سنوات استخرجت للسيدة تذاكر للمسرح وكانت راضية على الدوام. قولي، هل كنت راضية على الدوام؟

يوفانكا : أوه، راضية وشاكرة أيضا.

ستانكوفيتش : ولست أنت فحسب، فهناك خمس عائلات لن ترسل بأي حال من الأحوال أي شخص آخر لكي يستخرج لها التذاكر.

ماريا : هل أردت أن تتحدث عن تذاكر المسرح؟

ستانكوفيتش : لا عن هذا. . . ها أنذا قد نسيت الآن.

الدكتور : إذن، كنت بالأمس عند السيدة بتروفيتش.

ستانكوفيتش : آه، أجل! أتعلم ماذا قالت لي ـ ولكن، أرجوك أن يظل هذا فيما بيننا ـ قالت إن السيدة يوفانوفيتش لم تسافر إلى فرانتسيسباد بل في الحقيقة انفصلت عن زوجها.

يوفانكا : هكذا؟

ماريا : ولماذا تفعل ذلك، لقد كانا يعيشان في سعادة.

ستانكوفيتش : تعلمين، كانا يعيشان في سعادة، ولكن، هكذا، خلافا عاديا يوميا، تعرفين، كشريكين حينما يتهم أحدهما الآخر بسرقة المحل.

يوفان : هاهو ثانية! ولكن لا أعرف ما الذي يسرك في نقل مثل هذه الأخبار، مثـل هذه الأمور العائلية. كـل منزل له مصائبـه ولذا فإن لكـل منزل جـدرانه لكي يخفـي هذه المصـائب عن العـالم. ولماذا يتـم الآن ــ من فضلـك ــ اختراق الجدار واختلاس النظر إلى منزل الغير؟

الدكتور : تعـرف، سيكـون أمـرا عجيبـا ألا يحكـي السيـد ستانكوفيتـش، وميزة السيد ستانكـوفيتش انه يجب أن يكون أول من ينقل الأخبار.

ستانكوفيتش : هذه ميزتي لا يمكن أن يكون هنـاك خبر جديد لا أكون أول من يعرفه. أتصدقون أن هنـاك عائلات ـ كالسيدة بتروفيتش ـ ستشعر بالألم لو لم أمـر عليها كل يوم، ولو حتى للحظـة، لكي أراها وتتحـدث. تصوّر لـو لم أمر عليها فإنها ترسل إلي وتطلبني.

يوفانكا : ثم لابـد أن نأخـذ في الاعتبار أن السيـد ستانكـوفيتش وهو يبلغنا نحن النساء بـالأخبار الجديدة لا يحمل خبثا على الإطلاق.

ستانكوفيتش : شكرا ياسيـدتي على مثل هذا الرأي الطيـب. وهاأنذا، من فضلك، قد حكيـت هذا الخبر الخاص بترقية السيد فـلاديمير حـالما وصلت. ولماذا؟ إنـنـي بهذه الطـريقـة اشترك على نحو ما في السرور، وهذه كما تعلمين، هي طريقتي التي اشترك بها في السرور.

يوفانكا : وهل تعتقد حقيقة أن فلاديمير سينشغل في الوزارة؟

يوفان : (ينظر إلى الساعة) لقد حان وقت الظهر، سيحضر.

ستانكوفيتش : سيحضر بالتأكيد على الفور. لقد ذهب السيد إلى سيادة الوزير لكي يشكره وفي نفس الـوقت لكي يشكو إليه، لكي يقدم شكوى ضد أحد الموظفين.

يوفانكا : يقدم شكـوى؟ ولكن لماذا؟ كـان ينبغي أن يعفـو اليوم على الأقل إذا كانت هذه غلطة صغيرة.

ستانكوفيتش : لا، كانت أكبر من غلطة، هذا إثم، هذا الموظف أخطأ في حق السيد شخصيا وفي شرفه.

يوفانكا : هل وجه إليه إهانة؟

الدكتور : هذا ـ بالتأكيد ـ ليـس أمرا غاية في الأهمية، ولا يستحق أن يكون المرء محبا للاستطلاع.

يوفانكا : ومع ذلك كان ينبغي على فلاديمير أن يسامحه اليوم.

ستانكوفيتش : أوه، بالتأكيد كان فلاديمير سيسامحه لو كان الأمر يتعلق به فحسب، ولو لم يكن قد أهانك أنت أيضا هنا.

يوفانكا : أنا؟

الدكتور : (مخاطبا ستانكـوفيتـش) ولكن، لقـد قـال لك السيـد الصواب. (يشير إلى يوفان) لماذا لا تقلع عن هذه العادة القبيحة بأن تحكي الأخبار في المنازل؟

ستانكوفيتش : بالله عليـك يادكتور، إنني صديق لأفـراد هذا المنزل، والأمر آلمني مثلما آلم السيد فلاديمير.

يوفانكا : تكلم من فضلك، قل ماهو الموضوع، لقد فرغ صبري الآن؟

يوفان : (ينهض في فراغ صبر) أجل، مادام الأمر يتعلق بهذا المنزل، فأنا أيضا أحب أن أسمع. قل من فضلك.

ستانكوفيتش : ولكن هاهو السيد الدكتور يقول..

الدكتور : حسن، مادمت قد بدأت فتكلم، تفضل بالكلام!

ستانكوفيتش : تعلم، أنه موظف صغير، ولكنه غير قانع،.. فلا أعلم كيف، ربما نسي، وقال هناك عن زوجك أمام عدد كبير من الموظفين: «ما أسهل أن يحصل كل لحظة على ترقية مادام يملك زوجة جميلة»!

يوفانكا : (تنتفض) هل قال هكذا أمام الجميع؟

يوفان : هذه وقاحة، لابد من معاقبة هذا الشخص.

الدكتور : هذه حماقة لم يكن ينبغي على السيد ستانكوفيتش أن يحكيها.

يوفانكا : (تتذكر شيئا) من فضلك، هل يدعى هذا الموظف... (تذهب إلى المكتب وتنظر في مذكرتها) أجل، ماركو أوروشيفيتش؟

ستانكوفيتش : أجل، هو بالضبط.

يوفان : اسمه مسجل لديك يايوفانكا؟

يوفانكا : أجل، لأنني . . سجلته (في ارتبـاك) . . . لاأعلم لماذا سجلته . . لا أعلم لماذا كنت احتاج إلى هذا الاسم . .

ستانكوفيتش : هذا أمر تافه من فضلك . لقد أبلغت هذا على الفور إلى السيـد فـلاديمير، تعلمين، ولم أفعل هـذا بـاعتبـاري موظفـا بل بـاعتباري صـديقا . وقـد شكاه في التـو إلى السيد الوزير وهو إما سيفقد عمله وإما ستتم معاقبته . ومن المؤكد أنه ستتم معاقبته .

ماريا : (كـانـت تقـف مـع أوجليتسا عنـد النـافـذة وتنظـر إلى الخارج) هاهو فلاديمير آت .

يوفانكا : (في عصبية) هل هو رائق المزاج؟

ماريا : من أين لي أن أعلم بذلك من هنا؟

يوفان : (مخاطبا الدكتور بصوت خافت) ها أنت ترى، تدعونه يحكي لكـم الأخبار، والآن سيحكي هذا أيضـا للناس أجمعين .

ستانكوفيتش : يا أوجليتسـا، ياأوجليتسا، هيـا أنا وأنـت نقابل الـوالد لكـي نهنئه . (يـأخـذها في حضنـه ويقـف عند البـاب الأوسط)

يوفانكا : (مخاطبـة الدكتـور) مـارأيك، هـل هـذا الأمـر ضايـق فلاديمير مضايقة شديدة؟

الدكتور : أجل! بالله عليك، الرجال لا يأخذون كل صغيرة مأخذ الجد كما تفعل النساء.

يوفانكا : من المؤكد، من المؤكد أن مزاجه رائق (مخاطبة الجميع) وإذا لم يكن فسنروق مزاجه. هل سنروق مزاجه نحن؟ سنقول له إن هذا أمر تافه، وألا يأخذ ذلك مأخذ الجد. تعالي يا أوجيتسا، اتركها ياسيد ستانكوفيتش، وقفي ها هنا، هنا في الأمام، وحينما يدخل الوالد قبلي يده وقولي له: مبروك ياوالدي! «ونحن سنقف هنا وراءها، واحد في إثر الآخر. (تقف وراء أوجيتسا وتوقف وراءها يوفان، وخلفه ماريا، وخلفه الدكتور وفي إثره ستانكوفيتش) هكذا، هكذا، لنكن أطفالا للحظة حتى يبتسم عند دخوله، وحتى يروق مزاجه في التو، إذا كان بالصدفة مزاجه متعكر. (أوجيتسا تقف عند الباب مباشرة، والجميع يقفون في الصف وراءها).

المنظر الحادي عشر

فلاديمير وشخصيات المنظر السابق

فلاديمير : (يدخل وهو متعكر المزاج)

أوجيتسا : مبروك ياوالدي! (تقبل يده).

فلاديمير : شكرا يابنيتي! (يقبلها).

يوفانكا : ألا تريد أن تتقبل تهنئتي؟

يوفان : وتهنئتي؟

ماريا : وتهنئتي؟

الدكتور وستانكوفيتش : وتهانينا الخالصة؟

فلاديمير : أجل، شكرا لكم، شكرا لكم جميعا. أشعر قليلا بصداع ولذا فإني متوعك المزاج اليوم بينما ينبغي أن أكون بالفعل مبتهجا.

الدكتور : دعك من هذا، إننا نعرف كل شيء... كلام فارغ.. هراء.. وهذا لا يليق بك كرجل جاد.

فلاديمير : لا.. بل..

يوفانكا : يافلاديمير، ألا تريد أن تتقبل تهنئتي بالفعل؟

فلاديمير : (يمسك بيديها ويطيل النظر في عينيها، يروق مزاجه ويعانقها): أجل، سأتقبلها، شكرا لك يايوفانكا!

(يهبط الستار بسرعة)

الفصل الثاني

نفس الحجرة كما في الفصل الأول

المنظر الأول

كاتيتسا والدكتور

كاتيتسا : (تقوم بالترتيب في الحجرة)

الدكتور : (يفتح الباب الأوسط وهو يرتدي القبعة ويمسك بالعصا في يده. وفي أثناء المنظر لا يدخل إلى الداخل وإنما يظل واقفا على الباب). ياكاتيتسا! أين السيد؟

كاتيتسا : لم يحضر بعد ياسيدي الدكتور!

الدكتور : والسيدة؟

كاتيتسا : والسيدة خرجت منذ الصباح.

الدكتور : وكيف حال أولجيتسا؟

كاتيتسا : بخير ياسيدي.

الدكتور : هل نامت جيدا؟

كاتيتسا : كما هو الحال على الدوام، لعبت وأكلت بشهية ونامت في هدوء.

الدكتور : حسن جدا، حسن جدا. بلغي تحياتي للسيدة والسيد. (ينصرف).

المنظر الثاني

كاتيتسا وفلاديمير

كاتيتسا : (تغلق الباب وراء الدكتور وهي تطل من خلاله، ثم تقترب وترتب المكتب).

فلاديمير : (يأتي من الخارج بعد فترة من الوقت) هل كان الدكتور هنا؟

كاتيتسا : أجل ياسيدي، وسأل عن أولجيتسا ككل يوم.

فلاديمير : وألم تحضر السيدة؟

كاتيتسا : لا ياسيدي، ستحضر الآن بالتأكيد.

فلاديمير : ألم يطلبني أحد؟

كاتيتسا : هنا في حجرتك، موجود السيد أخوك.

فلاديمير : يوفان؟

كاتيتسا : ينتظرك منذ أكثر من نصف الساعة.

فلاديمير : دعيه يأتي إلى هنا ياكاتيتسا.

كاتيتسا : (تنصرف إلى اليمين).

المنظر الثالث

فلاديمير ويوفان

فلاديمير : (يقلب الصحيفة).

يوفان : (يأتي من الحجرة اليمنى) انتظرك منذ نصف الساعة.

فلاديمير : لقد نسيت نفسي قليلا. ولماذا لم تحضر عندي في الوزارة؟.

يوفان : لأنني تعلمت وتعودت على نحو ما أنني لا استطيع في الوزارة التحدث عن الأمور التي تتعلق بالمنزل، وفي المنزل لا أتحدث عن الأمور التي تخص العمل. (يجلس).

فلاديمير : (يجلس هو أيضا) هذا يعني أنك تريد أن تتحدث معي عن أمور تتعلق بالمنزل.

يوفان : أجل!

فلاديمير : أعلم، أنك تهتم بمنزلي كما تهتم بمنزلك؟ وأخمن مقدما ماذا تريد؟ إما أنك ستقترح علي أن تشتري لي الفحم. . . أو شيئا من هذا القبيل. .

يوفان : (يشيح برأسه) لا، لا، ما كنت انتظرك من أجل هذا. تعلم أنني حينما أجد شيئا طيبا اشتري لك أيضا ولا أسألك. ليس الأمر كذلك، الأمر أهم بكثير.

فلاديمير : أهم بكثير؟

يوفان : (في موقف حرج) الـ. . انظر، بالأمس. . بالأمس حينما عدت من الوزارة وكنت أنت متعكر المزاج لأول وهلة.

فلاديمير : (بعدم اكتراث) آه، أجل. . لا شيء!

يوفان : انتظر، من فضلك، حتى نتكلم عن هذا من الأول.

فلاديمير : عن ماذا؟

يوفان : ترى، لقد سمعت حينما كان ستانكوفيتش بالأمس عن تلك الإهانة، ويمكنك أن تتصور كيف كان حالي في تلك اللحظة. لابد أن تصدقني في ذلك.

فلاديمير : أصدقك، ولكن. . لماذا هذا الحديث؟

يوفان : أريد أن أسألك منذ متى وأنت صديق حميم للوزير؟

فلاديمير : كان هو مدير الإدارة وكنت أنا أصغر سكرتير سنا.

يوفان : لا، ليس هذا. بل هل كنت صديقا له قبل أن تتزوج؟

فلاديمير : أسئلة مضحكة. لماذا تسأل عن كل هذا؟ (ينهض) و.. أخيرا، بمثل هذه اللهجة!

يوفان : أجب علي إذا أردت.

فلاديمير : هراء.. بالفعل هراء.. لقد أصبحت صديقه.. طبعا.. لم يكن باستطاعتي أن أدعوه إلى تناول الغداء أو العشاء بينما كنت أعزبا.

يوفان : حسن، إذن. هذا يعني منذ أن تزوجت دعوته لتناول طعام الغداء أو العشاء مرة أو مرتين وهكذا أصبحتما صديقين.

فلاديمير : (يحتج) لماذا هذا الاستجواب، ماذا تريد أن تقول بهذا؟

يوفان : ماذا أريد أن أقول؟ لاشيء! إنني أخوك، منزلك وهمك يعنيني بقدر مايعنيني منزلي وهمي. ولن أسمح للشخص المسمى ماركو أوروشيفيتش أو المسمى ستانكوفيتش أن يسخرا من منزلك وأن يلوكا اسمك بألسنتهما.

فلاديمير : (في حدة) وهل سأسمح أنا بذلك؟

يوفان : مهلا. اعلم أنك أنت أيضا لا تريد ولا يمكنك أن تسمح بذلك، ولكني أريد أن أعلم وأن أزيل كل دافع يمنح الفرصة لمثل هؤلاء الناس لأن يثرثروا بكلام فارغ.

فلاديمير : (في انزعاج) دافع؟ ماذا تقصد بكلمة «دافع» هذه؟

يوفان : ماذا أقصد؟أقصد إذا . . حتى أنا نفسي بالضبط لا أقدر على التفكير ولكن . . دعنا نتحدث كإخوة بصدق . قل لي بصراحة ولا تغضب من السؤال : هل تثق بزوجتك ثقة كاملة؟

فلاديمير : يوفان . . كيف تجرؤ على أن تسألني سؤالا كهذا؟

يوفان : هاهو، هاهو، لا يستطيع الإنسان حتى أن يتحدث معك! إنني لا أدفعك إلى الشك، هاأنذا شخصيا لا أشك، وإنني أثق تمام الثقة في طهارتها، ولكن تلك الكلمات التي قيلت بالأمس لم تمنحني هدوءا ولم أنم طوال الليل ويعلم الله كل الأمور التي دارت بخلدي . لقد فكرت وتأملت في أمور شتى، فلماذا لا أتحدث عن هذا الأمر معك كما أتحدث مع شقيقي؟

فلاديمير : يايوفان، أنا لا أريد أن تتحدث معي في هذا الأمر . إن زوجتي شريفة وأنا أحبها ولا أسمح لأحد ـ ولا لك ـ بأن تذكر لي ولو كلمة واحدة مرة أخرى .

يوفان : من فضلك، لن أتحدث معك أكثر من ذلك . (ينهض لكي يذهب). إنني ذاهب إلى منزلي لكي أرعى شئوني . لماذا أتحمل على عاتقي أن انشغل بهموم غيري؟ (يتجه للانصراف ثم يعود). ومع ذلك فلابد أن أقول لك إنك أسأت فهمي .

فلاديمير : (بحدة) ربما . .

يوفان : هذا صحيح، هذا صحيح، لقد أسأت فهمي. في مرة ثانية حينما تكون أكثر هدوءا ستتضح الأمور وعندئذ ستعترف بنفسك أنك أسأت فهمي. قبل أوجيتسا، سأحضر في الغد لكي أراها. إلى اللقاء! (ينصرف).

فلاديمير : وداعاً!

المنظر الرابع

فلاديمير ثم كاتيتسا

فلاديمير : (بعد ذهاب يوفان يجلس على «الفوتيه» ويستغرق في التفكير فترة طويلة، ثم يلوح بيده وكأنه يريد أن يطرد الأفكار، ويقترب من المكتب وينتقي صحيفتين أو ثلاث).

كاتيتسا : (تدخل من الباب الأوسط).

فلاديمير : (يلمحها): ياكاتيتسا، أين صحيفة اليوم؟

كاتيتسا : إنها ـ ياسيدي ـ تلك التي تمسكها في يدك.

فلاديمير : هذه؟ (يتجه إلى الحجرة اليمنى وهو يحمل الصحيفة).

كاتيتسا : ياسيدي، هناك سيد يرجو أن تستقبله.

فلاديمير : (يتوقف عند باب حجرته) سيد؟

كاتيتسا : أجل، سيد من وزارة سيادتك.

فلاديمير : هكذا؟ (يعود) فليحضر.

كاتيتسا : (تدع ماركو يدخل، وتبتعد هي).

المنظر الخامس

فلاديمير وماركو

ماركو : (بعد دخوله يقف عنـد الباب وينحني في خضوع) لقد سمحت لنفسي . .

فلاديمير : (يشعر بالضيق حينما يلمحه) ماذا تريد أنت ياسيد؟

ماركو : أرجوك بكل خضوع أن تستمع إلي .

فلاديمير : ولماذا اضطر للاستماع إليك؟

ماركو : ليس لديك سبب لأن تغضب مني .

فلاديمير : هل هذا هو ما لديك لأن تقوله لي؟

ماركو : لا ياسيدي، ولكن السيد الوزير استدعاني اليوم وأمرني بـأن اعتذر لسيـادتـك، وإلا فسـأفقد وظيفتـي . ولـن استمر في البقاء بوظيفتي إلا إذا سامحتني .

فلاديمير : لا يمكنني أن أسامحك .

ماركو : تصور ياسيـدي إنني موظف فقير بائس، ولـدي ثلاثة أطفـال، وإنـي والحال هكـذا في وظيفتـي أكـاد أدبـر أموري بصعوبة بالغة .

فلاديمير : مادام حالك هكذا فلماذا إذن لا تفكر فيما ستقوله؟

ماركو : اعترف أنني كنت متعكر المزاج.

فلاديمير : باعتبارك عائلا لأسرة كان ينبغي ألا تقع في هذا الخطأ. إنك شخصيا مدعو لأن تحفظ شرف عائلتك فكيف واتتك الجرأة لأن تلطخ شرف الغير؟

ماركو : (في خنوع) اعترف...

فلاديمير : لا، لا يمكنني أن أعفو عنك!

ماركو : ولكن يا سيدي، أرجوك...

فلاديمير : لا يمكنني أن أسامحك، أو... (يفكر) أجل، يمكنني أن أسامحك.. ويمكنني ولكن بشرط... (يمسكه من يده ويقوده إلى الكرسي) تعال هنا، اجلس، اجلس هنا (يجلسه بالقوة على الكرسي) وقل لي بصراحة وصدق وبطيب خاطر ماهو الدافع الذي جعلك تقول أمام جميع الموظفين إنه من السهل علي أن أحصل على ترقيات مادامت لي زوجة جميلة؟

ماركو : (في جزع) لم أقل ذلك بسوء نية.

فلاديمير : لا أسألك عن النية وإنما عن الدافع، عن السبب.

ماركو : لم يكن لـدي سبب، أي سبـب، لقد قلـت هذا بتهـور وبدون تفكير.

فلاديمير : لا، لا، لابد أن تقول لي بصراحة، لقد وعـدتك بأنني سأسامحك، ولكن لابد أن تقول لي بصراحة.

ماركو : كان هـذا غضب ولا شيء غير هذا، غضـب فحسب. كنت حانقا على السيدة.

فلاديمير : حانقا؟.. على السيدة؟ كيـف يمكنك أن تحنق عليها، ماهي صلتك بها حتى يمكنك أن تحنق عليها؟

ماركو : لا شيء، صـدقنـي.. أوه، ياربي، أنـا حقـا لا أعلـم شيئا.

فلاديمير : أطلب منك أن توضح لي هذا، أتفهم، لابد أن توضح لي هذا.

ماركو : لا أعلم بالضبط ماذا علي أن أوضحه. هذا أمر بسيط، غاية في البساطة. لقد كنت هنا بالأمس...

فلاديمير : أنت؟

ماركو : أجل، ورجـوت السيدة أن تستقبلني، وشكـرا لها فقد استقبلتني. إن السيدة طيبة للغاية.

فلاديمير : (يزداد اهتمامه) هل استقبلتك السيدة بالأمس؟ وماذا كنت تريد؟

ماركو : لكي أرجوها . . . ورجوتها. تعلم سيادتك إنني أخدم منذ عدة سنين دون ترقية، منذ عدة سنين وأنا في هذه الدرجة البائسة، وأحصل على راتب أتكفل به بالكاد. الأسرة هنا في بلغراد حيث الغلاء فاحش للغاية.

فلاديمير : (وقد نفذ صبره) حسن، حسن، لا تحدثني عن ذلك. لقد قلت لي منذ قليل إنك رجوت زوجتي، ماذا رجوتها إذن؟

ماركو : رجوتها أن تكلمه . . يقولون إنها تستطيع . . . السيدة تستطيع . . .

فلاديمير : تكلم من؟

ماركو : . . . السيد الوزير.

فلاديمير : هل تكلم هي السيد الوزير، كيف من فضلك، من أين لها أن تكلمه؟

ماركو : معذرة، من فضلك . . . لا أعلم شيئا عن هذا . . .

فلاديمير : ولكن، وضح لي، من أين لها أن تكلمه، لماذا توجهت إليها؟

ماركو : يقولون إن كلمتها لها قيمة، فهي إذا قالت (يطرق ببصره ويقلب قبعته بين يديه) للسيد الوزير. . فلن يرفض.

فلاديمير : (تتوقف أنفاسه، يستشف الحقيقة ويمسك بشعره، بصوت خافت لنفسه): يقولون. . يقولون (بصوت جهوري حاد). من يقول؟ من هذا الذي يقول ذلك؟ من هذا الذي يجرؤ على قول ذلك؟.

ماركو : لا أعلم، بالله عليك، لا أعلم شيئا عن هذا. أتوسل إليك في أشد خضوع ألا تسألني. إنني لست من هذا الصنف من الناس، لا أحب أن تنتقل الكلمة السيئة عبر شفتي.

فلاديمير : لا، لابد أن تعرف الآن، ولابد أن تتحدث الآن. . أريد أن تقول لي كل شيء، أتفهم، كل شيء، كل شيء. . كل ما تعلمه بالترتيب.

ماركو : (ينهض) ولكن ياسيدي، ماذا أعلم أنا، أنا لا أعلم شيئا!

فلاديمير : (يهدأ قليلا) اسمع. . تكلم بالترتيب. على النحو الذي سأسألك به. وإذا لم تقل الحقيقة فلن أسامحك وستفقد وظيفتك، أتفهم، ستفقد وظيفتك! ولن أرثي لك ولا لأطفالك، ولابد أن تفقد وظيفتك، أريد أن أعرف الحقيقة، ولابد أن تقولها لي.

ماركو : ولكن ماذا أعرف أنا لكي أقوله لك؟

فلاديمير : كل ما أسألك عنه. قل لي: من أين، من الذي قال لك إن زوجتي يمكنها أن تساعدك لـدى السيد الوزير وأنه لا يقدر على أن يرفض لها شيئا؟.

ماركو : الـ. . باللـه. . يقولون ذلك، هكـذا سمعت. . إنني هنا لم أفكـر تفكيرا سيئا. . أتوسل في خضـوع ألا تظن أنني هنا فكرت تفكيرا سيئا.

فلاديمير : لا، لم تفكر. . ولكن من الذي وجهك، من الذي قال لك هذا؟

ماركو : فـ. . كلهم تقريبا. . هكذا يتحدث جميع الموظفين.

فلاديمير : كلهـم؟ كـل الموظفين؟ مـاذا يقـولـون، قـل لي، مـاذا يقولون؟

ماركو : هـذا، باللـه، تعرف سيـادتك صفـات الناس اليـوم، الناس اليـوم غاية في السـوء ويحبون أن يقولـوا الكلمة السيئة. . .

فلاديمير : من فضلـك، قل لي ماذا يقـولون، سـواء أكان خيرا أم شرا.

ماركو : هذا . . كأن السيد الوزير صديق حميم للسيدة وكأن . . أشياء مشينة . . أشعر بالخزي وأنا هكذا متقدم في السن أن أتكلم .

فلاديمير : قل، أريد أن تقول لي كل شيء .

ماركو : . . . وكأن السيد الوزير يكتب لها كل يوم، ويقولون إنهم يعرفون الساعي الذي يحمل الرسائل، ويقولون إنهم يعرفون أن السيد الوزير يزوركم في أحيان كثيرة للغاية .

فلاديمير : (يشعر بالألم ويقاوم، في حدة) هذا كله ليس صحيحا، أتفهم كل هذا افتراء، اعلم جيدا أن كل هذا افتراء!

ماركو : حقا، من يفكر في شيء كهذا؟

فلاديمير : (في انفعال) إنه افتراء، أتفهم، افتراء خسيس وضيع قذر! (يمسكه من سترته ويهزه) أنت واش، أنت واش!

ماركو : (في خوف) ولكني، لا أعلم شيئا، أنا لم . . .

فلاديمير : (ينتفض ويهدأ) إنك لست مخطئا، أغفر لك الإهانة التي وجهتها إليّ. يمكنك بكل حرية أن تقول للوزير إنني سامحتك ولكن اعلم أن كل ماقلته أو ماقالوه لك، كله افتراء، مجرد افتراء .

ماركو : (ينهض) شكرا لك ياسيدي لأنك سامحتني، شكرا جزيلا لك، (ينتظر قليلا) هل يمكنني أن انصرف، أليس كذلك؟

فلاديمير : (ينهض وهو مستغرق في التفكير ويشير له بيده): أجل، يمكنك.

ماركو : وداعا ياسيدي، شكرا لسيادتك. (ينصرف)

المنظر السادس

فلاديمير وكاتيتسا وأوجيتسا

فلاديمير : (ينظر أمامه أولا فترة طويلة وهو مثبط، ثم يرتمي على الكنبة وهو محطم، ولا يلاحظ دخول أوجيتسا وقد شغله ألمه).

كاتيتسا : (وهي تقود أوجيتسا) هاهي السيدة.

فلاديمير : (ينتفض) السيدة؟

كاتيتسا : أجل، تعود من نزهتها.

أوجيتسا : (تهرول إلى أبيها) هاهي أمي قادمة. كنا في مكان بعيد، بعيد، للغاية.

فلاديمير : (يعانقها بقوة ويقبلها ويبكي) يابنيتي!

أوجيتسا : أبي، ماذا بك ياأبي؟

فلاديمير : (ينتبه ويخفي دموعه) لاشيء، لاشيء . . هيا يابنيتي، اذهبي لتلعبي. خذيها ياكاتيتسا لكي تلعب.

أولجيتسا : هل أنت تبكي يا أبت؟

فلاديمير : لا ياحبيبتي، لا أبكي . . يتهيأ لك . . (يقبلها) خذيها ياكاتيتسا، لتلعب.

كاتيتسا : (تأخذها من يدها) هيا ياأولجيتسا، هيا إلى الحديقة. (تذهب معها بعد أن تتأمل فلاديمير بنفسها وهي تتعجب).

المنظر السابع

فلاديمير ويوفانكا

فلاديمير : (يبقى خائر القوى وقد أحنى رأسه على صدره، ولكنه ينتفض فجأة حينما تدخل يوفانكا).

يوفانكا : (ترتدي ملابس تنم عن حسن ذوق وترتدي قبعة وتمسك بالشمسية. تخلع القبعة والقفازات وهي تتحدث) نهارك سعيد يافلاديمير. كنت أتمشى قليلا مع أولجيتسا، الجو جميل للغاية، وهذا يفيدها فائدة عظيمة.

فلاديمير : (وقد هدأ) أجل، يفيدها.

يوفانكا : (بعد أن خلعت القبعـة، تقترب منه في دلال) ألست في مزاج طيب؟

فلاديمير : (في جفاف) بلى!

يوفانكا : هل تشعر بصداع في رأسك؟

فلاديمير : رأسي، أجل، رأسي (يمسـك برأسه) أشعـر بصداع، صداع شـديد. . (يجلس) اجلسي يـايوفـانكا، اجلسي هناك، أريد أن أتحدث معك.

يوفانكا : أفي أمر هام؟

فلاديمير : أجل، في أمر هام.

يوفانكا : (وهي تتعجـب من مسلكه): سـأجلس يـافلاديمير. (تجلس).

فلاديمير : (يتردد طويلا ويقاوم، دون أن يعـرف كيف يبدأ) كان هنا منـذ قليـل أحـد الموظفين، ذلـك الموظـف الـذي أهـانني. أمـره الوزيـر أن يطلـب الصفـح منـي وإلا فسيفقد وظيفته.

يوفانكا : وهل صفحت عنه؟

فلاديمير : أجل.

يوفانكا : لقد أحسنت صنعا، شكرا لك، فالبائس مرهق بأطفاله الثلاثة وهو فقير.

فلاديمير : (بصوت أقوى) أنت تعرفينه يايوفانكا؟

يوفانكا : أجل، أليس هذا الرجل هو الذي تحدثنا عنه بالأمس، والذي حكى عنه السيد ستانكوفيتش؟

فلاديمير : أنت تعرفينه شخصيا يايوفانكا؟

يوفانكا : (في اضطراب) ربما رأيته في وقت من الأوقات.

فلاديمير : (ينهض ويقترب منها ويحدق في عينيها) لقد جاء إليك بالأمس.

يوفانكا : (في ارتباك) أجل.. بالضبط.. أجل، حضر إليّ بالأمس أحد الأشخاص، إنه هو نفس الشخص؟

فلاديمير : أجل، إنه هو نفس الشخص! وماذا كان يريد منك؟ هل التمس منك شيئا؟

يوفانكا : (في قلق) ولكن.. كيف تسأل عن هذا؟

فلاديمير : (بلهجة فظة) هل التمس منك شيئا؟

يوفانكا : أجل.. التمس مني أن أساعده من أجل ترقيته، يقول إنه منسي، ولم تتم ترقيته منذ فترة طويلة.

فلاديمير : أن تساعديه أنت، كيف؟

يوفانكا : (في ارتباك) . . لكي . . أوصي به . .

فلاديمير : (يمسكها بعصبية من يدها) عند من؟ .

يوفانكا : (في فزع) ماذا بك يافلاديمير؟ .

فلاديمير : توصين به لدى من؟ .

يوفانكا : لديك يافلاديمير .

فلاديمير : (يدفع يدها) ليس صحيحا . . لماذا لا تقولين لي الحقيقة؟ .

يوفانكا : إنني لا أقول لك إلا الحقيقة .

فلاديمير : ولم تخف عني شيئا أبدا، أبدا؟ .

يوفانكا : أبدا، صدقني يافلاديمير، أبدا .

فلاديمير : ورغم ذلك تخفين عينيك، تخفين نظراتك الآن (يمسك بيدها) . أيتها اللئيمة، كل شيء عندك كان كذبا، مخزيا بغيضا!

يوفانكا : ماذا تقول يافلاديمير؟ ماذا تريد؟ ماذا بك اليوم؟ لقد حرضك أحد بقول ما . لقد افترى علي أحد ما .

فلاديمير : (في سخرية) افترى عليك؟

يوفانكا : أي ذنب تحملني؟ بماذا تتهمني؟ ماهي الأدلة التي تملكها؟

فلاديمير : أدلة؟ تريدين أدلة.. (يمسك بها من شعرها) أجل، أدلة، أدلة.. (يتذكر ويمسكها من ذراعها ويجذبها فتسقط على ركبتيها). الأدلة لابد أن تقدميها لي أنت، هل فهمت، لابد أن تقدميها لي أنت. الرسائل، الرسائل، إنه يكتب لك، كل يوم يكتب لك، أين الرسائل؟...

يوفانكا : (في يأس) يافلاديمير، بالله عليك يافلاديمير! لا أملك أية رسائل.. (تدس بسرعة يدها في صدرها لكي تحمي الرسالة التي حصلت عليها صباح اليوم).

فلاديمير : آه.. هذه اليد! هذه اليد الخائنة! تريدين أن تخفي شيئا، أليس كذلك؟ وهنا، في صدرك، في هذا الصدر القذر.. (يمسكها بيده ويمزق لها وسط الثوب).

يوفانكا : (تدافع عن نفسها) استحلفك بكل شيء في العالم يافلاديمير، لا تلمسني، هل ستستخدم القوة.. هل.. (تصيح حينما تشعر بأنه أدخل يده في صدرها).

فلاديمير : (يمزق لها ثوبها في غضب ويأس، وعندما يجد الرسالة يصرخ): ها! (يهرول إلى الناحية الأخرى من المسرح بالرسالة التي يقبض عليها بكلتا يديه بعصبية).

يوفانكا : (تظل على الأرض في يأس وتبكي بحرارة).

فلاديمير : (لا يجسر على فتح الـرسالة، يشـد شعره وهو يـرتعد) الرسالة. . الدليل. . هاهو في يدي! (ينفجر هو الآخر في بكاء حار) ربي، ربي! (بعد أن تمالـك نفسه، ينهض ويقرأ الرسالة) إذن فكل شيء حقيقة، كل شيء. .

يوفانكا : (في يأس) فلاديمير!

فلاديمير : (في غضب ثانية) ماهذا، هل هذا هو الدليل. هل هذه هي رسالة عشيقك، أيتها العاهرة! أنت إذن كنت تلك المرأة التـي تمنحني الترقيـات والتـي دفعـت ثمن هـذه الترقيـات؟ إذن فهـذا الـذي حصلـت عليـه كـان مـن صنيعك؟ ولا يوجد أثر لخدماتي أو عملي!.

يوفانكا : (تتجه زاحفة على ركبتيها وتعانق ركبتيه وهي تبكي).

فلاديمير : لا تلمسيني! (يدفعها فتصطدم رأسها بأحد الكراسي، وتظل هكـذا وهي تتأوه) ماذا تـريدين، العفـو؟ أليس كـذلك؟ هـل تريـديـن أن أكون واسـع الصدر؟ أيتهـا الشقية، وهـل كنت أنت واسعـة الصدر؟ وهـل كنت على الأقل على قدر من سعـة الصدر بحيث لا تخدعيني بـالنفاق؟ لماذا لم تكـرهينـي؟ أوه، كـم كنت سـأشعـر بالراحة الآن لو كنت تكـرهيني! لماذا كذبت علي بأنك تحبينني؟

يوفانكا : لأنني أحببتك.

فلاديمير : أحببتني، أحببتني؟ أنت أحببتني، هـل يوجد مكان في نفسك الدنسة لإحسـاس نقي مثل الحب؟ أحببتني؟ ألم يكفك القليـل من الكذب الـذي سودت بـه روحك، لماذا تحجبين بها فمـك أيضا؟ (يتمشـى في يأس) ومـاذا أفعل الآن؟ وإلى أين أذهب الآن؟ وماذا أفعل الآن وأنا على شفا هذه الهوة؟ وإلى أين أذهب أمام مفترق الطرق هـذا؟ إنني لا أسـاوي شروى نقير، إنني بـائس حقير حصلت له زوجته على المنصب بشرفها وخيانتها. . إن عاهـرة تحميني! (يصرخ ويهجم عليهـا ثانيـة ويمسك بشعرها ويوقعها على الأرض، ثم يقف للحظة ويحسم أمـره، ويـذهـب ويغلـق البـاب ويسـدل الستـار على النافذة، ويفتح الدرج ويخرج مسدسا).

يوفانكا : (تصيح وتنهض وتتعلق بيده التي يمسك بها المسدس) ماذا ستفعل؟ ماذا نويت؟

فلاديمير : (ينـزل في وهنٍ اليـد التي يمسـك بها المسدس ويجيـب لنفسه أكثر) لا أعلم، لا أعلم أنا نفسي. .

يوفانكا : إذا كنت قد صوبت المسدس لكي تقتلني فافعل، افعل ذلك فأنا لا أمنعك.

فلاديمير : (يبتسم في ألم) أقتلك أنت؟ بماذا سيفيدني موتك، هل سيبرئني هذا أمام الناس؟ (يلقي بالمسدس على الأرض ويجلس في انكسار).

يوفانكا : (بعد فترة صمت طويلة، وقد تمالكت نفسها) استمع إلي يافلاديمير!

(بعد فترة صمت، بما أنه لم يرفع رأسه) إنك لم تعد تصدقني، ومع ذلك فأنا أرجوك وأستحلفك أن تصدق شيئا. إنني كنت أحبك وإنني أحبك الآن.

وأنت تعرف جيدا للغاية أنني قبلت الزواج منك عن حب بعد أن تغلبت على جميع العقبات واعتراضات أقاربي، وكان أقاربي وصديقاتي يؤكدون في خبث أنني لا أتزوج بك إلا لوسامتك وأنني طائشة لأنك لست رجلا ذا شأن في عمله. وأنا أيضا كنت مقتنعة بذلك، إلا أنني كنت أيضا احتقر المهنة وكل المظاهر الحسنة واقترنت بك لأنني كنت أتمسك بالمثاليات لأن رغبتي الوحيدة كانت أن تكون لي وأن أكون لك، و بعد زواجنا لم تعد تكفيني وسامتك أو أصبحت شيئا عاديا بالنسبة لي، وكان أقاربي وصديقاتي وهم يرونني مقترنة برجل ذي منصب صغير يؤكدن في رضى ـ على الدوام ـ صدق نبوءتهم، وأصبحت صديقاتي تلك المتزوجات برجال حققن مناصب عالية سيدات من الدرجة الأولى، وأنا . . . وأنا أصبحت. . تعرف كيف كنت تترقى بصعوبة في البداية وكيف كنت تمكث في الدرجة الواحدة عدة سنين. وإذا ذهبنا إلى الجمعيات كانت

صديقاتي تحتل الأماكن الشرفية، أما أنا فكنت مضطرة للجلوس في الصفوف الخلفية، وكان قلبي يتمزق ألما وأنا أراك تقف أمام أزواجهن في خضوع، كما يقف الصغار أمام الكبار، وكن يضحكن مني في نفاق ويظهرن بذلك شفقتهن علي، وعلاوة على ذلك فإن عائلتي التي بعد كل هذا الوقت لم تشأ مطلقا أن تسلم بالحقيقة الواقعة، كانت توجه لي اللوم على الدوام. . عندئذ، عندئذ يافلاديمير تولد عندي طموح كان ينمو من يوم لآخر ويترعرع في شدة وإفراط متزايدين، وفي النهاية راح يخنقني ويطاردني. . ودخل في صراع مع حبي نحوك وأصبح أقوى وأعنف منه. وانبعثت في نفسي حينذاك رغبة وحيدة، وحامت أمام عيني آنذاك أمنية فريدة، فقد كنت أريد أن تصبح بأي ثمن موظفا كبيرا، موظفا ذا منصب عظيم و. . وقد أصبحت ذلك.

فلاديمير : (كان يستمع حتى ذلك الحين وهو مطرق الرأس، ينتفض عند سماعه لهذه الكلمات) أيتها التعسة!.

يوفانكا : ولكني. . لم أنقطع أبدا عن حبك حتى حينما كنت ارتكب الخطأ. . .

فلاديمير : (يقفز) ليس صحيحا! كذب، كذب وقح مثل ذلك الكذب الذي يتم به في الروايات والمسرحيات الدرامية تبرير خيانة المرأة. لن استمع للكذب أكثر من ذلك، ولا أريد أن أسمع صوتك بعد الآن. إنه كريه بغيض،

يتغلغل عبر أذني وداخل نفسي كأنه خنجر مسموم، وكأنه قطعة من الصلب المحمى، وكأنه ناب جهنمي للحية، هذا الصوت الذي كنت تعبرين به عن حبك حتى الأمس! . . .

يوفانكا : لك الحق يافلاديمير في ألا تستمع لصوتي بعد الآن، ولك الحق في ألا تطيقني بجانبك بعد ذلك، وليس لي الحق ولا أملك الجرأة في أن أطلب غفرانك، وحتى لو حصلت عليه فإن نظراتك وقربك سيكون فظيعا بالنسبة لي على الدوام، وسيكون سيفا مسلولا أقف أمامه باستمرار مطرقة الرأس، وبناء عليه سأحل الأمر . . (بعد فترة صمت، وهي تأخذ القبعة والمعطف) إنني ذاهبة إلى والدي . . (فترة صمت، تنظر إليه منتظرة منه جوابا، ولما لم تجد جوابا تكرر دون أن ترفع رأسها) إنني ذاهبة إلى والدي!

فلاديمير : (دون أن ينظر إليها) اذهبي!

يوفانكا : (ترتدي القبعة وتلبس المعطف، ثم تنظر إلى فلاديمير ولكنه لا ينظر إليها) الوداع! (تتنهد وتتجه للخروج وتتوقف عند الباب) يافلاديمير، هل تسمح لي بأن أودع ابنتي؟

فلاديمير : (يشعر بوخزة من جراء تذكره للابنة التي لم يفكر فيها حتى الآن) أولجيتسا، أولجيتسا؟ أوه، ياربي، ياربي، (ينفجر في بكاء شديد ثم يرفع رأسه، ينهض ويذهب إلى الباب الأيسر) ياأولجيتسا، ياابنتي، ياأولجيتسا!

المنظر الثامن

أولجيتسا وشخصيات المنظر السابق

أولجيتسا : (تدخل مهرولة) يا أبت!

فلاديمير : (يمسك بها في تشنج، ويرفعها في حضنه ويدس رأسها في صدره وكأنه يريد أن يحميها من شيء، ويبكي بمرارة) يابنيتي.. ياحبيبتي!

يوفانكا : (مازالت تقف عند الباب الخلفي وقد غطت عينيها بيديها، تبكي وتتنهد تنهدا عسيرا، وهي لا تجرؤ على مشاهدة المنظر).

أولجيتسا : (بعد أن رفعت رأسها) هل أنت تحبني ياأبت؟

فلاديمير : (ينزلها على الأرض وينظر إليها لفترة وطيلة، يدخل في صراع مع نفسه، ثم يقبلها بحرارة ويعيدها إلى الحجرة) اذهبي، اذهبي لكي تلعبي! (يدفعها).

المنظر التاسع

فلاديمير ويوفانكا

يوفانكا : (تقف في نفس المكـان، في ألم) ألا تسمح لي حتى بهذا؟ ألا تسمح لي بأن أودع ابنتي؟

فلاديمير : (في هدوء وبعد تفكير) اسمعي. . انك لن تغادري هذا المنزل. إذا كنـت قد قضيت على سعـادتي فليس لـديك سبب وليس لي الحق في أن أقضي على مستقبل ابنتنا. إذا طردتـك من المنـزل فستصبح الفضيحـة علنية وستكبر ابنتنـا أولجيتسـا تحت ظـل هــذه الفضيحـة. إنها فتـاة وستصـل إلى العام الـذي سيشير فيـه كـل الناس إليهـا ويقولون: هذه هي ابنة تلـك المرأة التعسة التي طردها زوجها بسبب خيانتها، وسيشيح كل الناس بوجوههم عن هذه الفتاة. ستبقين هنا، سـأكرهك وسأحتقرك، ولكني سـأخفي عـن الناس خيانتـك، سأخفيهـا لكي أحافظ على مستقبل هذه الابنة، هذا من واجبك ويجب عليك أنـت أيضا أن تفعلي نفس الشيء. وإذا كنـت قد ارتكبت خطأ في حقي فلا تخطئي على الأقل في حق هذه الطفلة التي من صلبك ومن دمك.

يوفانكا : (في يأس) أوه، ياربي!

فلاديمير : (بنفس اللهجة) لقد كنـا حتى الآن زوجين، ومنذ الآن سنصبح أبا وأما.

يوفانكا : (وهـي تقترب) شكـرا لـك على كـل هـذا القـدر مـن الشفقة!

فلاديمير : هذه ليست شفقـة . لن تكون لدي شفقـة عليك. هذا ليس إلا حبا تجاه الطفلة وتجاه مستقبلها، هذا هو الحب الوحيد الذي بقي لي الآن. اذهبي! (يلوح لها بيده لكي تذهب إلى حجرة أولجيتسا) اذهبي إلى هناك.

يوفانكا : (تهرع إلى حجـرة أولجيتسـا وهي تنـزع عـن نفسهـا في الطريق معطفها وقبعتها. . . .) ياأولجيتسا، يابنيتي!.

فلاديمير : (يتابعها ببصره ثم يجلس على المكتب، ويحني رأسه على يديه وينفجر في بكاء حار).

(ستار)

الفصل الثالث

نفس الحجرة

المنظر الأول

فلاديمير والدكتور

(يجلسان: الدكتور يمسك بالصحيفة التي يقرؤها، أما فلاديمير فقد استند على المكتب وقد تملكه القلق).

الدكتور : (بعد فترة من الوقت) ومع ذلك، فالناس هم الناس ياصديقي.

فلاديمير : لا أعرف لماذا يجب علي أن أراعي هؤلاء الناس.

الدكتور : لماذا؟ في النهاية لأنك أب و. . .

فلاديمير : (ينتفض) هذا صحيح. حسن، ماذا يريد هؤلاء الناس؟

الدكتور : ماذا يريـدون، يريدون الحساب، يطلبـون أن تقدم لهم الحساب عن كل شيء. إن الناس تحولوا إلى قوة تطالب بـالحسـاب، وقـد لا يحق لهم ذلك، ولكـن مـع ذلـك عليك أن تقدم لهم الحسـاب، لابد إذا أردت أن تعيش مـع هـؤلاء الناس وطـالما أنـه يـوجد لـديـك أي شيء يربطك بهؤلاء الناس.

فلاديمير : (باقتناع) حسن.

الدكتور : وخاصة، كما ترى ياصـديقي، إن الناس يفطنون لأتفه الأمـور . يعـرفـون بـالخارج فضيحتـك مـع أوروشيفيتش، ذلك الذي أهانك، وطبعا بهذه المناسبة يقال الكثير عن هذا الأمر.

فلاديمير : عن أي أمر؟

الدكتور : أتسمح لي بأن أكون صريحا؟ إنك تعلـم مقدار صداقتي لك.

فلاديمير : كن صريحا.

الدكتور : في البداية جرى كلام عن علاقة زوجتك بالوزير.

فلاديمير : (في ألم) أجل، أعلم.

الدكتور : والآن، ولكن الآن يجري كـلام عن حياتك السيئـة مع زوجتك.

فلاديمير : إذن فهناك كلام يجري عن ذلك؟

الدكتور : بالله عليك، لا يوجد منزل في بلغراد يمكن أن تسند جدرانه وتحافظ على سر. يوجد هنا الشباب ثم الزيارات وأصدقاء المنزل الذين لا يحضرون إلى المنزل إلا لكي يلاحظوا أي شيء ثم.. إذن.. لا يمكن إخفاء هذا.

فلاديمير : (في استسلام) أعلم.

الدكتور : وانظر، هذه الحياة السيئة التي ــ أقول لك الحق ـ لاحظتها، أنا أيضا، تتخذ كدليل وكنتيجة لتلك الفضيحة. أجل، حياتك السيئة مع زوجتك تؤكد أنه كان هناك شيء بالفعل، وتؤكد أنه يوجد شيء من الحقيقة في تلك الإشاعات السابقة.

فلاديمير : حقا، الأمر كذلك بالفعل. ولكن.. (يفكر) اسمع يادكتور؟ لابد أن أسر لك بشيء، لابد، لأنني أحتاج إلى نصيحة شخص ما، وأنا لا أجسر على طلبها من أخي و.. ليس لدي أحد آخر أطلبها منه، وأشعر بضعف يمنعني من أن أنصح نفسي بنفسي.

الدكتور : إذن، قل..

فلاديمير : إنك صديقي؟ (ينظر إلى عينيه).

الدكتور : إذا كنت تصدقني في ذلك!

فلاديمير : اجلس، استمع إليّ، الناس على حق، والناس ذكروا الحقيقة.

الدكتور : (في دهشة) الحقيقة؟

فلاديمير : أجل، كل ماقاله الناس عن زوجتي وعن الوزير، كله حقيقة، حقيقة خالصة.

الدكتور : ورغم ذلك ألست مخطئا؟

فلاديمير : أوه، لو علمت كم أود أن أكون مخطئا، ولكن لدي أدلة..

الدكتور : أدلة؟

فلاديمير : أجل و.. وربما ستسألني الآن: ماذا فعلت أنا إذن حينما تأكدت؟

الدكتور : (في اكتئاب وانزعاج) لا، لا أنوي أن أسألك شيئا!

فلاديمير : ولكن ينبغي أن تسألني مادمت تريدني أن أبوح لك، أو.. سأقول لك كل شيء بنفسي، لابد أن أقول لك كل شيء الآن، وبعد ذلك سأقول لك كيف حدث كل هذا، ويكفيك أن أقول لك إنها قد أكدت أدلتي بالاعتراف.

الدكتور : بالاعتراف؟

فلاديمير : أجل، وبعد ذلك كان ينبغي عليها أن ترحل من المنزل، كان هذا هو الحل الأكثر طبيعية للمسألة. . رجتني أن تودع ابنتها. . وناديت على الطفلة وعندئذ تذكرت أن الطفلة بنت، وتنمو بداخلها فتاة صغيرة وبعد ذلك فتاة، وأنني بتصرفي ــ إذا طردت أمها ــ سأعلن بذلك للعالم سوء أخلاقها وأحطم في الحقيقة مستقبل الطفلة، مستقبل تلك الطفلة التي بقيت لي كمقابل وحيد للحب وعندئذ ياصديقي أبقيتها. أبقيتها لكي نعيش تحت سقف واحد، لا كزوج وزوجة بل كأب وأم.

الدكتور : أجل، ولكن مثل هذه الحياة. .

فلاديمير : إنها حياة قاسية عليها وعليّ، بيد أنها عقاب بالنسبة لها، وتضحية بالنسبة لي، تضحية أقدمها لابنتي، والأكثر من ذلك أنني اضطررت إلى الابتعاد عن هذه الابنة. فلم أكن استطيع أن أسمح لمثل هذه الأم بتربية ابنتي وكما تعلم، رغم أنكم جميعا كنتم تعارضون، فقد أرسلت الابنة إلى الخارج، إلى دار حضانة داخلية واضطررت لأن أفصلها عن أمها فأبعدتها عن نفسي أيضا.

الدكتور : فيما يتعلق بالابنة، والآن بعد أن أبلغتني بالسبب الحقيقي لإبعادها عن المنزل، فإني مصر على رأيي الذي قلته لك من قبل. إن الطفلة التي تبلغ من العمر خمسة أعوام لايتم إبعادها عن أمها ولا يتم إرسالها إلى دار حضانة داخلية.

فلاديمير : أجل، ولكن يتم إبعاد الابنة عن أمها ذات الخلق السيىء.

الدكتور : وبناء عليه فلا أفهم الباقي كله، لقد احتفظت بزوجتك بسبب الناس حتى لا يشيعوا أنها سيئة الخلق إذا ماطردتها، ولكن.. ألا تدرك أنك توقفت في منتصف الطريق؟

فلاديمير : في منتصف الطريق؟

الدكتور : أجل، لأن هذه الحياة الحالية، تلك الحياة الشاقة، بتعبير أفضل الحياة التي لا يمكن إخفاؤها، ويعلم الناس بها في الخارج تؤدي إلى نفس العواقب. ويتم تفسير هذه الحياة في غير صالح زوجتك، وبتعبير أفضل، في غير صالح أم ابنتك التي أردت أن تحافظ عليها.

فلاديمير : (في قلق) أجل، أجل، فماذا أفعل، بماذا تنصحني أن أفعل؟

الدكتور : .. النصيحة عسيرة في هذا المجال ولا يبقى إلا طريق واحد.

فلاديمير : اذكره.

الدكتور : لابد أن تسامح زوجتك وتنسى كل شيء وتتصالحان وأن تدحضا بحياتكما السعيدة المقبلة كل ماسبقها.

فلاديمير : (في حسم) أسامحها، تقول أسامحها؟ هذا لم يحدث مطلقا.

الدكتور : عسير عليك أن تسلم بذلك على الفور، ولكن فكر قليلا، فكر، وسترى أنه ليس بوسعك إلا ذلك.

فلاديمير : إنك لا تعلم يادكتور حجم هذا الجرح، وإنك لا تعلم قدر هذا الألم، لا يمكن نسيان هذا، ومن المستحيل الصفح عن ذلك.

الدكتور : ولا حتى من أجل حبك للطفلة؟

فلاديمير : الطفلة؟ سأفعل كل شيء من أجل هذه الطفلة، ولكن - بالذات - من أجل صالح الطفلة لا أجسر على الصفح عنها، كما أنها من أجل صالح الطفلة لم تكن لتجسر على ارتكاب الإثم.

الدكتور : عندئذ سيصبح الأمر أكثر صعوبة إذا ظللت بعد ذلك مصرا على قرارك.

فلاديمير : سأظل.

الدكتور : لا أعرف وسيلة أخرى اقترحها عليك.

فلاديمير : سأجدها، لابد أن أبذل كل مافي وسعي وأن ألجأ إلى كل الوسائل من أجل صالح مستقبل ابنتي.

الدكتور : اذكر لي الوسيلة التي تنوي بها التوصل إلى ذلك؟

فلاديمير : (يتذكـر) اسمع. (يمسكه مـن يده في عصبيـة) لابد أن أجد وسيلة للتشهير بنفسي أمام النـاس. وليظهر الأمر وكأنني أنا زوج سيء. وأنه بسبب ذلك أصبحت الحياة سيئة بيننا.

الدكتور : سيصعب عليك تنفيذ ذلك، فكلنا نعرفك.

فلاديمير : لابـد أن أفلح. أوه، كـم من الأمـور تحدث في الدنيـا ويقال عنها بعد ذلك: «من كان يصدق هذا!» لابد أن انتصر على النـاس، ولابـد أن أقنعهـم بـأنـنـي سبـب وباعث الحياة السيئة في المنزل.

الدكتور : ولماذا هذا؟

فلاديمير : لماذا؟ من أجل مصلحة الطفلـة. يمكن أن يكون للفتاة والد سيىء ولكن لا يمكـن أن تكون لها أم سيئة، ولذا فسأتحمل كل الذنب، ولتظل أمها شريفة أمام الناس.

الدكتور : حسن، ولكن كيف تنوي تنفيذ ذلك؟

فلاديمير : كيـف، أجـل، هـذا هـو مـالا أعـرف أن أعثـر عليـه بمفردي. وهنا أريد نصيحتك.

الدكتور : النصيحة التي لا أقدر على تقديمها لك.

فلاديمير : أريد أن اختلق لنفسي أية فضيحة، خيانة لزوجتي.

الدكتور : لكي تنفذها . . .

فلاديمير : لا ، لـن أفعـل ذلـك ، بل اختلقهـا فقـط ، لـو نفـذتها ستكون هي في نفس الموقف الـذي أقع فيه الآن بالنسبة لها ، وسيتم إعفـاؤها من العقـاب . وأنا أريـد أن أبقى طاهر الروح ، ولكن سيىء الخلق أمام الناس . أريد أن تكون التضحية التي أقدمها للابنة طاهرة كدوافعي .

الدكتور : (يهز رأسه) أمر صعب .

فلاديمير : لابد هـي الأخرى أن تسـاعدني ، وهـي أيضا لابـد أن تساعدني .

الدكتور : هي؟

فلاديمير : سأدفعها إلى أن تتهمني ، لابد أن تتهمني أمام الناس .

الدكتور : (يهز رأسـه في شـك) لا أعلـم . . السبيـل غير واضـح بالنسبة لي .

فلاديمير : ومع ذلـك فليس هنـاك سبيل آخـر . ينبغي أن تـرضي الناس . ويلزم الحفاظ على مستقبل الابنة . (يدس رأسه بين يديه) .

المنظر الثاني

كاتيتسا وشخصيات المنظر السابق

كاتيتسا : (وهي عند الباب الأوسط) السيد الوزير.

فلاديمير : (ينتفض، ينظر إلى الدكتور ثم إلى كاتيتسا) أدخلي السيد الوزير إلى حجرة الاستقبال. (بعد أن اتجهت كاتيتسا للخروج) هل أبلغت السيدة؟

كاتيتسا : أبلغتها، وقالت السيدة إنها متوعكة ولا يمكنها أن تستقبله.

فلاديمير : حسن.. أدخلي السيد الوزير، وسأحضر الآن.

كاتيتسا : (تنصرف).

المنظر الثالث

الدكتور وفلاديمير

فلاديمير : هاهو.. هل تدرك موقفي الآن؟ بصفتي رجلا شريفا ينبغي أن أرد الهدية الدامية لذلك الشخص الموجود

هناك في الحجرة، ولكني مضطر من أجل الناس أن استقبله استقبالا طيبا، وأن أتظاهر بأنني لا أعلم شيئا، وأن أمثل أمامه دور الزوج الأحمق الذي يخدعه وهو لا يعرف ذلك ولا يراه.

الدكتور : (في انزعاج) حقا!

فلاديمير : (في انفعال) وعلاوة على ذلك لابد أن أمثل دور الموظف المعترف بالجميل الذي سانده هو ورفعه إلى أعلى عليين.. أليس هذا فظيعا؟ أليس هذا موقفا لا مخرج منه، موقفا معذبا لا يطاق؟ إنني ياصديقي لم أبك في حياتي مطلقا. وأصبحت الآن غاية في الرقة، وغاية في ضعف الهمة ولذا فإن الدموع غالبا ما تبلل عيني.. ولكن.. صدقني، إنها ليست دموعا، إنه دم قلبي الممزق، إنه مرارة نفسي المسممة التي ترتوي بدموعي، إنها.. آه! (يلوح بيده وكأنه يريد أن يقول: «لنترك هذا»)!

يتنهد لكي يريح نفسه من الانفعال ثم يتجه للخروج ويعود) ستنتظرني هنا يادكتور، أليس كذلك؟ إنني لم أنه بعد حديثي معك (يذهب إلى الحجرة اليمنى).

المنظر الرابع

الدكتور ويوفانكا

الدكتور : (بمفرده، يشعل سيجارة).

يوفانكا : (تأتي من حجرتها) أهو أنت يادكتور؟ حسن إنني وجدتك هنا، وإلا كنت سأرسل في طلبك.

الدكتور : في طلبي؟ .

يوفانكا : أجل، تسلمت رسالة تحمل أنباء غاية في السوء، غاية في السوء.

الدكتور : أوه، تبالغين، تبالغين طبعا. أين هذه الرسالة؟

يوفانكا : (تعطيها له) أولجيستا مصابة بالحمى المستمرة منذ يومين.

الدكتور : (وهو يتفقد الرسالة) فماذا؟

يوفانكا : ولكن بالله عليك، طفلة صغيرة كهذه وبدون والديها، بدون رعاية الأبوين.

الدكتور : إنني لم أوافق مطلقا فلاديمير على إرسال الطفلة وهي في هذه السن خارج المنزل. ومهما كان ترتيب هذه الحضانة الداخلية فالطفلة صغيرة للغاية.

يوفانكا : (وهي تتنهد) آه، يادكتور، لو كان الأمر بيدي.

الدكتور : أعرف، أعرف أنها كانت رغبة فلاديمير فقط. (ينهي قراءة الرسالة) ولكن، ماذا ترين في هذه الرسالة؟ إنه فظيع للغاية.

يوفانكا : كيف بالله عليك؟

الدكتور : إحدى مدرسات دار الحضانة تكتب أن الحرارة بعد ذلك انخفضت وأنها في اليوم التالي ظلت مكتئبة، وغير مرحة.. (يعيد لها الرسالة).

يوفانكا : ها أنت ترى.

الدكتور : وأنت استنتجت من هذا أن أولجيتسا مصابة بحمى مستمرة منذ يومين.

يوفانكا : ولكن بالله عليك يادكتور، مادمت لست بجانبها.

الدكتور : هذا صحيح، الخطر أكبر على الدوام طالما نحن بعيدون عنها.

يوفانكا : فماذا نفعل، بماذا تنصحني؟

الدكتور : بماذا؟.. أيعرف فلاديمير شيئا عن هذا؟

يوفانكا : لا، هذه معلمـة من دار الحضـانة تتراسـل معي. كـن حافظـا لهذا السر الصغير يادكتور. لقد منعنـي زوجي من الكتابـة لابنتي. وطلب من مديـرة الدار ألا تكتب لي. وإذا كتبت أنـا للمديرة فـإن الرسالـة سترجع لأنها تتسلـم الـرسائل وفقا لعلامـة معينة، وقد فعـل زوجي هذا بسبـب أنني قـد أحزن الطفلة بـرسالـة فتشتاق إلى المنزل.

الدكتور : (لنفسه) الزوجة البائسـة، إنها تكذب! (بصوت عال) أجل، هذا السبب له مبرراته إلى حد ما.

يوفانكا : ولكن قلب الأم يادكتور، هـل من الممكن أن يقيد المرء نفسه بـالأعذار مهما كـانت؟ لقـد وجدت عـن طريـق الأصدقـاء في دار الحضانـة معلمة وجعلـت منها أمينـة سري و . .

الدكتور : (يكمـل الجملـة) . . وهـي تكتـب لـك بـانتظـام عـن الطفلة.

يوفانكا : ستحفظ يادكتور هذا السر الصغير.

الدكتور : السرليس خطيراً، يمكنني أن أحافظ عليه.

يوفانكا : فبماذا، إذن، تنصحني؟.

الدكتور : أولا، اعتقد أن نخبر فلاديمير أيضا بمرض الطفلة، فربما سيقرر على الفور إحضار أولجيتسا.

يوفانكا : أوه، مما لاشك فيه أنه سيفعل ذلك، ولكن. . يادكتور، هذا أمر خطير، لا نستطيع أن نفعل ذلك، فسيسأل من أين علمت أنا بهذا.

الدكتور : أجل. . ولكن، أتعرفين ماهو أفضل شيء بالنسبة لهذه اللحظة؟ أعطني قلما وورقة وأعطني عنوان أمينة السر هذه، وسأسألها ببرقية مدفوع أجر الرد عليها عن التشخيص الطبي، وسأدفع أجرة البرقية على أنها عاجلة حتى أحصل على الرد بعد ساعة، وسأوقعها حتى يجيء الرد إليّ. ونحصل بذلك على أمرين: أولا، إننا سنعرف الحالة الحقيقية للمرض، وثانيا مادام لدي برقية موجهة على عنواني، فمن السهل علي أن أقول على أمينة سرك إنها صديقتي وأترك عند فلاديمير التأثير المطلوب من هذه البرقية.

يوفانكا : أجل، هذا حسن بالفعل. شكرا لك. تفضل إلى حجرتي واكتب البرقية (يذهبان معا إلى الحجرة اليسرى).

المنظر الخامس

كاتيتسا وستانكوفيتش

كاتيتسا : (تدخل في المقدمة) تفضل بالانتظار هنا مادمت لا تريد أن أبلغهم بمجيئك.

ستانكوفيتش : لا، لا تبلغيهم، مادام السيد الوزير موجود فسأنتظر أنا هنا. وكيف حال السيدة ياكاتيتسا، هل هي أيضا هناك في الحجرة؟.

كاتيتسا : لا، السيدة متوعكة قليلا.

ستانكوفيتش : (يجلس) هكذا، لم أكن أعلـم بهذا. أرجوك أن تبلغيها بأطيب تمنياتي بالشفاء العاجل.

كاتيتسا : شكرا.

ستانكوفيتش : (يختلس النظـر من ثقب البـاب الأوسط) لم يعـد السيد الوزير هناك، لابد أنه انصرف.

كاتيتسا : ربما لم ألحظه.

ستانكوفيتش : اذهبي يابنيتي وأبلغيهم بوجودي.

كاتيتسا : بكل سرور (تنصرف إلى اليمين)

ستانكوفيتش : (يختلس النظر ثانية من الباب).

كاتيتسا : (تعود) حقا، لقد ذهب السيد الـوزير منذ مدة طويلة، ولم ألحظه. والسيد يرجوك أن تنتظره قليلا، وسيحضر حالا، إنه فحسب ينهي كتابة رسالة.

ستانكوفيتش : أوه، العفو، سأنتظر.

كاتيتسا : (تنصرف).

المنظر السادس

ستانكوفيتش والدكتور

ستانكوفيتش : (يقلب على المكتب ويتفحص الأوراق الصغيرة).

الدكتور : عجبا، أنت هنا؟

ستانكوفيتش : وأنت كنت في زيارة للسيدة؟

الدكتور : أجل.

ستانكوفيتش : هل تحسنت السيدة؟ سمعت أنها مريضة.

الدكتور : أجـل، مريضـة، إنني أحمل بنفسي إلى الصيـدلية هـذه القائمة بالأدوية التي كتبتهـا لها، ولكن ياعزيزي، هل من جديد؟ .

ستانكوفيتش : لا يوجد شيء هـام (بطريقة سرية) هـل تعلم أن السيد الوزير كان منذ قليل في زيارة للسيد فلاديمير.

الدكتور : أتعد هذا من الأخبار الجديدة؟ إنه يأتي كما كان يأتي من قبل. أي شيء غير عادي تراه في هذا؟

ستانكوفيتش : (في خيبة أمل) هكذا؟

الدكتور : اقلع عن عـادة أن تختلق خبراً جديداً مـن كل شيء وإلا فسيحـدث لك في أحيـان كثيرة، كما حـدث الآن، أن تجعل من الأمر المألوف والطبيعي للغـاية بالنسبة لجميع الناس خبرا هـاما. إلى اللقاء يـاعزيزي، إننـي مشغول (ينصرف بسرعة).

المنظر السابع

ستانكوفيتش وفلاديمير

ستانكوفيتش : (تتملكه الدهشة من ذلك الذي سمعه من الدكتور). .

فلاديمير : (مازال يطوي الرسالة المعنية، ويضعها في ظرف، ثم في خلال الحديث يلصق هذا الظرف الذي كتب عليه العنوان من قبل، ثم يقص بالمقص طرفا من أطرافه وكأن شخصا قد فتح من قبل الرسالة الواردة، وبعدما ينهي كل شيء يخرج حافظة نقوده ويضع الرسالة بها ويعيد الحافظة إلى جيبه) ياعزيزي السيد ستانكوفيتش، اعذرني، فقد انتظرتني فترة أطول مما أسمح به عادة. .

ستانكوفيتش : أوه، عفوا ياسيدي المدير، العمل أكثر أهمية.

فلاديمير : اجلس من فضلك.

ستانكوفيتش : (وهو يجلس) شكرا. ولكنـي أقول على الفور إنني لم أحضر اليوم من أجل الزيارة بلا عمل كما أفعل باستمرار لقد جئت اليوم من أجل عمل هام وخاص.

فلاديمير : هكذا؟ وما هو هذا العمل الهام والضخم الذي أتى بك؟

ستانكوفيتش : تعرف، بسبب تلك القرى التي أغرقها فيضان نهر موراڤا، وقد تشكل مجلس خاص من سيدات الدوائر العليا من أجل جمع التبرعات لضحايا الفيضان.

فلاديمير : هذا جميل.

ستانكوفيتش : وتعلم، أنا سكرتير هذا المجلس، وسأقول لك سرا إنني بالضبط صاحب الفكرة، ولكني تركت الأمر للسيدة حرم جيفكوفيتش، المستشارة، وكأنها صاحبة الفكرة. وهذا، تعرف، أشعرها بالإطراء ولذلك اهتمت بالأمر كله.

فلاديمير : هذا كله جميل للغاية، ياسيد ستانكوفيتش، ولكني لا أرى السبب في أن هذا الأمر أتى بك إليّ؟

ستانكوفيتش : لقد اخترنا زوجتك أيضا في المجلس. تعرف، أنا الذي اقترحت ذلك.

فلاديمير : (يقطب جبينه) هكذا.

ستانكوفيتش : (ينهض ويقترب منه) لن تلومني إذا كنت صريحا؟

فلاديمير : أوه، أرجوك، إن صراحتك حبيبة إلى نفسي على الدوام.

ستانكوفيتش : انظر، إنني بهذه المناسبة أبديت اهتماما خاصا وبالغا، وقد نجحت كما ترى.

فلاديمير : لا أفهم، من أجل ماذا أبديت اهتمامك؟

ستانكوفيتش : (في قليل من الاضطراب) من أجلك . . ومن أجل منزلك . . ومن أجل السيدة . .

فلاديمير : (يشعر بصعوبة الموقف، ينهض هو الآخر) لا يمكنني أن أفهمك فهما كافيا، أرجوك أن تتكلم بوضوح أكثر، بوضوح كامل . لقد عرضت عليّ بنفسك الصراحة، فلماذا تتهرب منها الآن؟ .

ستانكوفيتش : (يتردد) ومع ذلك . .

فلاديمير : إنني أجعلك في حل من جميع الاعتبارات، وألزمك باعتبارات الصداقة، إنني أحب الصراحة مهما كانت كريهة .

ستانكوفيتش : أجل، إذن فالأمر على النحو التالي : لقد كانت السيدات تعارض أشد المعارضة حينما عرضت ترشيح زوجتك، وقطبن وجوههن وتحدثن بصوت خافت، وفي النهاية قلن بصوت عال كلاما فارغا لم يكن بإمكاني أن أسمح بقوله عن زوجة صديقي ورئيسي، واجتهدت اجتهادا كبيرا بحيث إنني نجحت في النهاية كما ترى، وبعد لحظات ستحضر السيدة حرم جيفكوفيتش بنفسها إلى هنا لكي تعرض شخصيا على السيدة أن تقبل عضوية المجلس .

فلاديمير : شكرا لك ياصديقي، ولكن يمكنني أن أقول لك إن نجاحك كان يمكن أن يكون أسهل بكثير جدا لو أنك جئت لي من قبل وتحدثت معي عن كل شيء.

ستانكوفيتش : عم تتحدث من فضلك؟

فلاديمير : ولكن، قل لي صراحة، أية صعوبات كانت موجودة عند انتخاب السيدة وتغلبت أنت عليها، وعلام قطبت السيدات، وبماذا تحدثن بصوت خافت؟ وماذا قلن بصوت عال؟.

ستانكوفيتش : عن أمور ربما تعرفها، وتمتد منذ ذلك اليوم، منذ تلك الفضيحة التي حدثت في الوزارة.

فلاديمير : ولكن، هذه الفضيحة ــ كما ترى ــ لم تكن لها أية عواقب، فأنا وزوجتي مستمران في العيش معا.

ستانكوفيتش : سأقول لك بكل صراحة، يقال في كل مكان بالخارج أنك وزوجتك تعيشان بالمنزل حياة في غاية السوء، وبقدر ما أؤكد أن هذا ليس صحيحا فلا يمكنني أن أفلح في القضاء على هذه الشائعات.

فلاديمير : أجل ياصديقي ولن تفلح، فمن العسير التغلب على الحقيقة.

ستانكوفيتش : (في دهشة) الحقيقة؟

فلاديمير : أجل، الحقيقة ـ للأسف ـ الحقيقة التي رغم كل حذري لم يكن من الممكن إخفاؤهـا عن الناس والشيء الوحيد الذي آسف عليه أنه يتـم بالخارج تفسيرها تفسيراً سيئا للغاية. وفي النهاية ياسيد ستانكوفيتش لن أخفي عليك الأمر أولا لأنك بمناصرتك لـزوجتي أصبح لك التزام عليّ ولأنني أحب أن أؤكد لـك أنك كنت على صواب تام حينما دافعـت عن زوجتـي أمام أولئـك السيدات. إنني أنا وزوجتي لا نعيش في الآونة الأخيرة على النحو الذي كنا نعيش فيـه من قبل، يوجد سوء تفـاهم بيننا، وتوتر معين، وإذا شئت فإننا أيضا نعيش حياة سيئة.

ستانكوفيتش : أجل، يقال هذا في كل مكان.

فلاديمير : ولكن أيها السيـد، هل يعـرفون بـالخارج سبب ذلـك أيضا؟

ستانكوفيتش : هناك تفسيرات.

فلاديمير : أعلمها، ومن أجل هذا فأنا مدين حتى أعوض زوجتي باعترافي عن الذنب الذي ارتكبته في حقها.

ستانكوفيتش : (في تعجب) أنـت ارتكبت ذنبـا في حقها؟ كيـف، من فضلك، وأنا كنت. . .

فلاديمير : أجل ياعـزيزي، أنا المسئول عـن رحيل الهدوء والحب والحياة الجميلة مـن منزلي (يتأبط ذراعـه في سرية) إنك رجل في سنـوات الشباب فستفهم الأمر الـذي سأسره لك.

ستانكوفيتش : أو، تفضل.

فلاديمير : بمحض الصدفة.. مثلا في أثناء إحدى اللجان، أو في أية مناسبة كانت، هذا أمر ليس له أهمية كبيرة، تعرفت على امرأة وعقدت معها صداقة حميمة، حميمة للغاية.

ستانكوفيتش : أنت؟!

فلاديمير : هذا يحدث في بعض الأحيان دون قصد. وأنا بذلك لم انقطع عن حبي لزوجتي أيضا، ولكن العلاقات بيني وبين المرأة المذكورة كانت أيضا تتزايد قوة، وكنت أسيراً بين يديها، وكنت مضطرا للذهاب وقتما كانت تطلبني، وأعطيها من النقود بقدر ما تطلب. وفي كثير من الأحيان كنت أكذب على زوجتي بأنني مضطر للسفر إلى أحد الأماكن لقضاء يوم أو ليلة، وكنت أبيت هناك.

ستانكوفيتش : (في ذهول) ياللفضيحة.. يعني، معذرة!

فلاديمير : لا، لا، لماذا تعتذر، لماذا تسحب الكلمة التي أحسنت التعبير بها لأنها بالفعل فضيحة..

ستانكوفيتش : لقد تفوهت في غير حذر.

فلاديمير : ولكني اعترف ياسيدي بأنها فضيحة. لقد ترديت ترديا منحطا لدرجة أنني في النهاية سحبت من البنك مبلغ ثمانية آلاف دينار وهو مبلغ مدخر كانت زوجتي قد

اقتطعته من مصاريف المنزل ووضعته قرشا على قرش في البنك باسم ابنتي، إذاً فقد سحبت نقود ابنتي وأرسلتها إلى تلك المرأة، ولكن الرسالة التي كتبتها بخط يدي والتي أرسلت بها هذا المبلغ ضبطتها زوجتي وهي موجودة بين يديها الآن.

ستانكوفيتش : ضبطتها؟

فلاديمير : أجل ياسيدي، وهل اتضح لك الآن لماذا أعيش أنا وزوجتي عيشة سيئة كهذه؟

ستانكوفيتش : لقد اتضح لي ياسيدي ولكن، صدقني، إنني غاية في الاندهاش.

فلاديمير : وستقول لك زوجتي أيضا كل هذا إذا ماسألتها لأن الرسالة معها. كما ترى فقد أثريتك بنبأ طريف.

ستانكوفيتش : ولكن ياسيدي، أنا لن..

فلاديمير : ماذا، ألن تقول هذا لأحد؟ لاتعدني بهذا.. أولا: لأنك لن تستطيع أن تتحمل..

ستانكوفيتش : ولكن..

فلاديمير : .. وثانيا، لأنني في النهاية لا أمنعك من قوله، لأن الناس ماداموا يريدون أن يهتموا ببيتي وبالحياة فيه فليقولوا - على الأقل - الحقيقة الصحيحة ولا يلقوا بالعار على المرأة الشريفة، الوفية لزوجها، المرأة التي هي أم بجانب كل هذا.

ستانكوفيتش : صحيح تماما، اتفق معك اتفـاقا كاملا وسأتحدث الآن مع هـؤلاء السيدات بطريقة مختلفـة. سأقول لـك شيئا آخر بمنتهى الصراحة، حينها تم تحديد هؤلاء السيدات لكـي يستـدعين الأخـريـات، وكـان لابـد أن يحضرن عندكم، كـن يتأهبن لأن يتصرفن في غـاية البرود وربما بوقـاحة حتـى يجبرن بذلـك زوجتك على ألا تقبـل من نفسهـا، ولكـــن سترى الآن، سترى تغيرا وأي تغير، إنهن سيحضرن خلال دقيقة أو دقيقتين، إنهن في الواقع ينتظـرننـي لأنـه تـوجد معـي قـائمـة أسماء عضـوات المجلس. لابد أن تعذرني.

فلاديمير : أوه، عفوا، إنني أشكرك جزيل الشكر على هذه الزيارة (يرافقه في ود حتى الباب).

ستانكوفيتش : إلى اللقاء (ينصرف).

المنظر الثامن

فلاديمير بمفرده

فلاديمير : والآن كالسيل ستكتسح المدينة كذبة جديدة وقحة من صنعي. وليـس هناك أحـد أكفأ ولا أنســب لنشر هذه الكذبة من ستانكوفيتـش هذا الذي لا يخمن أنه ـ لأول مرة في حيـاته ـ بترويجه لأخبار كاذبـة عبر صالـونات بلغراد يقدم خـدمة جليلة. خدمة؟ وأنـا أيضا لابد أن أسمي هذا خدمة!

المنظر التاسع

فلاديمير ويوفانكا

يوفانكا : (تدخل من الباب الأيسر وحينها تلاحظ فلاديمير تريد العودة).

فلاديمير : (يلمحها) يايوفانكا!

يوفانكا : (تتوقف).

فلاديمير : لابد أن أتحدث معك.

يوفانكا : (تسكت وتنظر إلى الأرض).

فلاديمير : (بصرامة) تعرفين أنه بعد تلك اللحظة الفظيعة كان قراري الأول وقرارك أيضا ألا نعيش معا تحت سقف واحد. وهذا كان سيحدث لو لم تكن لنا ابنة لابد أن نحافظ على مستقبلها. ولكن حياتنا بالمنزل، التي لا يمكننا أن نغيرها والتي يعرفها الجميع بالخارج معرفة تامة، تقدم الدوافع رغم ذلك لقول ما أردت بالذات تجنبه. ففي الخارج يعلمون أننا أنا وأنت لا نعيش كزوجين وأن سبب ذلك هو في خطئك، وهذا يعني رغم ذلك أنه سيطلق على والدة ابنتي أنها غير وفية.

يوفانكا : (تتنهد تنهدا عميقا).

فلاديمير : إلا أن والدة ابنتي لابد أن تكون شريفة أمام الناس ، أنا أريد هذا ولابد أن الأمر على هذا النحو لصالح مستقبل الابنة، ولكن الناس يطلبون إيضاحا عن سبب سوء حياتنا، ولابد أن نوضح لهم ذلك. لابد أن نفعل ذلك لأنني لا يمكنني أن أسمح للناس بأن يوضحوا لأنفسهم ذلك وهكذا عن طريق هذه الإيضاحات يتمسكون بالحقيقة. أريد أن أكذب على الناس وأن أخدعهم، وأريد أن أحمل كل المسئولية على عاتقي.

يوفانكا : أنت؟

فلاديمير : أجل، أنا! إنني لا أفعل ذلك من أجلك بل من أجل ابنتي التي من أجلها لابد أن تفعلي أنت أيضا كل مافي وسعك.

يوفانكا : سأفعل كل مافي وسعي.

فلاديمير : هذا ما توقعته. وبناء عليه فأنا أنوي أن أتهم نفسي أمام الناس، وأن أقف أمام الناس كشخص سيء الأخلاق وغير شريف، وكزوج غير مخلص حتى يتم الاعتقاد بأن هذا هو سبب حياتنا السيئة.

يوفانكا : أنت، أنت سيء الأخلاق؟ ربي!

فلاديمير : هذا لن يضر ضرراً كبيراً مستقبل الفتاة مثلما سيضره استمرار بقائك أنت سيئة الأخلاق في عيون الناس. ولذلك لابد أن تساعديني. لا يمكنني أن أتهم نفسي بنفسي، لابد أن تتهميني أنت أيضا.

يوفانكا : أنا؟

فلاديمير : لابد أن تفعلي ذلك، وهو أمر سهل، لقد أعددت كل شيء. هاهي هنا رسالة كتبتها بخط يدي، وجعلت تاريخها قبل ذلك اليوم المشئوم الذي جلب لنا كل هذا بيومين أو ثلاثة (يخرج تلك الرسالة من الحافظة) وأنا هنا كتبت بخط يدي لإحدى النساء التي اختلقت اسمها. ومضمون الرسالة بغيض، وتقدم للزوجة الكثير من الدوافع لأن تعيش حياة سيئة مع زوجها، وتعطي الناس أدلة أكثر من اللازم لأن يحتقروا هذا الزوج والأب، يمكنك أن تقرئيها.

يوفانكا : (تقرأ الرسالة) هذا فظيع!.

فلاديمير : ستحتفظين بهذه الرسالة وكأنك ضبطتها، وحينما تحين الفرصة المناسبة، وحينما يسألك أحد ستتهمينني بهذه الرسالة. وسيستقبل الناس ذلك بكل سرور وستتم إدانتي وتبرئتك.

يوفانكا : يافلاديمير، أرجوك رجاء حارا ألا تفعل ذلك. لا يمكنني أن أتهمك هكذا بمثل هذا الاتهام الزائف البغيض... اتركني أحمل ذنبي بمفردي...

فلاديمير : لا تنسي لحظة واحدة أنني اقترح كل هذا على والدة ابنتي. ولا يمكن شيء سوى ذلك.

يوفانكا : إنك تطلب مني أكثر من اللازم. أتريدني أن أكفر عن ذنبي بذنب جديد بغيض وباتهام زائف؟

فلاديمير : على العموم، هذا الأمر لن يكون صعبا للغاية. إنه مشهد مسرحي مألوف لكل منا فيه دوره الذي لابد أن يقوم به وهذا هو كل مافي الأمر.

يوفانكا : انقذني من هذا الموقف.

فلاديمير : الموقف صعب بالنسبة لي مثلما هو صعب بالنسبة لك، ولكننا لابد أن نتحمل التضحيات ولابد أن نتحملها معا. لا يمكنك أن تتجنبيها مادمت أنا أتحملها بكل هذا السرور. إنني أوافق على أن أقدم نفسي للناس على أنني سيىء الخلق، أتظنين أنها تضحية بسيطة؟.

يوفانكا : حقا ليست بسيطة، ولكن ابحث عن مخرج آخر، أنا لا أجسر ولا يمكنني أن أتهمك.. أنت الذي تتحلى بهذا القدر من السمو!...

فلاديمير : إذن كوني أنت أيضا نبيلة وسامية ولبي واجب الأمومة لديك. هذا لابد أن يحدث وسيحدث، ولم يعد بإمكاني أن اختار سبيلا آخر لأنني أطلقت في المدينة إشاعات عن هذه الرسالة وعن خيانتي. فلنعتبر إذن أنه أمر منته ولننتقل إلى أمر آخر. تشكل هنا في المدينة

مجلس معين من السيدات لجمع التبرعات، والسيد ستانكوفيتش الذي يشغل منصب السكرتير رشحك أنت أيضا، وقد تقبلتك السيدات في غير رضى، ولكنهم رغم ذلك قبلنك. وسيحضرن الآن لكي يطلبن منك الانضمام إلى المجلس، وإذا كان ستانكوفيتش قد تمكن من أن ينقل لهم هذا الخبر عني فمن المؤكد أنهن سيكن غاية في اللطف معك. وأريدك أن تقبلي عضوية هذا المجلس لأنني أريد أن تسترجعي سمعة المرأة والأم الشريفة في المجتمع.

المنظر العاشر

السيدتان: حرم جيفكوفيتش وحرم نيكوليتش، وكاتيتسا، وشخصيات المنظر السابق

كاتيتسا : (تدخل من الباب الأوسط) سيدتان تريدان...

فلاديمير : فليتفضلا...

كاتيتسا : (تنسحب).

فلاديمير : إنهما هما.

السيدة حرم جيفكوفيتش : (تدخل وهي ترتدي قبعة في صحبة السيدة حرم نيكوليتش. وهما غاية في اللطف مع يوفانكا) نهارك سعيد ياسيدتي.

يوفانكا : (تصبح لطيفة بقدر إمكانها وتذهب للقائهما) نهاركما سعيد أيتها السيدتان، مرحبا بكما! لم أراكما منذ فترة طويلة. (تعرض عليهما الجلوس).

فلاديمير : (ينحني) تحياتي.

السيدتان : (تتلقيان التحية على فلاديمير وتجلسان).

فلاديمير : (لنفسه) يبدو أن ستانكوفيتش قد أدى واجبه (بصوت عال) اسمحا لي ياسيدتيّ بالانصراف (يحييهما ويحييانه وينصرف).

المنظر الحادي عشر

السيدتان : حرم جيفكوفيتش وحرم نيكوليتش، ويوفانكا

السيدة حرم نيكوليتش : أجل، لم نر بعضنا منذ فترة بعيدة، ولكن لم يكن خطأ من جانبنا، فأنت لا تخرجين إلى أي مكان في الآونة الأخيرة.

يوفانكا : أجل، اخرج قليلا.

السيدة حرم جيفكوفيتش : حينما كانت ابنتك بجانبك كنت تخرجين أكثر.

السيدة حرم نيكوليتش : حقـا ياسيـدتي، كيـف أمكنـك أن تقرري ذلـك، وأن تبعدي عنك ابنتك الصغيرة للغاية؟

يوفانكا : صـدقوني، أنـا نفسي صعب عليّ أنني فعلت ذلـك، ومنذ أن ابتعـدت عن ابنتـي ولا يسرني الخروج. وهذا بالضبط هو سبب قلة خروجي في الوقت الحالي.

السيدة حرم جيفكوفيتش : هذا أمر غاية في المخاطـرة، وهو إرسال فتاة في الخامسة من عمرها لكي تلقى عناية أجنبية بالخارج.

يوفانكا : لقد أوصانـا الطبيب بأن تغير الابنة الجو بـأي ثمن لمدة طويلة. فأين كان يمكن أن نرسلها، ولم يكن بالإمكان أن نذهب سويا، ففلاديمير مرتبط بعمله.

السيدة حرم نيكوليتش : (وكأنها مقتنعة) آه، أجل!

السيدة حرم جيفكوفيتش : هل تعرفين الغرض من وراء زيارتنا؟ لقد شكلنا مجلسا مـن السيـدات لجمـع التبرعات لضحـايـا الفيضـان في منطقة مورافا، واعتمدنـا عليك في أن تكوني أنت أيضا عضوا بهذا المجلس، وحضرنا في الحقيقـة لكي نعرض عليك ونناشدك أن توافقي.

يوفانكا : بكل سرور أيتها السيدتـان، سأعتبره شرفا لي أن أكون في نفـس الصحبـة معكما وفي نفـس مثـل هـذا العمـل النبيل.

السيدة حرم نيكوليتش : شكرا لك. إذن فنحن لم نخطىء في اعتمادنا عليك.

السيدة حرم جيفكوفيتش : تعرفين، أنها فكرتي بـأن نشكل مجلسا لأنني اعتقـد أننا نحن النساء اللاتي يتميزن بطيبة القلب، مدعوات أكثر من أي أحد آخر لأن نقدم العون في مثل هذه الظروف، سنجمـع التبرعـات ومـن المحتمـل أن نقيـم حفلـة موسيقية، سنقرر أمرهـا في الجلسة الأولى. واعتقد أننا سننجح.

يوفانكا : أوه، بلا شك.

السيدة حرم نيكوليتش : ويضـم المجلس الممتـازات من السيـدات (تبحث عـن المفكـرة في حقيبتهـا) قـائمة الأسماء ليسـت مـوجـودة معي، إنها مع السيد ستانكوفيتش.

السيدة حرم جيفكوفيتش : أما.. السيد ستـانكوفيتش فقد ظهـر لأول مرة بمظهر عديم المجاملة.

يوفانكا : هل هو؟

السيدة حرم جيفكوفيتش : ولكن تصـوري ـ اخترناه سكرتيرا ـــ فهو كما تعلمين، معـروف لدى جميـع السيـدات وهـو غايـة في اللطـف والمجاملة، وقائمة الأسماء موجودة معه، واليوم حينما كان ينبغـي أن يرافقنا هرب منـا ويذهب مـن منزل إلى آخر ويقوم بزيارات.. لن نغفر له هذا.

يوفانكا : إنكما تعرفـان طبيعته، ولذا لابد أن تغفـرا له، وربما في حين من الأحيان قام بتسليتكما بخبر جديد.

السيلةحرم نيكوليتش : هذا صحيح، ولكنـه اليوم بالذات فاجأنـا بخبر سعدنا غاية السعادة بسماعه، لأننا أزلنـا رأيا خاطئا عنك أنت شخصيا ياسيدتي، وهذا يبهجنا أشد البهجة.

يوفانكا : (تتنهد) عني؟

السيلة حرم جيفكوفيتش : أجل، عنك ياسيدتي. تصوري فقط حقد الناس، إنهم يريدون إلقاء الذنب على الشخص الذي يتألم.

يوفانكا : لا أفهمك.

السيلة حرم نيكوليتش : أوه، إنـك تخفين يـاسيدتي، وهـذا في النهـايـة تصرف حسن من جانبك، وهذا واجبـك، ولكن صدقينا بأن هذه المسألة تحيرنا. فالناس في غاية السهولة وسوء النية والحقد، يلقون على الفور بتبعيـة أي خلاف في الزواج على عاتق المرأة.

يوفانكا : أوه، ياسيدتي، أرجوك ألا تتحدثي عن ذلك.

السيلة حرم جيفكوفيتش : أجـل، لنتوقـف عن الحديـث، فهـذه الأحاديـث غير سارة. ولكننا مع ذلـك نرجوك أن تتقبلي هذه الكلمات القليلة بـاعتبارهـا كلمات ودية. لو عـرفت كيـف كان الناس بكل سرور يغتابونك في الآونة الأخيرة لا تضح لـك سبـب استقبـالنـا بسرور بـالـغ لخبر السيـد ستانكوفيتش.

يوفانكا : (تبين بتعبيرات وجههـا إنها غير راضيـة عـن الحديـث كله) ومتى ستنعقد الجلسة الأولى لهذا المجلس؟.

السيدة حرم نيكوليتش : سنبلغــك بـذلــك، وبمجــرد أن تعطـي السيــدات المختارات موافقتهن ستتم الدعوة لعقد الجلسة.

السيدة حرم جيفكوفيتش : (وهـي تنهــض) والآن اسمحـي لنـا يـاحبيبتــي بـأن نذهب..

يوفانكا : ولكن..

السيدة حرم نيكوليتش : لا، لا، لابد بالله عليك أن نذهب، فلدينا العديد من الـزيـارات للقيـام بها حتــى أن اليـوم الحالي سيكفينـا بصعوبة. إلى اللقاء ياسيدتي! (يتصافحن).

يوفانكا : يؤسفني أنكما لم تبقيا إلا قليلا.

السيدة حرم نيكوليتش : من الآن سنلتقي كثيرا. إلى اللقاء ياسيدتي!

يوفانكا : (ترافقهما حتى الباب) إلى اللقاء.. شكرا.

المنظر الثاني عشر

يوفانكا ويوفان وماريا

يوفانكا : (بمفردها، تجلس وهي متعبة على الأريكة وتستغرق في التفكير)

يوفان وماريا : (يدخلان معا ولكن القلق مرتسم على وجهيهما وكأنهما عرفا خبرا غير سار).

يوفان : يوفانكا، ماذا تفعلين، كيف حالك؟

ماريا : (بكل لطف) كيف حالك يايوفانكا؟

يوفانكا : (في برود) مـا الذي جاء بكما؟ منـذ شهر لم تجتـازا عتبة منزلنا، وقبل ذلك كنتما تحضران كل يوم.

يوفان : من قبل، قبـل ذلك كانت أولجيتسا موجـودة هنا وكنا نحب أن نراها.

ماريا : حقيقة، كيف حال الابنة هناك؟

يوفان : هل يكتب لك أحد عنها من هناك؟

يوفانكا : لا أعلم، ربما حصل فلاديمير على إحـدى الرسائل. لم يقل لي.

يوفان : وأين فلاديمير هذا؟

المنظر الثالث عشر

فلاديمير وشخصيات المنظر السابق

فلاديمير : (يظهر على الباب) إنني هنا. ما الذي جاء بكما إلينا؟

يوفان : (في جفاف) هكذا، حضرنا. (يراعي ألا تراه السيدتان اللتان استغرقتا في الحديث فيتأبط ذراع أخيه وينتحى به جانبا محدثا إياه في سرية) تعرف أنني لم أشأ الحضور إلى منزلك بعد ذلك الأمر، وكلما كنت أسألك كنت تؤكد لي أنه ليس صحيحا مايقـوله الناس عن زوجتك، بينما كان الناس يؤكدون أنها الحقيقة.

فلاديمير : وأنت كنت تفضل تصديق الناس؟

يوفان : لا، ولكني أخوك، أي من أهل المنزل تقريبا، وأنا قبل أي شخص آخر كنت أول من لاحظ حياتكما السيئة و . . . ثم تأكدت من أنها حقيقة ولذا فقد انقطعت عن المجيء إلى منزلك. ولكن . . . قل لي بالله عليك، ماهو الأمر الآن؟

فلاديمير : أي أمر؟

يوفان : هذا الذي سمعته من ستانكوفيتش؟

فلاديمير : ما سمعته هو الحقيقة!

يوفان : وأنت فعلت ذلك يافلاديمير!

فلاديمير : (يهز كتفيه) ماذا تفعل؟

يوفان : ياللعار، ياللعار يافلاديمير! ياللعار، هذا فقط ما يمكنني قوله لك! (يشيح باحتقار برأسه عنه ويتجه صوب يوفانكا).

المنظر الرابع عشر

الدكتور وشخصيات المنظر السابق

الدكتور : نهاركم سعيد، وأنت هنا أيضا ياسيد يوفان؟

يوفانكا : (في فراغ صبر فظيع، تنظر إلى الدكتور وهي على وشك أن تصرخ)

يوفان : (وهو منحرف المزاج) ها أنا أيضا قد حضرت.

الدكتور : يافلاديمير، لدي خبر سيء لك.

يوفانكا : (تصيح) ماذا؟ تكلم.

الدكتور : لدي برقية من إحدى صديقاتي، وهي مدرسة بدار الحضانة الموجودة بها أولجيتسا، وأولجيتسا مريضة جدا!.

يوفانكا : (تصيح وتريد أن تسقط فتمسك بها ماريا ويوفان).

فلاديمير : أولجيتسا؟ تحدث.. تحدث!...

الدكتور : ليس لدي ما أقوله، واعتقد فقط أن تسافر في التو وأن تحضر هذه الابنة إلى هنا، لأنه لم يكن ينبغي إرسالها.

فلاديمير : أولجيتسا؟ أوه، ربي، ألا ترحمني؟ أجل، أجل، سأسافر على الفور في الحال.

الدكتور : انتظر حتى نتشاور.

فلاديمير : (يتوقف) بأسرع ما يمكن يادكتور، لابد أن أراها بأسرع مايمكن.

يوفانكا : يادكتور، كن لنا صديقا في هذه اللحظة أيضا، رافقه في السفر، سافر أنت أيضا.

الدكتور : ياسيدتي، هذا هو ما فكرت فيه من نفسي. (يذهب بسرعة مع فلاديمير).

يوفانكا : ياأولجيتسـا، يابنيتـي، هل تمرضين هنـاك، بعيدا عـن أمك، وعن قلب أمك ورعايتها. آه! (ترتمي، يسندها يوفان وماريا).

(ستار)

الفصل الرابع

نفس الحجرة. الكراسي غير منظمة. يـوجد على المنضدة مصباح اشتعل طوال ليلة أمس، وينتشر على المنضدة الكثير مـن زجاجات الأدوية وأقداح القهوة وغيرها. وعلى الأريكة يوجد معطفان أو ثلاثة وأشياء أخرى مما يدل على أنه لم يتم منذ يومين أو ثلاثة ترتيب الحجرة.

المنظر الأول

فلاديمير وكاتيتسا

كاتيتسا : (حينما ترتفـع الستار تكون موجـودة على خشبة المسرح وهي تعصر ليمونا لكي تعد عصير الليمون).

فلاديمير : (يقف عند الباب الأيسر وهو يحمل بيان الأدوية في يده وقد ظهـر عليه الأرق والقلق وكبر السـن). ياكـاتيتسا اتـركـي هـذا (يقترب مـن المنضـدة حيـث تعـد عصير الليمون)، سأنهي هذا! اذهبي بسرعة إلى الصيدلية بهذا البيان بالأدوية. اذهبي بسرعة! (يـأخذ من يدها ويعد بنفسه عصير الليمون)

كاتيتسا : لقد وضعت السكر.

فلاديمير : حسن.

كاتيتسا : (وهي ذاهبة) ومع ذلك، ذقه وتأكد من حلاوته.
(تنصرف).

المنظر الثاني

فلاديمير ثم ماريا

فلاديمير : (يحرك السكر بعض الوقت، ويتذوق بالملعقة مقدار حلاوته، يأخذ قطعة من السكر ويكسرها إلى نصفين ويترك النصف، يواصل تحريك السكر ثم يتوقف).
لا، لا، الطبيب لن يقول لنا بصراحة، إنه يخدعنا...
الحالة خطيرة... خطيرة للغاية. فلماذا لا يقول لي، أليس من الأفضل أن يجعلني مستعدا؟ ربي، يالها من فكرة فظيعة.. أن يجعلني مستعدا! أوه، كم سيكون هذا فظيعا، أولجيتسا، حبيبتي أولجيتسا! (يبكي).

ماريا : (وهي على الباب) حسن، ماذا تم في عصير الليمون هذا؟ وأين كاتيتسا؟.

فلاديمير : أرسلتها إلى الصيدلية، ولكن هاهو عصير الليمون قد انتهى إعداده (يعطيه لها) كيف الحال؟

ماريا : هكذا... كما كان.

فلاديمير : وماذا قال الطبيب؟

ماريا : قال ماقاله لك.

فلاديمير : أجل.. اسمعي يازوجة أخي، قولي للطبيب أن يحضر إلى هنا.

ماريا : حسن. (تنسحب).

المنظر الثالث

فلاديمير وستانكوفيتش

فلاديمير : (بعدما تنصرف ماريا، يجلس على الكرسي، يسند رأسه على يديه ويستغرق في التفكير، فترة صمت).

ستانكوفيتش : (يفتح الباب الأوسط ببطء ويختلس النظر فحسب) ياسيد فلاديمير!

فلاديمير : (يرفع رأسه) أهو أنت ياسيد ستانكوفيتش، تفضل.

ستانكوفيتش : لا، شكرا، لا أريد أن أزعجك لقد مررت فحسب لكي أسأل عن صحة أولجيتسا.

فلاديمير : أولجيتسا؟... شكرا لك ياسيد ستانكوفيتش... صحتها سيئة. مازال هناك، مازال لدي أمل، ولكن.. الحالة سيئة.

ستانكوفيتش : تحلى بالأمل، وكن صبورا. ومعذرة لأنني أزعجتك. إلى اللقاء!.

فلاديمير : شكرا لك ياستانكوفيتش، إلى اللقاء!

ستانكوفيتش : (ينصرف)

المنظر الرابع

فلاديمير ثم الدكتور

فلاديمير : (بمفرده) شكرا للأصدقاء، فجميعهم يهتمون بابنتي أوجيتسا.

الدكتور : (يأتي من الحجرة اليسرى) طلبتني يافلاديمير؟

فلاديمير : (ينهض على الفور ويمسك بيد الدكتور) كيف الحال؟

الدكتور : رويدا، فالابنة نائمة ولم أشأ أن ألمسها. انتظر حتى تستيقظ لكي أرى هل ستكون هناك أية تغيرات؟

فلاديمير : ولكنك مع ذلك تشك في الأمر؟

الدكتور : لقد قلت فحسب أن الحالة خطيرة. وإذا ساءت الحالة فسأقول لك. إذن كن هادئا.

فلاديمير : وهل هناك أمل، ولو قبس من الأمل؟

الدكتور : إنني انتظر إحضار هذا الدواء الجديد، وسأجربه، إنني لم أستخدمه بعد، لأنه . . ولكن سأحاول، ربما سيقدر على المساعدة.

فلاديمير : ربما؟!

المنظر الخامس

كاتيتسا وشخصيات المنظر السابق

كاتيتسا : (تأتي من الخارج بالدواء) هاهو ياسيدي.

الدكتور : (يأخذ الدواء ويتفحصه في تجاه الضوء) أجل، افتحيه ياكاتيتسا، وأعدي لي ملعقة نظيفة وأبلغيني حينما تستيقظ الطفلة.

كاتيتسا : مفهوم. (تحمل الدواء إلى الحجرة).

الدكتور : لا تجعل الخوف يتملكك. لا تفكر في هذا الأمر فحسب، التفت، ولنتكلم في أي موضوع آخر، (يخرج علبة السجائر) خذ سيجارة (يشعل سيجارة هو الآخر). . هل قرأت صحف اليوم؟

فلاديمير : لا أقرأ الصحف منذ ثلاثة أيام.

كاتيتسا : (تمر عبر خشبة المسرح وهي تحمل طبقا كبيرا به ثلج وتذهب إلى الخارج).

الدكتور : اسمع، لقد نفذت ذلك الأمر الخاص بالرسالة منذ ثمانية أيام بأحسن إخراج بحيث إنني بضمير هادىء يمكنني أن أوظفك مخرجا في أحد المسارح.

فلاديمير : (يلوح بيده وكأنه يريد أن يقول إنه لم يعد يفكر في هذه الأمور).

الدكتور : لقد استخدمت ستانكوفيتش بمهارة، وهو أشاع وأذاع في المدينة كلها أخبارا فى غاية العجب بحيث إنك تعتبر في جميع الجهات أسوأ الأشخاص خلقا، وهم يحتقرونك تقريبا.

فلاديمير : لا يهمني ولست آسفا، ولكن فقط هذه الطفلة.. التي من أجلها صنعت كل هذا، لو تم إنقاذها، ياربي، لقد ظننت أن أعظم ألم كان حينما تأكدت من خيانتها، أما هذا.. هذا الآن؟

الدكتور : قلت لك، لا تجعل الخوف يتملكك، انتظر حتى تستيقظ الابنة، وعندئذ سنرى.

فلاديمير : سنرى.. سنرى عندئذ.

الدكتور : اسمع، لقد انطفأت سيجارتك (يشعل له) لنواصل حديثنا. تصور فحسب، ستانكوفيتش هذا المتهور نجح نجاحا كبيرا في أن يشيع القصة عن رسالتك حتى أن الصحف أيضا تكتب عن ذلك (يخرج الصحيفة من جيبه).

فلاديمير : الصحف؟

الدكتور : هل تتملكك الدهشة؟ إن صحفنا تفضل كثيرا الاهتمام بالأمور العائلية. (يعطيه إياها) اقرأ.

كاتيتسا : (تعود من الخارج وهي تحمل طبق الثلج وتمر عبر خشبة المسرح وتذهب إلى الحجرة في اليسار).

الدكتور : الصحف توبخك وتصفك بأنك رجل سيء الأخلاق، نسي أنه أب، هجر وحطم امرأة شريفة ورائعة للغاية.

فلاديمير : (في ألم) امرأة شريفة! (يستغرق في التفكير ويترك الصحيفة التي أخذها من الدكتور ولم يفتحها).

المنظر السادس

يوفانكا وشخصيات المنظر السابق

يوفانكا : (يبدو عليها الأرق والإجهاد) يادكتور، لقد استيقظت أولجيتسا.

فلاديمير : استيقظت؟ (يهب واقفا) يادكتـور، سيمكنك أن تقول لي الآن.

الدكتور : حسـن، كن صبـورا. (يذهـب إلى الحجرة، وفي إثـره فلاديمير).

المنظر السابع

يوفانكا (بمفردها)

يوفانكا : (بعـد أن تتركهما يمران تـرتمي على الأريكة وتنفجـر في بكاء عنيف. ثم تتمالك نفسها، وترفع يديها وتتوجه إلى السماء وهي تهمس في سريرتها بدعاء حار).

المنظر الثامن

ماريا ويوفانكا

ماريا : (تدخل من اليسار بهدوء) يايوفانكا، أنت تبتهلين لله؟

يوفانكا : (تظل في نفس الوضع ولا ترفع رأسها)

ماريا : ليكن يـايوفانكا، امنحهـا الصحة يارب! (ترسـم هي الأخرى علامة الصليب)

يوفانكا : (ترفع رأسها بسرعة)ماذا يقول الطبيب؟

ماريا : إنه يواسينا.

يوفانكا : (تنهض) يواسينا فحسب ولا شيء أكثر من ذلك؟

ماريا : أجل، يقول: سيرى... وسيقول.

يوفانكا : (تمسك بيدها بشدة) وأنت ياماريا.. ماذا تقولين أنت؟، إنك أكبر سنا مني وأكثر خبرة، وتفهمين، قولي مارأيك؟

ماريا : (تتردد).

يوفانكا : أنت تخفين عينيك، تخشين أن أقرأ من عينيك ما لابد أن تقوليه لي. قولي، قولي، أرجوك.

ماريا : ولكن، ماذا أقول لك؟

يوفانكا : قولي لي الحقيقة، قولي لي تلك الحقيقة الفظيعة التي تواطأ الجميع لكي يخفوها عني حتى اللحظة الأخيرة.

ماريا : لا يمكن قول أي شيء، الحالة جادة وخطيرة، وسيئة للغاية، ولكن.. من يعلم غير الله.

يوفانكا : (تنفجر في بكاء شديد) أجل.. أجل.. هذا صحيح.. هذه هي الحقيقة الفظيعة التي أردت أن أعرفها (ترتمي على الكنبة).

المنظر التاسع

يوفان وشخصيات المنظر السابق

يوفان : (يـأتي مـن الخارج) حسـن، مـا الأمـر؟ كيـف حـال أولجيتسا؟

ماريا : هكذا، كما تركتها.

يوفان : ألا تزال نائمة؟

ماريا : استيقظت منذ قليل.

يوفان : أريد أن أراها (يتجه في هدوء).

ماريا : لا تذهب، ابق هنـا، فالـدكتور يقـوم بفحصها الآن، لا تزعجها، ابق.

يوفان : (يعـود، ويقترب من يـوفـانكـا) أنت تبكين يـازوجـة أخي!.

ماريا : أجل، فأنا قلقة على ابنتي.

يوفان : أوه، يـاأخـي، لا يعلـم المرء بمـن يهتـم أولا، بتلـك الطفلة البائسة أم بك أم بفلاديمير!.

يوفانكا : لا تهتم بنا، ساعدها إذا كان بإمكانك.

ماريا : اسمع يـايوفان، كـن إنسانـا، وكن جريئـا، إنك أكبر سنا، إنك الأخ. . . هذا الحال لا يمكن أن يمضي على هـذا النحو أكثـر مـن ذلـك، الطفلة تموت هنـاك. . . لاقدر اللـه. . . وهنا الأب والأم لا يتحـدثان. . . إذا كـانا يتمنيـان لها الحيـاة فليتمنيـاها لها معـا، وإذا كـان يحزنان من أجلها فليحزنا معا، وإذا كان يبكيان فليبكيا معا.

يوفان : حقا يازوجة أخي، استمعـي إلي، أنا لا أريد بك شراً، إنني أحبك. ماكان قد كان، لقد ارتكب فلاديمير خطأ فاحشـا نحوك، اعترف بهذا وإن كنـت أخاه، هـا أنذا أعترف بهذا، ولكـن على الأقـل الآن، في مثـل هـذه اللحظة بينما ابنتكما ترقد على فراش الموت، اغفري له، انسي ماكان، سامحيه وتصالحا، أطيعي نصيحتي.

ماريا : حقا، افعلي ذلـك، سامحيـه، إنه يعترف بخطئـه الذي ارتكبه نحوك. لقد نسي نفسه وارتكب ذلك ولن يفعله بعـد ذلك. . ولكـن الآن، صـدقيني سيسهـل عليكما تحمل هذا الحزن وهذا الألم.

يوفانكا : (تتنهد بشدة) أوه، ربي!.

ماريا : لا تكوني قاسية القلب هكذا، فلترق قلبك هذه المحنة على الأقل.

يوفانكا : أنا . . هل أنا قاسية القلب؟ . . هو، هو، قل له، أو لا، لا تفعل . . لا تقل له شيئا . . دعه .

يوفان : لن أدعه، أريد أن تقفا بجانب فراش ابنتكما كوالدين وكزوجين. اسمعي يايوفانكا، اعطني وعدا بأنك ستسامحيه، وأنا ذاهب لكي أحضره وتتصالحان (يتجه للخروج).

يوفانكا : لا . . لا . . . بربك . . لا استطيع أن أسامحه! (لنفسها) أوه، ياربي، ياربي، بالقدرتك الفظيعة في أن تعاقب أولئك الذين يخطئون في حقك .

المنظر العاشر

فلاديمير والدكتور وشخصيات المنظر السابق

فلاديمير : (يجذب الدكتور من يده) تعال، قل . . . (ينظر إلى عينيه مباشرة)

الدكتور : ماذا تفعل بالله عليك، كن صبورا .

فلاديمير : لا تريد أن تقول أمام الجميع، أعرف أنك لا تريد أن تقول شيئا أمام الجميع . اذهبوا، اذهبوا جميعا إلى هناك بالداخل، الطفلة بمفردها، وليس هناك إلا كاتيتسا . . اذهبوا إلى هناك . (ماريا ويوفانكا تنصرفان) .

المنظر الحادي عشر

فلاديمير والدكتور ويوفان

يوفان : يافلاديمير، كن إنسانا.

فلاديمير : (يرتمي على صدره وهو يبكي) ياأخي، ياشقيقي، ياصديقي!.

يوفان : (ينفجر في البكاء هو الآخر) حسن، حسن.. لنكن بشراً. هذا ليس بالأمر الخطير بهذا الشكل، أليس كذلك يادكتور، هذا ليس خطيرا بهذا الشكل.

الدكتور : ربي، لا يلزم أن يكون خطيرا ذلك الذي يرفع الأطباء أيديهم عنه. وأنا لم أقل بعد كلمتي الأخيرة، وإذا حدث أي شيء فسأكون صادقا على الأقل مع صديقي فلاديمير، سأكون صادقا.

فلاديمير : (يشد على يده) شكرا لك.. أعلم أنك ستكون صادقا.. سيقول لي.. اذهب أنت أيضا يايوفان إلى هناك (يجلس على الكرسي ويسند رأسه على المكتب).

يوفان : (وهو يتجه للخروج، مخاطبا الدكتور بصوت خافت) أريد أن أتحدث معك.

الدكتور : عن مرض الطفلة؟

يوفان : أجل، وعن هـذا أريد أن أسألك بصراحـة. ولكن. . اعتقد أنـه في هذه المصيبة مـن المفيد أن نفعـل شيئا على الأقل.

الدكتور : شيئا. . وماهو؟

يوفان : هو أن نصالحهما.

الدكتور : من؟

يوفان : هما. مامعنى هــذا؟ الطفلة تحتضر هناك والأب والأم لا يتكلمان معا؟

الدكتور : حقا ليس له معنى، ولكني لا أرى ماذا يمكن عمله؟

يوفان : لقد صنعت بـالفعل ما ينبغي عملـه، ولكن عليك أن تساعدني أنت أيضا.

الدكتور : صنعت ما ينبغي عمله؟ وماذا صنعت؟

يوفان : رجوتها. رجوتها أن تسامحه..

الدكتور : أن تسامحه هي؟

يوفان : أجل، باللـه عـليك، فالذنب فظيع وأنـا بصفتي أخوه لا يمكنني أن أسامحه. . بسهولـة. ولكن. . . ها أنت تراه كيف يتمزق، والدليل هو حبه الشديد لابنته.

الدكتور : أجل، أجل، معك حق. . ولكن بماذا يمكنني هنا أن أساعد؟.

يوفان : أن تحدثها أنت أيضا، مع أن هذه المحنة قضت عليها فرغم ذلك يبدو أنه لا يمكنها أن تتنازل، ولا يمكنها أن تسامحه.

الدكتور : ياصاحبي السيد يوفان الطيب، حقا لا يمكنها أن تسامحه.

يوفان : أفهم. . تريد أن تقول إنه أخطأ خطأ فظيعا.

الدكتور : أجل، هذا هو ما أردت أن أقوله في الواقع.

يوفان : ولكني مع ذلك سألح عليها وسأدفعها لذلك.

الدكتور : دع هذه المرأة البائسة الآن. لا تفعل أرجوك، سأساعدك بكل سرور، ولكن لا تثر هذا الموضوع الآن. . اتركه للحين الذي أقول لك إنه الوقت المناسب.

يوفان : حسن يادكتور، كما تقول، إنك رجل عاقل، وسأطيعك.

الدكتور : أجل، والآن اتركنا بمفردنا، اذهب هناك إلى الحجرة.

يوفان : أتريد أن تحدثه عن هذا؟

الدكتور : أجل، عن هذا.

يوفان : جميل، جميـل، سأترككما. (يتجـه للخروج ثـم يعود) والحقيقة، قل لي على الأقل الحقيقـة، ما رأيك في حال الطفلة؟.

الدكتور : الطفلة؟ سأقول لك، ولكن. . لا تقل للنساء هناك.

يوفان : لا . . لا .

الدكتور : سأقول لـك الحقيقة. ليس هناك أمـل في إنقاذ الطفلة، فهي تعيش لحظاتها الأخيرة.

يوفان : (ينفجر في بكاء شديد).

الدكتور : ولكن، ماهذا؟ حسبت أنك أكثر برودا حينما بحت لك بهذا.

يوفان : سأهدأ. . ها أنذا قد هدأت.

الدكتور : ولكنـي أريد أهيـىء الـوالـدين لـلأمـر بـالتدريـج. . اذهب، اذهب من هنا حتى لا يلحظ أنك تبكي.

يوفان : (يتجه للخروج وهو يمسح دموعه).

الدكتور : (يمسك بكتـفه) ولكـن حـذار أن تبكي هنـاك، حتى لا تلحظ هي. . . أمها. . .

يوفان : لا ، سأضبط نفسي (يتوقف أمام الباب ويمسح دموعه ويتمالك نفسه ويذهب إلى الداخل).

المنظر الثاني عشر

الدكتور وفلاديمير وكاتيتسا

. الدكتور : (وهو يقترب من المكتب الصغير ويشعل سيجارة).

فلاديمير : (بعد فترة صمت يرفع رأسه) هل نحن بمفردنا؟

الدكتور : أجل، بمفردنا.

فلاديمير : إنني أشعر بخوف شديد من أن أسألك، ولكن قل لي، أرجوك، قل لي بصراحة.

الدكتور : انتظر، اصبر حتى أعطي بعض التعليمات (يقترب من الباب الأيسر). ياكاتيتسا! (يستدعيها بأصبعه). تعالي هنا.

كاتيتسا : (تظهر على الباب).

الدكتور : يبدو لي أنني قد تركت زجاجة ذلك الدواء مفتوحة. أغلقيها.

كاتيتسا : أجل.. أغلقتها.

الدكتور : هل لديك ثلج؟.

كاتيتسا : لقد ذاب.

الدكتور : خذي ثلجا آخر . . وضعي الثلج باستمرار .

كاتيتسا : مفهوم . (تنسحب إلى الحجرة) .

الدكتور : ماذا كنت تريد؟

فلاديمير : ماذا كنت أريد . . أوه ، لو استطعت أن تقول لي مايجب أن تقوله لي .

كاتيتسا : (تمر عبر خشبة المسرح وهي تحمل طبق الثلج) .

الدكتور : (بعد أن تابع ببصره كاتيتسا) يافلاديمير ، ياصديقي! (يضغط على يده ، ويخفي عينيه) .

فلاديمير : انتظر! (يتمالك نفسه) أو أجل ، قل ، ينبغي أن أسمع الحقيقة ، لابد أن أسمع الحقيقة .

الدكتور : (يتعذب) ماذا لدي أن أقوله لك . . إن حالة الطفلة سيئة ، سيئة للغاية .

فلاديمير : أعرف هذا .

الدكتور : (وهو يرتجف هو الآخر) لقد فعلت ماكان بإمكاني عمله كطبيب و . . قد أنهيت واجبي كطبيب . . والآن أترك الله يفعل مايشاء . . إنه رحيم يافلاديمير .

فلاديمير : رحيم؟ . . أوه ، لا ، لا! . . هل يعرف هو ، هل تعرف أنت ، ماذا تعني هذه الطفلة بالنسبة لي! أجل ، أنت تعرف ، أنت تدرك إذن أية هاوية أقف أمامها ، وأنت

تدرك أي انهيار سيحدث لي إذا مافقدت هذه الطفلة، أنت تعلم أن حبي لهذه الطفلة هو شرطي الوحيد للحياة، وأنها الصلة الوحيدة التي تربطني بهذا العالم، وأن هذه الطفلة هي أساس هذا المنزل.. أنت تعرف، وأنت تدرك، فقل لي بنفسك، أليس هذا موقفا فظيعا وعسيرا ومؤلما؟ وإذا ما حدث ذلك الذي نتوقعه جميعا في خوف، ماذا سيحدث إذن؟ إنني أبحث باستمرار عن الصورة التي أرسم لك بها موقفي هذا، ولا استطيع العثور عليها. إنني أشبه، أمام نفسي، بالرحالة الذي يسافر في صحراء رملية شاسعة، وهو عطشان، مثلما أنا متعطش للسعادة، ويخال له أن هناك في أحد الأماكن على البعد واحة خضراء تلوح في ظلالها ينابيع باردة، وهو يهرع إليها لكي يطفىء ظمأه، وعندما يصل لا يجد إلا سرابا، لقد ابتعد ثانية لمسافة نائية. أولا... إنني وسط بحر واسع متلاطم لا شواطىء له، وأنا في عرض البحر ولا أرى الشاطىء، وكل الأماكن قفر، والأفق بعيد، والأمواج تلاطمني، وتحطم قاربي، وتكسر مجدافي، وتسلب مني الأمل في أن أهتف في أي وقت من الأوقات قائلا: الأرض!.. أرض الهدوء والاطمئنان والسعادة! أجل ياصديقي، هذا هو المكان الذي أتواجد فيه، إنه عرض البحر!... (يرتمي على الكرسي وهو منهمك ويحني رأسه).

الدكتور : (يشاركه انفعاله، ولكنه يتمالك نفسه) يافلاديمير، تمالك نفسك.. إنك رجل.. وواجبك أن تتحمل الآلام أيضا.. أرجوك، تمالك نفسك (يتجه إلى الحجرة).

فلاديمير : إلى أين أنت ذاهب؟

الدكتور : لابد أن أهيىء الأم أيضا.

فلاديمير : أجل... اذهب...

المنظر الثالث عشر

فلاديمير وكاتيتسا

كاتيتسا : (تعود من الخارج وهي تحمل الثلج).

فلاديمير : (في ألم) ياكاتيتسا، اذهبي، اذهبي هناك إلى الحجرة، ولا تبتعدي عن السرير، حافظي على أولجيتسا، حافظوا عليها كلكم!

كاتيتسا : (تدمع عيناها وتنصرف).

فلاديمير : (يلتفت حوله) هل أنا بمفردي؟ أوه، لكي أبكي بقدر مايمكنني (يبكي بحرارة، ويأخذ من على المكتب صورة في إطار ويشتد بكاؤه وهو ينظر إليها). يابنيتي، ياعيني الجميلتين، يافمي الذي كان يتعلثم بعذوبة...

المنظر الرابع عشر

ماريا ويوفانكا وشخصيات المنظر السابق

ماريا : (تحتضن يوفانكا التي أغمي عليها تقريبا لأن الدكتور أبلغها) تعالي اجلسي هنا.

يوفانكا : (تتمالك نفسها، ثم مخاطبة فلاديمير) هل قال لك الطبيب؟

فلاديمير : ماذا؟

يوفانكا : إنه لا يوجد أي أمل.

فلاديمير : قال لي.

ماريا : كونا شجاعين، يافلاديمير، تمالك أنت نفسك، كن بجانب يوفانكا، لابد أن أذهب إلى هناك (تذهب).

المنظر الخامس عشر

يوفانكا وفلاديمير

(فترة صمت. كل منهما جلس في مواجهة الآخر وهما ينتحبان بصوت خافت).

فلاديمير : (يـرفع رأسـه وينظر فترة طـويلة إلى يـوفانكـا، يوجـد صراع داخل نفسـه، وفي النهايـة يتخذ قـراره وينهض ويتحـدث بصـوت خـافـت وبحيـاء ولكـن بحـرارة) يوفانكا!.

يوفانكا : (ترفع رأسها في دهشة، ويتوهج وجهها لحظة بالسعادة وتنظر إلى عيني فلاديمير لكي تتيقن من الحقيقة).

فلاديمير : تعالي ندعو الله معا من أجل ابنتنا.

يوفانكا : (تقترب منه في اندهاش) يافلاديمير... هل سامحتني؟

فلاديمير : أسامحك يايوفانكا.

يوفانكا : (تهرول إلى حضنه وهي تطلق صيحة، تسند رأسها على كتفه وتبكي بمرارة).

فلاديمير : ربما هذا الصفح سيمنحنا القوة على أن نتحمل الصدمة سويا. أسامحك، ياربي، أسامح العالم كله.

يوفانكا : يالقلبـك الكبير يافلاديمير! حقـا هذا الصفـح أراحني وأعطاني قـوى جديدة ومنحنـي الثقة. إننـي ذاهبة إلى هنـاك لكـي أنفـخ من أنفـاس سعـادتي في ابنتـي التـي تحتضر.. سأساعدها، سأساعدها!...

المنظر السادس عشر

فلاديمير، ثم الدكتور

فلاديمير : (بمفرده) ياربي، كن أنت أيضا رحيما! ابنتي أوجيتسا ينبغي أن تعيش الآن، سيجتمع حولها الآن الوالدان وسيعيش ثلاثتها في هدوء وسعادة كما يرضيك يارب! (يصيخ السمع) هل هي تتأوه؟ . . . لا، لقد تهيأ لي . . لماذا يسود هناك الهدوء، الهدوء التام؟ (يتجه إلى الحجرة هناك).

الدكتور : (يظهر على الباب ويمنعه بيديه من الدخول).

فلاديمير : لكي أراها؟

الدكتور : لا، أرجوك . . فيما بعد!

فلاديمير : ولكن لماذا؟

الدكتور : جاءت الأزمة، وهي تصارع. لا ينبغي أن نزعجها.

فلاديمير : (يمسك يده في تشنج) هل هو صراع الموت؟

الدكتور : من يعلم . . الله كبير . . لنتمسك بالأمل حتى آخر لحظة (ينسحب).

المنظر السابع عشر

فلاديمير، ثم الساعي

فلاديمير : (يتراجع وهو منهار، يستند على المكتب وينظر إلى الحجرة هناك منتظرا وقوع المأساة، ويبين ذلك بتعبيرات وجهه وحركاته)

الساعي : (يدخل من الخارج) معذرة، لا يوجد أحد بالخارج.

فلاديمير : (يطلب منه الهدوء بيديه حتى يتكلم بصوت خافت).

الساعي : رسالة.

فلاديمير : هات.. (يأخذ الرسالة، وينظر في عدم اكتراث إلى العنوان) حسن!

الساعي : لدي أوامر بأن أسلمها للسيدة في يدها.

فلاديمير : حسن، حسن، اذهب.

الساعي : (ينصرف).

المنظر الثامن عشر

فلاديمير (بمفرده)

فلاديمير : (يـذهب إلى البـاب الأيسر، وينظـر ويصيخ السمـع، يعـود ويجلس على المكتـب وينظـر إلى العنوان في عـدم اكتراث) إنها لها، من المؤكد أن أحـد الأشخاص يسأل عن صحـة أولجيتسا، أو يـواسيها، أو يـوصيها بـأحد الأدويـة . . (تخطر ببـاله هـذه الفكرة) مـن الممكن أنـه يوصيها بـأحد الأدوية . . كان هناك عدد مـن مثل هذه الرسائل . . (يفتـح في عصبية الرسالة يتملكـه الذهول حينما يلمح التوقيع) هو . . . الوزير! . . . (يهب واقفا ويثني الـرسالة ويلقـي بها ثم ينظـر بفزع إلى الرسـالة، يتردد ويمسك بها ويفتحهـا ثانيـة . . ويقرأ): «سيـدتي العزيـزة لم تقومـي بإبـلاغي على الإطـلاق عن صحـة أولجيتسـا، تعلمين أن صحتهـا تهمنـي كما تهمـك، وتعلمين مقدار حبي لهذه الطفلة، إنها الثمـرة الوحيدة لحبنـا القـديـم . . . (يسقـط الـرسـالـة وهـو منهـار ومطحون، يمسك بشعر رأسه ويـريد أن يصيح ويفتح فمه ولكن دون أن يصدر صوتـا. فترة صمت طويلة. في البداية صمـت مميت، ثم تسمع مـن الحجرة صيحة يوفـانكا. يظـل في نفس وضعه وقـد أصيب بـالصمم والخرس).

المنظر التاسع عشر

يوفانكا وفلاديمير

يوفانكا : (تهرول وشعرها متدل وهي تنتحب) يافلاديمير . . لقد فقدناها!

فلاديمير : (يظل صامتا وغير مبال وهو ينظر كالمتسمر في تلك الرسالة الملقاة أمامه على الأرض) .

يوفانكا : يافلاديمير . . ابنتنا ماتت .

فلاديمير : (على نفس الحال السابقة) .

يوفانكا : يافلاديمير! . .

فلاديمير : (على نفس الحالة السابقة) .

يوفانكا : (ترى أنه ينظر إلى رسالة) يافلاديمير . . ربما هذه الرسالة؟ (تأخذ الرسالة ، تقرؤها قراءة خاطفة ، تصيح صيحة فظيعة ثم ترتمي على الأرض ، تلف يديها حول قدميه ، وتسند جبهتها في ندم عليهما) .

(النهاية)

صدر من هذه السلسلة

العنوان	المؤلف
١ـ سمك عسير الهضم	تأليف : مانويل جاليتش
٢ ـ القبرة (جان دارك)	تأليف : جان انوي
٣ ـ البرج	تأليف : هال انوي
٤ ـ عاصفة الرعد	تأليف : تساويو
٥ ـ الخادم الأخرس ـ	تأليف : هارولد بنتر
التشكيلة أو عرض الأزياء	
٦ ـ الشيطانة البيضاء	تأليف : جون ويستر
٧ ـ الاسكندر المقدوني أو قصة مغامرة	تأليف : تيرانس راتيجان
٨ ـ سباق الملوك	تأليف : تيرانس راتيجان
٩ ـ استعدوا لركوب الطائرة وغيرها	تأليف : جون مورتيمر
١٠ ـ النيازك	تأليف : فريدريش دورينمات
١١ ـ دراما اللامعقول	تأليف : يونسكو ـ داموف ـ أرابال البي
١٢ ـ مس جوليا ـ الأب	تأليف : أوجست سترندبرج
١٣ ـ عطيل يعود	تأليف : نيقوس كازندزاكي
١٤ ـ أنشودة أنجولا	تأليف : بيتر فايس
١٥ ـ تواضعت فظفرت	تأليف : أوليفر جولد سميث
١٦ ـ مدرسة الزوجات ـ	تأليف : موليير
نقد مدرسة الزوجات ـ ارتجالية فرساي	
١٧ ـ عسكر ولصوص أونيد كيللي	تأليف : دوجلاس سيتوارت
١٨ ـ العين بالعين	تأليف : وليم شكسبير
١٩ ـ الطريق إلى دمشق ـ ثلاثية	تأليف : أوجست سترندبرج
٢٠ ـ ١٤ يوليو	تأليف : رومان رولان
٢١ ـ شجرة التوت	تأليف : انجس ويلسون
٢٢ ـ روس أولرانس العرب	تأليف : تيرانس راتجان
٢٣ ـ حلاق أشبيلية	تأليف : كارون دي بومارشيه
٢٤ ـ هاملت	تأليف : وليم شكسبير
٢٥ ـ الحياة الشخصية	تأليف : نويل كوارد
٢٦ ـ نساء تراخيس	تأليف : سوفوكل
٢٧ ـ رجل الله ـ القلوب النهمة	تأليف : جبرييل مارسل
٢٨ ـ ليلة ساهرة من ليالي الربيع	تأليف : انريكي خارديل بونثلا

٢٩ـ الأقوى ـ الرباط ـ الجرائم ـ موسيقى الشبح	تأليف : أوجست ستريندبرج
٣٠ـ اصطياد الشمس	تأليف : بيتر شافر
٣١ـ حكاية فاسكو ـ السيد نويل	تأليف : جورج شحادة
٣٢ـ انتصار حورس	تأليف : هـ. و. فيرمان
٣٣ـ بيوت الأرامل ـ العابث	تأليف : جورج برنارد شو
٣٤ـ ثلاث مسرحيات طليعية ـ قرافة السيارات ـ فاندو وليز ـ الشجرة المقدسة	تأليف : فرناندو أرابال
٣٥ـ أوديب الملك ـ أوديب في كولون ـ اليكترا	تأليف : سوفوكل
٣٦ـ اليكترا ـ لن تقع حرب طروادة	تأليف : جان جيرودو
٣٧ـ المغنية الصلعاء ـ الدرس ـ جاك أو الامتثال ـ المستقبل في البيض ـ الكراسي	تأليف : يوجين يونسكو
٣٨ ـ مسرحيات إذاعية	تأليف : كويل تشيرشل ـ شارب مانج
٣٩ـ روما لم تعد في روما ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)	تأليف : جبرييل مارسل
٤٠ ـ شيطان الغابة ـ الخال فانيا	تأليف : أنطون تشيخوف
٤١ ـ مهاجر بريسبان ـ البنفسج	تأليف : جورج شحادة
٤٢ ـ ديانا والمثال ـ الحياة عطاء ـ لذة الأمانة	تأليف : لويجي بيرندلو
٤٣ ـ ستيفن «د» ـ منفيون	تأليف : جيمس جويس
٤٤ ـ الغرماء ـ الأميرة البيضاء ـ عيد الفصح	تأليف : أوجست ستريندبرج
٤٥ ـ أنتيجونه ـ أجاكس ـ فيلوكتيت	تأليف : سوفوكل
٤٦ ـ سدوم وعمورة ـ مجنونة شايو	تأليف : جان جيرودو
٤٧ ـ ضحايا الواجب ـ مرتجلة الما ـ سفاح بلا كراء	تأليف : يوجين يونسكو
٤٨ ـ طريق القمة ـ العالم المكسور	تأليف : جبرييل مارسل
٤٩ ـ الحلم الأمريكي ـ الطابعان على الآلة	تأليف : البي شيزجال
٥٠ ـ الأرض كروية	تأليف : أرمان سالاكرو
٥١ ـ السلاح والإنسان ـ كانديدا ـ رجل المقادير	تأليف : جورج برنارد شو
٥٢ ـ الحارس	تأليف : هارولد بنتر

٥٣ ـ ابن أمية أو ثورة المورسكيين	تأليف: مارتنيس دي لاروزا
٥٤ ـ مأساة كريولانس	تأليف: وليم شكسبير
٥٥ ـ القصة المزدوجة للدكتور بالمي	تأليف: أنطونيو بويرو بايخو
٥٦ ـ الكترا ـ أورستيس	تأليف: يوربيديس
٥٧ ـ هرناني	تأليف: فيكتور هيجو
٥٨ ـ المستنيرون	تأليف: ليو تولستوي
٥٩ ـ سجاناريل ـ المتحذلقات المضحكات ـ مدرسة الأزواج ـ الطبيب الطائر ـ غيرة الباربوييه	تأليف: موليير
٦٠ ـ الطريق إلى روما	تأليف: روبرت شيروود
٦١ ـ المهرجون ـ قصة فلادلفيا	تأليف: فيليب باري
٦٢ ـ قصة حياة	تأليف: ماكس فريش
٦٣ ـ أوبرا الصعلوك	تأليف: جون جي
٦٤ ـ الابن الطبيعي	تأليف: دنيس ديدرو
٦٥ ـ رقصة الموت ـ الطريق الكبير	تأليف: أوجست سترندبرج
٦٦ ـ أيام العمر ـ سكان الكهف	تأليف: وليم ساروبان
٦٧ ـ العارض ـ بيرينيس المصرية	تأليف: أندريه شديد
٦٨ ـ المعصرة ـ أداء الأدوار ـ أبوزهرة بفمه	تأليف: لويجي بيرندلو
٦٩ ـ حالة طوارىء	تأليف: ألبير كامي
٧٠ ـ حياة جالليو ـ طبول في الليل	تأليف: برتولت برشت
٧١ ـ غرفة المعيشة	تأليف: جراهام جرين
٧٢ ـ المستأجر الجديد ـ اللوحة ـ الترتيت	تأليف: يوجين يونسكو
٧٣ ـ السفر ـ سهرة الأمثال	تأليف: جورج شحادة
٧٤ ـ نجوناً بأعجوبة	تأليف: ثورنتون وايلدو
٧٥ ـ تلميذ الشيطان ـ هداية القبطان براسباوند	تأليف: جورج برنارد شو
٧٦ ـ الملك لير	تأليف: وليم شكسبير
٧٧ ـ الطريق	تأليف: وول شوينكا
٧٨ ـ عزيزي مارات المسكين	تأليف: إلكسي أربورف
٧٩ ـ زفاف زبيدة	تأليف: هوجو فون هومانزتال
٨٠ ـ مياه بابل ـ رقصة العريف	تأليف: جون آردن
٨١ ـ روبسبير	تأليف: رومان رولان
٨٢ ـ أوديب	تأليف: سنكا
٨٣ ـ ظمأ ـ عبودية ـ ضباب ـ مبحرون شرقاً إلى كارديف ـ في المنطقة ـ بدر على البحر الكاريبي	تأليف: يوجين اونيل

العنوان	المؤلف
٨٤ ـ فرسان المائدة المستديرة ـ الآباء الأشقياء	تأليف: جان كوكتو
٨٥ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ـ الممر المضيء	تأليف: تيرانس راتيجان
٨٦ ـ العرس الدموي	تأليف: فديريكو غرسيا لوركا
٨٧ ـ الحياة حلم	كالدرون دي لاباركا
٨٨ ـ يوليوس قيصر	تأليف: وليم شكسبير
٨٩ ـ الفينيقيات ـ المستجيرات	تأليف: يوريبيديس
٩٠ ـ لكل عالم هفوة	تأليف: الكسندر استروفسكي
٩١ ـ ظل الوادي ـ الراكبون إلى البحر ـ زفاف السمكري ـ بئر القديسين	تأليف: جون ميلنجتون سنج
٩٢ ـ فتى الغرب المدلل ـ ديردرا فتاة الأحزان ـ عندما غاب القمر	تأليف: جون ميلنجتون سنج
٩٣ ـ كلهم أبنائي ـ الثمن	تأليف: آرثر ميللر
٩٤ ـ أوبرا القروش الثلاثة ـ لوكولوس ـ بعل	تأليف: برتولت برشت
٩٥ ـ تيمون الأثيني	تأليف: وليم شكسبير
٩٦ ـ خادم سيدين	تأليف: كارلو جولدوني
٩٧ ـ رحلة السيد بريشون	تأليف: أوجين لابيش
٩٨ ـ فتاة في سن الزواج ـ مشاجرة رباعية ـ تحريف ثنائي ـ الثغرة ـ لعبة الموت	تأليف: يوجين يونسكو
٩٩ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ـ كل شيخ له طريقة ـ الليلة نرتجل	تأليف: لويجي بيرندلو
١٠٠ ـ انتحار الحبيبين في سونيزاكي ـ معارك كوكسينجا	تأليف: تشيكا ماتسبو
١٠١ ـ وراء الأفق ـ أنا كريستي	تأليف: يوجين أونيل
١٠٢ ـ الحرية المغلوبة ـ صعود البطل	تأليف: جون آردن
١٠٣ ـ مأساة عطيل	تأليف: وليم شكسبير
١٠٤ ـ الطلبة المشاغبون ـ قبل يوم الاثنين الموعود ـ الليلة يوم الجمعة	تأليف: جانز كوبر ـ كولين فينيو
١٠٥ ـ حرم سعادة الوزير ـ الدكتور	تأليف: برانيسلاف نوشيتش
١٠٦ ـ القمر في النهر الأصفر	تأليف: دنيس جونستون
١٠٧ ـ بينما تسطع الشمس ـ المهرجون	تأليف: تيرانس راتيجان
١٠٨ ـ الحصان المغمى عليه ـ الشوكة	تأليف: فرانسواز ساجان
١٠٩ ـ الصنوبرة المجتثة ـ إنتحار الحبيبين في اميجيا	تأليف: تشيكاماتسو

١١٠ ـ الأم الشجاعة ـ السيد بنتلا وخادمه ماتي	تأليف : برتولت برشت
١١١ ـ الغضب ـ الملك يموت ـ العطش والجوع	تأليف : يوجين يونسكو
١١٢ ـ العاصفة	تأليف : وليم شكسبير
١١٣ ـ هكذاالدنيا تسير	تأليف : وليم كونجريف
١١٤ ـ الدراما الثورية الإسبانية ـ فصيلة على طريق الموت ـ النطحة ـ الكمامة	تأليف : ألفونسو ساستري
١١٥ ـ مرحلة الواقعية الأولى ـ رغبة تحت شجر الدردار	تأليف : يوجين أونيل
١١٦ ـ الآلة الجهنمية	تأليف : جان كوكتو
١١٧ ـ جيتس فون برلشجن	تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
١١٨ ـ مأساة طيبة أو الشقيقان فيدر	تأليف : جان راسين
١١٩ ـ ليوكاديا	تأليف : جان انوي
١٢٠ ـ الشر يستطير ـ الصابرون	تأليف : جاك أوديبرتي
١٢١ ـ مضيفة النزلاء	تأليف : جاك أوديبرتي
١٢٢ ـ أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨	تأليف : بويرو باييغو
١٢٣ ـ حلم العقل	تأليف : بويرو باييغو
١٢٤ ـ مكبث	تأليف : وليم شكسبير
١٢٥ ـ القيثارة الحديدية	تأليف : جوزيف أوكنرو
١٢٦ ـ عائلتي ـ الأشباح	تأليف : ادواردو دي فيليبو
١٢٧ ـ الزملاء الثلاثة	تأليف : جيمس بروم لين
١٢٨ ـ ممثل الشعب	تأليف : برانيسلاف نوفيتس
١٢٩ ـ الناشزون	تأليف : آرثر ميللر
١٣٠ ـ العائلة ـ خيال مريض	تأليف : إيفان سرجيفتش ـ فوجنيف
١٣١ ـ الكرز المزهر	تأليف : رويرت بولت
١٣٢ ـ توركواتو تاسو	تأليف : يوهان فلفجانج جيته
١٣٣ ـ مشهد في الطريق	تأليف : المررايس
١٣٤ ـ حبا بحب	تأليف : وليم كونجريف
١٣٥ ـ تحيا الملكة	تأليف : رويرت بولت
١٣٦ ـ لورانز الشو	تأليف : الفريد دي موسيه
١٣٧ ـ الإمبراطور جونز ـ الغوريلا	تأليف : يوجين أونيل
١٣٨ ـ هرقل فوق جبل أويتا	تأليف : سينيكا

١٣٩ ـ دنيا زوال — تأليف: مورس هارت ـ جورج كوفمان
١٤٠ ـ ميليت ـ السيد — تأليف: لبير كورني
١٤١ ـ قفزة في الخلاء أو ـ العجوز المراهق — تأليف: دونا ماكونا
١٤٢ ـ المستر دولار — تأليف: برانسيلاف نوشيتس
١٤٣ ـ زوجة كريح — تأليف: جورج كيلي
١٤٤ ـ التطلع إلى المصيف ـ مغامرات المصيف ـ العودة من المصيف — تأليف: كارلو جولدوني
١٤٥ ـ اللصوص — تأليف: فريدرش شلر
١٤٦ ـ ثلاث قبعات كوبا — تأليف: ميجيل ميورا
١٤٧ ـ القلب المحطم — تأليف: جون فورد
١٤٨ ـ جريمة قتل في الكاتدرائية — تأليف: ت. س. إليوت
١٤٩ ـ حفل كوكتيل — تأليف: ت. س. إليوت
١٥٠ ـ نقيب كوبينيك — تأليف: كارل توكماير
١٥١ ـ الآلة الكبير براون — تأليف: يوجين أونيل
١٥٢ ـ مختارات من المسرح الافريقي
ـ الخادم — تأليف: فرديناند أويونو
ـ الزنزانة — تأليف: هارولد كمل
١٥٣ ـ شهر في القرية — تأليف: إيفان تورجينيف
١٥٤ ـ الجدة الأولى — تأليف: فرانس جريليا وتسر
١٥٥ ـ المرحوم — تأليف: برانيسلاف نوشيتس
١٥٦ ـ النمر والحصان — تأليف: روبرت بولت
١٥٧ ـ حملة الدكتوراه — تأليف: موريل سبارك
١٥٨ ـ فلهلم تل ١٨٠٤ — تأليف: فريدرش شلر
١٥٩ ـ عيد الميلاد في بيت كوبيللو — تأليف: ادواردو دي فيليبو
١٦٠ ـ إنسان روسوم الآلي — تأليف: كاريل تشابيك
١٦١ ـ أول من صنع الخمر ـ ليلة تبكي الملائكة — تأليف: تولستوي
١٦٢ ـ زواج لوترو هاديك — تأليف: بيتر ليرسوف
١٦٣ ـ سلطان الظلام — تأليف: جول رومان
١٦٤ ـ الأعزب — تأليف: إيفان تورجينيف
١٦٥ ـ الآنسة روزيتا العانس أو لغة الزهور — تأليف: فديريكو غريسيه لوركا
١٦٦ ـ افيجينيا في أوليس ـ افيجينيا في تاوريس — تأليف: يوربيديس
١٦٧ ـ أندرو ماخي ـ الطروادیات — تأليف: يوربيديس

١٦٨ـ سابفو — تأليف: فرانس جزيلبارتسر
١٦٩ ـ أصوات الأعماق — تأليف: إدواردو دي فيليبو
١٧٠ ـ أبوالهول الحي — تأليف: رجب تشوسيا
١٧١ ـ الريفية — تأليف: إيفان تورجينيف
١٧٢ ـ الآلة الحاسبة — تأليف: المرل. رايس
١٧٣ ـ الناسك الأسود — تأليف: جيمس نجوجي
ـ ولد للموت — تأليف: سام توليا موهيكا
ـ الخروج — تأليف: توم أومارا
١٧٤ ـ مصرع كاسبر هاوزر — تأليف: ديتر فورته
١٧٥ ـ الغابة — تأليف: الكسندر استروفسكي
١٧٦ ـ الدكتاتور — تأليف: جول رومان
١٧٧ ـ خاتمان من أجل سيدة — تأليف: أنطونيو جالا
١٧٨ ـ انحراف في قصر العدالة — تأليف: أوجويتي
١٧٩ ـ أغسطس من أجل الشعب — تأليف: نيجل دنيس
١٨٠ ـ عابدات باخوس — تأليف: يوريبيديس
١٨١ ـ ايون — تأليف: يوريبيديس
١٨٢ ـ هيبوليتوس — تأليف: يوريبيديس
١٨٣ ـ مارسيل بانيول — تأليف: طوباز
١٨٤ ـ عمود النار ـ الكلايدوسكوب ـ نفير الضباب — تأليف: راي برادبوري
١٨٥ ـ جريمة في جزيرة الماعز — تأليف: أوجويتي
١٨٦ ـ ميديا — تأليف: بيير كورني
١٨٧ ـ الفتى المذهب — تأليف: كليفوره أوديتس
١٨٨ ـ عصر الجليد — تأليف: تانكرد دورست
١٨٩ ـ الكذاب — تأليف: بيير كورني
١٩٠ ـ العدالة — تأليف: جون جولزود ذي
١٩١ ـ أوبو ملكا — تأليف: الفريد جاري
١٩٢ ـ أوبو عبدا — تأليف: الفريد جاري
١٩٣ ـ أوبو فوق التل ـ أوبو زوجا مخدوعا — تأليف: الفريد جاري
١٩٤ ـ ما ثمن المجد — تأليف: ماكسويل أندرسون
١٩٥ ـ نجمة أشبيلية — تأليف: لوبي دي بيجا
١٩٦ ـ وحش طوروس — تأليف: عزيز نسين
١٩٧ ـ افعل شيئا يامت — تأليف: عزيز نسين
١٩٨ ـ المتعاملون — تأليف: كويناسكي

١٩٩ ـ هرج ومرج في المنزل	تأليف: كويسي كادي
٢٠٠ ـ الجزء الأول من حكاية الملك هنري الرابع	تأليف: وليم شكسبير
٢٠١ ـ الأشباح	هنريك إبسن
٢٠٢ ـ البطة البرية	تأليف: هنريك إبسن
٢٠٣ ـ أعمدةالمجتمع	تأليف: هنريك أبسن
٢٠٤ ـ نابولي مليونيرة	تأليف: ادواردو دي فيليبو
٢٠٥ ـ عطلة الإسكافي	تأليف: توماس دكر
٢٠٦ ـ الجبل المتهدل أو أغنية القطار الشبح	تأليف: فرناندو أرابال
٢٠٧ ـ ماريوس	تأليف: مارسيل نانيول
٢٠٨ ـ جثة حية	تأليف: تولستوي
٢٠٩ ـ السكين الكبير	تأليف: كيلفورد أودتيس
٢١٠ ـ الأرض الحرام	تأليف: هارولد بنتر
٢١١ ـ مذنبون بلا ذنب	تأليف: الكسندر استروفسكي
٢١٢ ـ رحلة النهار الطويلة خلال الليل	تأليف: يوجين أونيل
٢١٣ ـ سيدات متقاعدات	تأليف: ادوارد بيرسي وريجنالد دنهام
٢١٤ ـ الهارب	تأليف: جون جولزورذي
٢١٥ ـ السحب ـ ١	تأليف: اريستوفانيس
٢١٦ ـ السحب ـ ٢	تأليف: اريستوفانيس
٢١٧ ـ مجانين واختصاصيون	تأليف: وول سوينكا
٢١٨ ـ الموت وفارس الملك	تأليف: وول سوينكا
٢١٩ ـ لون بشرتنا	تأليف: ثيلستينو جورستيثا
٢٢٠ ـ توركاريه	تأليف: آلان رينيه لوساج
٢٢١ ـ السيد دي ساد	تأليف: يوكيو ميشيما
٢٢٢ ـ الأيام الخوالي	تأليف: هارولد بنتر
٢٢٣ ـ الآلية	تأليف: صوفي تريدويل
٢٢٤ ـ شروق الشمس	تأليف: تساويوي
٢٢٥ ـ الحياة المديدة للملك أوزوالد ـ المؤامرة	تأليف: فيليمير لوكيتش
٢٢٦ ـ العاصفة الرعدية	تأليف: الكسندر استروفسكي
٢٢٧ ـ الضوء يسطع في الظلام	تأليف: ليون تولستوي
٢٢٨ ـ سيدة الفجر	تأليف: اليخاندرو كاسونا
٢٢٩ ـ منحنى خطر	تأليف: ج . ب . بريستلي
٢٣٠ ـ توراندوت	تأليف: فريدريك شيلر
٢٣١ ـ الجمعية الأدبية	تأليف: هنري أفوري

- جواهر المعبد تأليف: جيمس اين هنشو
٢٣٢ - فاوست - الجزء الأول - المقدمة تأليف: جيته
٢٣٣ - فاوست - الجزء الثاني - نص مسرحي تأليف: جيته
٢٣٤ - فاوست - الجزء الثالث - نص مسرحي تأليف: جيته
٢٣٥ - القفص - الانتحار تأليف: ماريو فراتي
٢٣٦ - ملكة الليل في بحر حجري تأليف: يان سولوفيتش
٢٣٧ - افتتاحية الهادىء تأليف: جون ويدمان
٢٣٨ - كازانوفا تأليف: جييوم أبولينير
٢٣٩ - تهدا تريزياس - لون الزمن تأليف: جييوم أبولينير
٢٤٠ - وظيفة مريحة تأليف: السكندر استروفسكي
٢٤١ - مطعم القردة الحية تأليف: غونكور ديلمان
٢٤٢ - الخزان العظيم تأليف: بيتر ترسون
٢٤٣ - كنت هنا من قبل تأليف: ج. ب. بريستلي
٢٤٤ - بيت آل روزمر تأليف: هنريك إبسن
٢٤٥ - حورية من البحر تأليف: هنريك إبسن
٢٤٦ - أيولف الصغير تأليف: هنريك إبسن
٢٤٧ - بيركليس تأليف: وليم شكسبير
٢٤٨ - حرية المدينة تأليف: براين فرايل
٢٤٩ - بنات تراخيس تأليف: سوفوكليس
٢٥٠ - المرأة - اليقظ دائما تأليف: جواد فهمي باشكوت
٢٥١ - البيت الذي شيده سويفت تأليف: غريغوري غورين
٢٥٢ - ميدان بيركلي تأليف: جون بولدرستون
٢٥٣ - مؤامرة الإمبراطورة تأليف: إلكسي تالستوي
٢٥٤ - قضية روبرت أوبينهايمو تأليف: هاينز كيبهارت
٢٥٥ - نساء لهن ماض تأليف: ديميتر ديموف
٢٥٦ - هيكابي تأليف: يوريبيديس
٢٥٧ - الناووس أو التابوت الحجري تأليف: فلاجيمير جوبريف
٢٥٨ - نهاية اللعبة تأليف: صمويل بيكيت
٢٥٩ - سيمبلين تأليف: وليم شكسبير
٢٦٠ - وداع في يونيو تأليف: الكسندر فامبيلوف
٢٦١ - النبي المقنع تأليف: عبدالكريم الخطابي
٢٦٢ - بلا لبس - دماء آل بامبيرغ تأليف: جون أوزبورن
٢٦٣ - الرجل المنسي تأليف: ناظم حكمت
٢٦٤ - باولو وفرانتشيسكا تأليف: ستيفن فيليبس

٢٦٥ ـ ليالي الغضب	تأليف: أرمان مالاكرد
٢٦٦ ـ لا	تأليف: ماكس أوب
٢٦٧ ـ حمام روماني	تأليف: ستانسلان ستراتييف
٢٦٨ ـ المفتش	تأليف: نيقولاي غوغول
٢٦٩ ـ الرجل الأحزن	تأليف: بيرج زيتونتيان
٢٧٠/ ٢٧١ـ في انتظار جودو	تأليف : صمويل بيكيت
ـ الرحلة الجانبية	تأليف : مارتن فالسر
٢٧٢٠/ ٢٧٣ـ في سبيل الحرية	تأليف : جوهر مراد
ـ صحيفة الشيخ شرزين	تأليف : بهرام بيضائي
٢٧٤/ ٢٧٥ـ عندما نبعث نحن الموتى	تأليف : هنريك إبسن
ـ غرائب عندليب	تأليف : تينسي ويليامز
٢٧٦/ ٢٧٧ـ الجزيرة القرمزية	تأليف : ميخائيل بولغاكوف
ـ بوريس جودونوف	تأليف : ألكسندر بوشكين
٢٧٨/ ٢٧٩ـ المؤامرة والحب	تأليف : فريدريش فون شلر
ـ لا مزاح في الحب	تأليف : ألفريد دي موسيه
٢٨٠/ ٢٨١ـ سترة من المخملين	تأليف : ستانيسلاف ستراتييف
ـ شارلوتا ـ عائشة	تأليف : شحابلوق عيس
٢٨٢/ ٢٨٣ ـ شارع دوران	تأليف : آمان سالاكرو
اقتسام الظهيرة	تأليف : بول كلوديل

قسيمة اشتراك

البيان	سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في : تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم :	
العنوان :	
اسم المطبوعة :	مدة الاشتراك :
المبلغ المرسل :	نقداً / شيك رقم :
التـوقيـــع :	التاريخ : / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت .

وترسل على العنوان التالي :

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

طبع في مطابع دار السياسة

العائلة الحزينة

تعتبر هذه المسرحية واحدة من أفضل مسرحيات نوشيتش من ناحية الصياغة والبناء الدرامي، وهي تتميز مثلا باستهلال قوي ومؤثر، يعبر فيه المؤلف عن المطابقة بين المظهر والحقيقة، وذلك من خلال المشهد الصامت «الفصل الأول» حيث تكون الشخصيات الرئيسية مرتدية ثياب الحداد، وقد عاد الجميع تواً من المقبرة، بينما لا يشغل بالهم في الحقيقة، سوى الحصول على نصيبهم، من ميراث الرجل الذي دفنوه قبل مدة وجيزة! ومع أن مسرحية «العائلة الحزينة» قد كتبت عام ١٩٣٤، وتدور أحداثها في فترة مابين الحربين، إلا أنها «يمكن أن تعبر عن كل مكان وزمان».

كما أنها تعكس السمة الفنية الرئيسية لأسلوب نوشيتش، وهي اعتماده على الموقف المركزي المؤثر، وكشفه للشخصيات الفاسدة، وتعبيره عنها من جميع الزوايا، وفي حالة هذه المسرحية، فهي تتمركز حول التكالب والتطاحن على سلب مال الفقيد!.

في عرض البحر

في مسرحية «في عرض البحر» لم يلجأ نوشيتش إلى إخفاء آرائه الحقيقية كعادته، خوفاً من المطاردة والسجن، ولكنه أعلن أهدافه ونقده الشديد لعناصر الفساد في المجتمع. فهو لا ينتقد السلطة أو يسخر منها كعادته، ولكنه في مسرحيته هذه، يقترب مما يشبه الكوميديا الاجتماعية السوداء، ويركز نقده المرير حول موضوع اجتماعي، بطلته امرأة طموحة، تنظر إلى